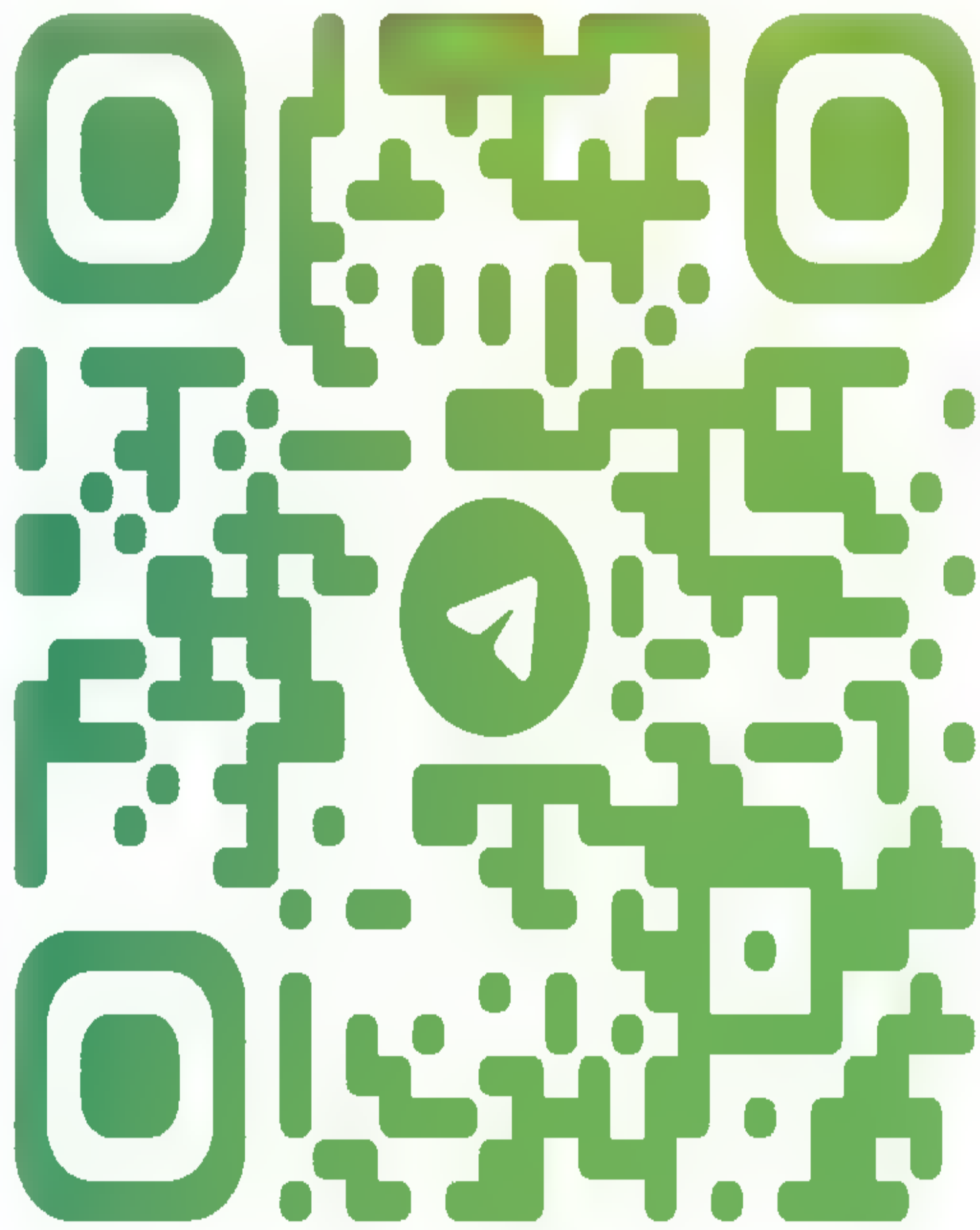




كثيره صبي



@ART_OF_BOOK

© مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٤٦هـ



@ART_OF_BOOK

جمبي، كنده

خليل./ كنده جمبي - ط ١ - الدمام، ١٤٤٦هـ
٤٠٠ ص ١٤١ سم

رقم الإيداع: ١٩١٧٧/١٤٤٦

ردمك: ٩-١٣-٨٥٤٣-٦٠٣-٩٧٨

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني :

Www.Adab-Book.Com

مركز الأدب العربي

@Services_Book

@ServicesBook1

مركز الأدب العربي

adabarabic7

aladabce@gmail.com



مسؤول النشر :
للتواصل

0597777444

المملكة العربية السعودية - الدمام

تطلب إصدارات مركز الأدب العربي

00966594447444

للتبليغ الطباعة

مطبعة الكتاب العربي - الرياض



دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

الحقوق محفوظة ، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق
استعادة الصور المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعتبر من
وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر .

خمس

٢٠٢٥

کندہ جمبی

X shams_almkan

@ shams.almkan

Q Kendah.jambi



@ART_OF_BOOK

١٤٤٦ھ - ٢٠٢٥م



@ART_OF_BOOK

معجزات العرب ثلاث:

الْغُولُ وَالْعَنْقَاءُ وَالْحِلُّ الْوَفِيُّ.



خطوات استدعاء الخليل:



١: يتم توزيع أربع شموع، كلُّ منها مختومةٌ بإحدى ركائز
الخليل المتزن:

- الغريزة.
- الاستقلالية.
- الشخصية.
- الانعكاس الذاتي.



@ART_OF_BOOK

٢٠ يتم كتابة صفات الخليل على ورقة.



@ART_OF_BOOK

٣٠ يتم وضع الورقة على دائرة الاستدعاء، ويتم ختمها
بدماء السيد.



@ART_OF_BOOK

تحدّ

صدى صوت بكاء لطفل ما، يتردد من على الجدران وتمددت
موجاته للحقول الشاسعة والهضاب البارزة من حول ذلك الكوخ،
اختلطت صرخاته بحفيف أوراق أشجار النخيل التي أحاطت
بذلك المنزل الضئيل، ورغم ثبات الكوخ للعين المجردة، إلا أن
معركة ضارية كانت تعصف بداخله كادت أن تطير بسقفه من عليه.

- «أعيديه! أعيدي لي طفلي!»

صرخت امرأة ظهرت عليها علامات التعب والإجهاد في عبور
كانت تحتضن طفلاً رضيعاً لصدرها بتملك.

- «إنه ليس بصحة جيدة، وهو حفيدي ووريث لاسم العائلة

كما يكون ابنك، فأنا أدري بما يصب في مصلحته ومصلحتنا

جميعاً.»

ردت العجوز بجفاف تام، وكان حجة والدته لا تملك أي وزن
أو قيمة.

كانت المرأة لا تزال طريحة الفراش إثر ولادتها، كان الصراخ
وحده مرهقاً لجسدها ولكنها لم تتوقف عن محاولات الدفاع عن
طفلها، فصرخت من أعلى رئتيها: أيتها العجوز الشمطاء! ورب
السماء إن فعلت ما ظننتك فاعلة لأقتلك بأشنع طريقة ممكنة!

سألت العجوز بهدوء مطلق: وتقتلين أم زوجك؟

اشتاطت المرأة واشتعلت عيناها حقداً: لأقتلك وأقتل ولدك
معك إن ساندك يا معتلة! أعتقدين أنه سيسامحك على فعلتك هذه؟!
ردت العجوز بينما شقت طريقها خارجة بهدوء: أنا أمه،
سيسامحني مهما فعلت.

صرخت المرأة بأعلى صوتها بينما شاهدت العجوز تغادر برفقة
رضيعها فقامت برمي نفسها على الأرض محاولة اللحاق بها بضعف،
مددت كلاً من ذراعيها واحدة وراء الأخرى لتقوم بجبر جسدها

بعناء، بينما استمرت بالصياح والنداء ولكن دون أي فائدة، فكانت
العيجوز سبق وأن غادرت منزلها، متجهة إلى وجهتها المشؤومة.

سحبت المرأة جسدها لعدة أمتار مبتعدة عن فراشها قبل أن تبدأ
رؤيتها تضمحل إثر الإنهاك الجسدي الذي لازم عملية الولادة، لم
تكن إلا لحظات حتى تبدلت رؤيتها لسواد تام ووقعت مغشياً عليها
في مكانها.

توسط الهلال سواد الليل الحالك، ترافقه بعض النجوم الخافتة في
ضوئها مزينة سماء المدينة العامرة، ورغم تأخر الوقت إلا أن بعض
السيارات كانت تتسارع في الطرقات، بعضها يأخذ منعطفًا مازًا من
خلال الأحياء السكنية مما سبب بعض الضوضاء بين كل حين وآخر
لمنزل ما كان سبق وأن استسلم سكانه لبرائث النعاس.

عم الهدوء في أرجاء البيت، لا شيء على المسامع إلا أصوات
إطارات العربات العابرة الذي تسلل من خلال النوافذ لغرفة شاب
سبق وأن غرق في نوم عميق، حتى ترددت صرخات تلك المرأة
البشعة على مسامعه.

قفز الشاب من مكانه بأنفاس متسارعة واضعًا يده على صدره
مذعورًا مما سمع قبل أن يهدأ من أعصابه ليحدق في ملاءات فراشه
مشدوه الوجه.

لم يعلم لم كان يراوده هذا الكابوس بين كل حين وآخر، فهو لم
يعلم من تكون أي من تلك المرأة أو العجوز اللتين كانتا تترددان
على أحلامه، ولكنه كلما تذكر تفاصيل ذلك الحدث يقبض قلبه في
صدره.

حاول الشاب تناسي الأمر وعاد يفرش ملائته محاولاً أن يغط



بالنوم مرة أخرى، ولكن لم يطل الأمر حتى ترددت على مسامعه
أصوات خطوات متسارعة تحوم من حول فراشه، بالكاد استطاع
تفرقة جفنيه بعضهما عن بعض ولكنه ما أن فعل حتى رأى صاحب
الضوضاء من طرف عينه، ظل أسود وقزم يقوم بالجري حول
سريره بينما كان يغط هو بالنوم، حاول الحراك ولكنه لم يستطع، كما
قضت العادة.

لم يكن مذعورًا مما رأى ولا حتى من عدم قدرته على الحراك،
فهو كان يمر بهذه التجربة لما يقارب الأسبوعين الآن، فظل مكانه
متيسبًا يراقب تحركات القزم بهدوء بينما ظل يلف مرة تلو الأخرى
حول فراشه، ثم توقف تمامًا فجأة، وكأن الزمن توقف في مكانه.

تعجب الشاب من هذا التغير الذي لم يره من قبل، ولكنه لم
يتمكن من التمعن والتوغل في حيرته عندما أحس بثقل عارم على
صدره جعله يحفظ بصمت إثر الألم، وكل ما قابل نظره حينها كان
ظلاً أسود مطموس الملامح يمسك برقبتة بشدة وكأنه يكاد يكسر
قصبته الهوائية، ورغم أنه لم يعلم أين ينظر، إلا أنه كان واثقاً بأن
وجه ذلك المخلوق كان يكاد أن يلامس وجهه من حرارة الأنفاس
التي شعر بها تسري على جلده.

لم يستطع الشاب التحمل، فظل يحاول الإفلات من بين براثن ذلك الكابوس إلا أنه لم يستطع مهما بذل من مجهود، حاول المقاومة فلم يتحرك جسده، حاول الاستنجاد، ولكن لا صوت له.

وبينما كان على هذا الحال صدح صوت أذان الفجر من مسجد الحي، وما أن علا صوت التكبير حتى وجد نفسه يقفز من سريره مذعورًا عندما عادت له قدرته على الحركة.

وقف على رجليه لاهثًا يحاول استجماع نفسه قبل أن يلتفت يمينًا ويسارًا محاولًا البحث عن ذلك الشيء الذي كان فوق صدره قبل ثوانٍ لكنه لم يجد له أثرًا.

قرأ الشاب ما تيسر له من أذكار وهرع ليقوم بالوضوء وصلاة الفجر بقلب مثقل من كوابيسه التي أصبحت أكثر مما يستطيع تحمله.



كان يحاول تذكر تفاصيل المخلوق القزم الذي اشتد سواده فلم
تظهر له معالم، أصوات خطوات أرجله المتسارعة بينما جرى حول
فراشه كل ليلة كانت لا تزال تتردد على مسامعه، ولكن تحركات هذا
الكابوس كانت قد بدأت تصبح أكثر جرأة في الآونة الأخيرة.

وضع الشاب يده على صدره حيث أحس بالثقل في الليلة الماضية
ليشعر بألم طفيف في البقعة نفسها.

«غيث!»

نادى عليه شاب هزيل البنية، طويل القامة، يلبس زوجين من
النظارات التي كان يعيد تعديلها على أنفه كل بضع دقائق، ولكنه
لم يستجب، فقام بضرب هاتفه على رأس صديقه في محاولة لإيقاظه
من أحلام اليقظة التي غرق بها.

رمش (غيث) عدة مرات قبل أن يلتفت إلى الشاب الآخر مقطب
الحاجبين: ماذا هناك يا (فراس)؟

قام (فراس) بحمل هاتفه على مرأى الآخر: هل رأيت هذا
الفيديو؟

لم يعلم (غيث) عمّ كان يتحدث ولكنه التزم الصمت وظل
يحدّق بالشاشة بينما بدأ المشهد من أمامه، كان الفيديو يُظهر رجلاً
أصلغ يبدو كراهب يتم تصويره من زاوية ما من ظهره، وكأنه غير
مدرك أنه يتم مراقبته، كان يقف مواجهًا جدارًا ما ويقوم بتمتمة
بعض الكلمات التي زادت علوًا عندما بدأ يلوح بذراعيه بانزعاج
واضح وكأنه يجادل شخصًا غير موجود.

عقد (غيث) حاجبيه الكثيفين: تخصصنا طب بشري يا (فراس)،
لا علم لي بالمرضى النفسيين.
اعترض (فراس): انتظر...

انصاع (غيث) لكلام صديقه وظل ينظر إلى الشاشة حتى رفع
الرجل رأسه للسما فجأة وتوقف عن الحركة تمامًا لبضع لحظات
أقبل أن يهوي رأسه للأسفل، عندها قام برفع يديه بعضهما أمام
بعض محققًا بهما وكأنه يقوم بتحريكهما لأول مرة في حياته، ومن
ثم وبحركة خاطفة، مد إحدى ذراعيه لتمسك بمعصم الأخرى
ليقتلعها من مكانها ليبدأ رشاش الدم يتطاير في الهواء.

صدحت أصوات الأحاديث من على جدران تلك القاعة
الدراسية التي احتوت جمهوراً غفيراً من الطلاب الذين تدهنوا
باللون الأزرق، ذلك اللون الذي تلونت به الأزياء الموحدة الخاصة
بالقطاعات الصحية.

كانت القاعة تضج بأحرف وضحكات لأحاديث جانبية،
يدت مضمحلة وغير واضحة أبداً لأحد الطلاب الذي تمقعد أحد
الكراسي في زاوية مجاورة لإحدى النوافذ.

كان شاباً ذا بنية عضلية قوية، قمحي البشرة، ذا خصلات
متموجة حالكة السواد تماشي اللحية المهدبة التي نمت على وجهه،
ورسيم المعالم وكحيل الأعين، لولا أن إحدى عينيه يختلف لونها عن
الأخرى، فأحدهما داكنة وطبيعية والأخرى تلونت بلون ذهبي
مريب.

كان الشاب مشدوه التفكير، يحدق في مكتبه بضممت تام، وكأنه
في عالم آخر.

كان عقله يقوم بتحليل تفاصيل آخر كوايسه بدقة تامة وكأنه
كان يعيش تلك اللحظات فعلاً، ورغم أن المقتطفات السريعة كانت
مجرد ثوانٍ معدودة إلا أنه شعر بها وكأنها دهرٌ من الزمن.

شخص فرد من طائفة ما تمارس عادات وتعاليم معينة، صحيح؟
لكن عند بحثي المطول في هذه الطائفة لم أجد من تعاليمهم ما يحث
على إيذاء الذات أو إلحاق الضرر بالنفس بأي شكل من الأشكال،
جميع التعاليم تضمنت الكثير من الهدوء، التأمل، تهذيب الذات،
وإدراك الوعي، فما الذي يجعل شخصاً مؤمناً بكل هذه الأمور يصل
لهذه المرحلة من الهديان الذي يجعله يقوم باقتلاع ذراعه من مكانها؟!

سأل (غيث) بقليل من الرهبة: ماذا؟

أكمل (فراس): بينما كنت أتحري عن تعاليم هذه الطائفة الغريبة،
رقت على مخطوطة عتيقة لهم، تحمل تعاليم وطقوساً للنداء على
مخلوق ما، أعتقد يلقبونه بـ «التولبا»؟ بداية لم أفهم ما كانوا يعنون،
إلا أنني كلما قرأت أكثر زادني الأمر حيرة، فهذه المخطوطات
تحدث عن مخلوقات ما يستطيع الإنسان صنعها بعد سنين من
التدريب والتأمل، كيان مختلف ومنفصل عن الإنسان ولكنها
يتشاركان الوجود، كيان يحمل وعياً مختلفاً عن مضيفه الإنساني،
حتى أنها تملك شخصيات وآراءها الخاصة!

حذق (غيث) في صديقه بضجر: وكيف يعقل ذلك؟ هذه حالة
من حالات الخرف ولا أكثر.

أوماً (فراس) برأسه متفقاً: هذا ما اعتقدته أنا أيضاً، ولكن
هناك العديد من الحالات المسجلة لأشخاص قاموا بهذه الممارسات
وتجاربهم متنوعة، فبعضهم يتعايشون معاً بتناغم، حتى أنهم يتفقون
على من يقوم بالتحكم بالجسد، التولبا أم مضيفه، والبعض الآخر...
حسناً لنقل إنهم لم يكونوا بذلك التناسب.

عقد (غيث) ذراعيه متسائلاً: انتظر لحظة... أنت تقول بأن هذا
الوعي الجديد يستطيع التحكم بجسد مضيفه رغماً عنه؟
هز (فراس) كتفيه: ذلك يعتمد على علاقتها ببعضها البعض،
ولكنهما معظم الوقت يكونان كيائين مختلفين.

(غيث): يبدو هذا الأمر برمته كحالة متطورة من معضلة
الصديق الخيالي التي يعاني منها الأطفال.
وضع (فراس) يده على فمه متفكراً: بل كحالة متطورة من
الاقتران مع القرين.

حل الصمت على الصديقين للحظة يقوم كلٌ منهم بتحليل الأمر
بصمت قبل أن يكسر (غيث) ذلك الهدوء: ولكن لا يعقل أن يكون
ذلك صحيحاً، لا أستطيع تصديقه.

هز (فراس) كتفيه وقال بنبرة واثقة: ما تصدقه وما لا تصدقه أمر عائد لك، ولكن ما توضحه الدلائل والحالات المختلفة حول العالم التي قامت بتسجيل تجاربها الشخصية قد يختلف معك.

هربت ضحكة من بين شفاه (غيث): هيا يا (فراس)، لا يمكن أنك تصدق كل هذا الهراء!

رد (فراس) بهدوء: من قمة الأنانية اعتقادك أنك وحدك تسبح في أكوان الخالق.

توسعت حدقتا (غيث) من ذلك الرد الجدي: لم يستدع الأمر كل هذا التصعيد.

(فراس): فكر بالأمر من هذه الناحية، ألم يخلق ربنا عز وجل الجن والإنس؟

أوماً (غيث) برأسه موافقاً: بلى، لكن أنت تتحدث عن جان وليس مخلوقات ما مجهولة المصدر.

رد (فراس): وما الذي تعلمه عن الجان إذا؟ بما أنهم موجودون بالفعل؟

توقف الفيديو حينها لتظهر شاشة سوداء تعكس ملامح (غيث) المشمزة مما رآه للتو.

سأل (فراس) بفضول طفولي: ما الذي حصل برأيك؟

أمال (غيث) رأسه: لا علم لي بالماورائيات، هذا اختصاصك أنت، ولن تريني هذا المقطع إلا إن كنت سبق وأن كنت نظريتك، فقصها علي.

سحب (فراس) الكرسي المجاور لصديقه واتخذ مقعداً على عجالة: حسناً، اسمع لما سمعت، يقول البعض بأن روحاً شريرة تلبست جسده وفعلت ما فعلت، والبعض الآخر يقول بأنه مريض ويعاني من ثنائي القطب أو ما شابه.

همهم (غيث) مستنكراً: يبدو الخيار الأخير أكثر ترجيحاً مما سبقه.

قال (فراس) بحماس: ولكن اسمع لما توصلت إليه!

أوماً (غيث) برأسه ليسترسل صديقه في الشرح: بعد البحث والتقيب، تمكنت من إيجاد موقع تصوير هذا المقطع حتى وصلت إلى إقليم التبت، ومما وضع لنا من هندامه ومظهره العام، أن هذا

هز (فراس) رأسه بالنفي، فأكمل (غيث): إذا لم كل هذه الثقة؟

أنت لا تستطيع إثبات صحة نظريتك من الأصل!

اعتدل (فراس) في جلسته: أهذا تحدّ؟

تجمد (غيث) في مكانه، كان فقط يريد إثبات وجهة نظره، لم يكن

يعتقد أن صديقه سيكون مصرّاً لهذه الدرجة، ولكن الأمر قد تعدى

نقطة الرجوع والتفاهم، فرفع رأسه بغلو وقال: نعم، إن استطعت

إعطائي دليلاً قطعياً فلن أختلف معك في رأي مجدداً!

قام (فراس) بمصافحة يد صديقه: اتفقنا إذاً.

- «(غيث) و(فراس)، سأقوم بإعادة تعيينكما لفصول مختلفة إن

أكملتما في أحاديثكما الجانبية!»

صاح صوت أحد الدكاترة الذي يقوم بتدريسهم في أرجاء

القاعة الدراسية.

- «أسفان دكتور (مجدي)!»

رد اثناهما بنبرة يركبها القلق.

أصدت أصوات ارتطام الملاعق بالأطباق الخزفية بينما كانت تحاول الإمام بحبيبات الأرز في أنحاء المنزل، تعتليها بعض الأحرف التي انتمت لأحاديث على مائدة طعام كان يحيطها ٣ أشخاص، أولهم كان (غيث)، أمامه جلست أخته الصغيرة البالغة من العمر ١٢ عامًا (جنى)، أخته التي كانت لا تشبهه بتاتًا، فبشرتها شديدة البياض وشعرها أسود، ناعم، وقصير، دائمًا ما تعتلي وجهها ابتسامة عريضة.

أما من ترأس الطاولة فكان أباهما (ربيعة)، رجل في متوسط عمره ذو شيب متضارب مع سواد شعره، كان يتسم بمثل صفات ابنته، فكان كثير المزاح وكثير الضحك.

- «فأخبرتها بأن رأسها طويل يشبه عجوة المدينة! لن تصدقا الصدمة التي اعتلت وجهها!»

ضحكت (جنى) بصوت عالٍ بينما حكّت لأبيها وأخيها عن مغامراتها المدرسية وآخر نكاتهما على ما يبدو، فعلت ضحكاتهم جميعًا وصارت تُصدي من على الجدران.

لم تكتفِ (جنى) بذلك، بل التفتت لأخيها بابتسامة شيطانية على

وجيها: هذا جزاؤها، لم يكن عليها أن تنمر على صديقاتي، أليس كذلك؟

ارتسمت ابتسامة مماثلة على معالم أخيها ليضرب كفه بكفها: هذا تعليمي!

عند أبوهما ذراعيه وظهر الاستياء على معالمه: (غيث)، يجب عليك عدم حث أختك على مثل هذه التصرفات!

تيسر كلٌّ من الأخوين حتى انفجر والدهما ضحكاً وقال: عليها أن تكمل ما بدأته وتقوم بإهدائها علبة من عجوة المدينة لتراها على مكتبها في الفصل، تلك ردة فعل لن تنسى حقاً!

جحظ كلٌّ من الأخوين وتبادلا النظرات المتعجبة قبل أن ترد (جنى): أبي كيف فكرت بهذه الفكرة العبقريّة؟! لا بد أن أنفذها حالاً بالاً!

تعال ضحكات الوالد بينما تمسك ببطنه سعيداً وفخوراً بما كان يجعبته من أفكار.

التفتت (جنى) إلى أخيها بحماس: (غيث) عليك أن تأخذني لشري هدية مناسبة!

أوماً (غيث) برأسه ورد: حاضر، كما تريد.

وبينما كانوا يستمتعون بهذه الأجواء المريحة أصدى صوت امرأ
ذو وقع ثقيل وبنبرة أمرة: لن تذهبي مع المبدل.

التفت الجميع ليروا والدتهما التي كانت دائمة متجهمة الوجه،
امرأة في متوسط عمرها ولكن حاجبيها دائما التقطيب فتج عنبر
بعض الخطوط التي توجت جبهتها.

صمت الجميع وتغيرت معالمهم تماما، معركة صفو مزاجهم.
تدخل والدهما محاولا التمسك بالمزاج الممازح الذي بدأ به: لا
مانع، سأخذها أنا.

ردت والدتهما باشمئزاز: لا تدع ابنتنا خارجا مع هذا المبدل أبدا،
أنا ما زلت لا أفهم لم أحضرته لمنزلنا من الأساس.

تبسم الأب بهدوء: (غيث) و(جنى) ولداي بكل ما تحمده
الكلمة من معنى.

طقطقت الوالدة لسانها بانزعاج: ليس ولدائي.

ظل والدهما صامتا بينما شاهدها تختفي مرة أخرى في ظلمات
المنزل كما لو لم تكن.

لم يكن هذا المشهد غريباً على المشاهدين، فكانت دائماً ما تلقب والدتها (غيث) بالمبدل، رغم أنه لم يعلم يوماً عن السبب وراء تلك التسمية، إلا أن والدته لم تكن له يوماً أي مشاعر قد ترتبط حتى بالحنان والأمومة، بل كانت تعامله كالغريب في منزله، وكأن وجوده فحسب كان عاراً على الإنسانية ككل، كانت تجرده وتسلخه مرة تلو الأخرى وتلبسه لباس الذل منذ أن كان طفلاً صغيراً، فكانت أول ذكرياته كطفل صفقة تلقاها من والدته لسبب ما، ومنذ ذلك الحين كان يقضي معظم أوقاته مع والده، حيث كان يقوم هو بجميع ما يلزم للاعتناء به بشكل منفرد ويعيد عن زوجته، وعندما حظيت أمه بأختة (جنى) رأى فيها جانباً آخر لم تعتده أعينه، فكانت والدته مبتسمة بينما أرضعت تلك الطفلة بين ذراعيها بكل هدوء وزفة، ومنذ ذلك الحين كان (غيث) قد اعتاد هذا النوع من التحيز، ولم يكن متعجباً من عدم رغبة والدته بقضائه وقته مع أخته، ولكنه لم يعلم يوماً عن السبب وراء هذا الاختلاف في المعاملة، فكلما سأل أباه عن الأمر كان يؤكد له أنه ابنه فعلاً وأن أمه فقط صعبة المراس مع الذكور.

رغم تلك الظروف الغريبة، حرص والدهما على تحفيز الخصال الأخوية ما بين ولديه، ورغم غيرة (غيث) الطفولية في البداية، إلا

أن فارق الـ ١١ سنة ما بينه وبين أخته جعله يود حمايتها والاعتناء
بها كأخ كبير مسؤول، فترعرع كلاهما برابط قوي رغم الظروف.

خيم الصمت على المكان بينما ظل الثلاثي مكانهم على مائدة
الطعام، وما أن اختفت والدتهما حتى غمز والدهما وقال ممازحة
اذهبا، لا يجب أن تعلم والدتكما.

لم ينتظر الثنائي ليقفزا من مكانهما بسعادة مفرطة، أرجلها تسابق
بعضها بعضاً للخارج.

فركضا للخارج ليركبا عربتهما ولم تكن دقائق حتى كانا في الطريق
لوجهتهما، فتعالت أصوات الموسيقى من على مسجل السيارة بينما
قادها (غيث) بهدوء متراقصاً كل حين وآخر مع أخته (جنى) التي
كانت تغني بصوت عالٍ وتقوم بالميلان مع الإيقاعات حتى وجدا
محل تمور في زاوية أحد الشوارع.

كان المحل خالياً من الحياة، لا يوجد فيه إلا عامل واحد كان
يجلس مسترخياً حتى كشف الباب الزجاجي عن الأخوين اللذين
ظهر الحماس على أساريرهما، حيا (غيث) العامل بحرارة عند دخوله
وبدا يتحدث عن ضالته مع أخته التي أشارت لأحد الصناديق بينما

فقهت بمكر، وبينما كانوا على هذا الحال دخل زبون آخر يحاول
شراء التمور، ومن بعده اثنان، ومن ثم ثلاثة، وهكذا.

حتى عندما أراد (غيث) و(جنى) دفع حسابهما كان سبق وأن
أصبح المتجر مكتظاً حتى شرع العامل بمعاينة الثنائي بتعجب ومن
ثم الصف الذي وقف فيه الناس من بعدهما.

انتهى الأخوان من حسابهما وشقاً طريقهما للخارج ليصعدا
في مركبتهما ويتوجها للمنزل مرة أخرى، تمسكت (جنى) بهاتف
(غيث) وبدأت بوضع الموسيقى التي يحبانها ليعودا يدندنان
ويتراقصان كما كانا في مجيئهما.

كانت البسمة متمسكة بمعالم (غيث) بينما قاد المركبة بأعين تركز
على الطريق رغم دندنته المستمرة، حتى لمح بنظره رجلاً كبيراً في
السن ورت اللباس يقف في وسط الطريق بهدوء تام.

توسعت حدقتاه وبدأ قلبه ينبض بسرعة مهولة بينما ضغط برجله
على المكابح بقوة لتتوقف المركبة على بُعد عدة سنتيمترات من العجوز
الذي لسبب ما كان يرفض الحراك من مكانه.

- « ما به هذا؟! »

قال (غيث) بانفعال وبدأ بضغط على بوق السيارة بانزعاج
ولكن العجوز لم يبرح مكانه.

سألت (جنى) بقلق: ما بك لم توقفت؟!

أشار (غيث) بيده للعجوز الذي وقف خلف الزجاج دون أن
تفارقه عيناه: هذا العجوز يرفض الحراك!

صمتت (جنى) للحظة ثم بدأت تلتفت للخارج ومن ثم
لأخيها: ... أي عجوز؟

عقد (غيث) حاجبيه والتفت إليها بتعجب: هذا الخرف بالخارج!
أعاد (غيث) نظره للأمام ليرى الشارع الخالي الممتد من أمامه
فتجمد مكانه فوراً، العرق يصب من جبينه بتوتر بينما ضربت عدة
عربات أخرى من ورائه أبواقها معلنة استيائها.

ربتت (جنى) على كتفه بحنان: هل عدت ترى أشياء غريبة؟
وضع (غيث) يده على جبينه الذي علت حرارته بشكل ملحوظ:
لا بد أنني تخيلت الأمر.

التزمت (جنى) الصمت وأومات برأسها فحسب بينما عاد
أخوها للقيادة بشكل طبيعي، فلم تكن هذه أول مرة يحصل موقف
مماثل لهما، فمنذ الصغر كان كثيرًا ما يقوم (غيث) برؤية أشياء لم تكن
موجودة، ويكون مصرًا ومتيقنًا بشكل تام مما يراه، ولكن مهما أشار،
فلم ترَ هي أو والدها شيئًا مما كان يراه.

لم يطل الأمر حتى بدأ (غيث) بالذهاب إلى استشاري نفسي في
حالات الهذيان هذه، وسرعان ما بدأ بأخذ العقاقير الطبية، ومن
بعدها خفت هذه الحالات بشكل ملحوظ حتى كادت تختفي تمامًا،
ولكن كل حين وآخر، كان يمر بحالة أو اثنتين.

حدقت (جنى) بأخيها بقلق يعلو أساريرها: هل أخذت دواءك
اليوم؟

أوماً (غيث) برأسه مشيرًا بالإيجاب.
همهمت (جنى) قبل أن تضيف: إذا كان عجوزًا هذه المرة؟ لم لا
ترى أي حسناوات؟

انفجر (غيث) ضاحكًا لتنضم إليه أخته في نوبة هستيرية شدت
بطنيهما.

هذيان

أصدت أصوات الحبوب المتصادمة بعلبتها البلاستيكية بينما تناول (غيث) إحداها في يده ومن ثم رماها في فمه ليلتلعها بحركة سريعة قبل أن يجلس على طرف فراشه، كان عليه الخلود للنوم إلا أن ذكريات الليلة الماضية كانت تؤرقه، فتمقعد مكانه يقلب بين البرامج على هاتفه محاولاً تناسي أحداث كابوسه، حتى رن هاتفه في يده إثر اتصال (فراس) به.

قطب (غيث) حاجبيه متعجباً ولكنه قام بالرد عليه: ما الأمر؟ كانت نبرة (فراس) تقطر سخرية حتى من خلال الهاتف: أتظن أنني تناسيت أمرك؟ أنزلي شعرك يا جميلة فأنا بالخارج. رمش (غيث) عدة مرات في عدم استيعاب قبل أن يترجل من مكانه ليقف عند نافذته ليرى (فراس) واقفاً أمام منزله ملوئاً له، فقال: لا بد أنك تمارحني.

هز (فراس) رأسه نفياً: أبداً، أنا على ما عاهدتك عليه، والتخدي قائم، إلا إن كنت أجبن من أن تخوضه بالطبع.

ارتسمت ابتسامة مأكرة على شفتي (غيث): حاشا وكلا، أنا أنت
لك الآن.

أنزل (غيث) هاتفه من على مسامعه ليشق طريقه خلال منزله
نازلاً على السلام حتى وصل للمدخل الرئيس لتفترق دفقا الباب
بعضهما عن بعض ليسقط نظره على وجه صديقه الذي لبس نظرة
تحدُّ مرحلة على معالمة، ولكن سرعان ما قام (غيث) بوضع أصبعه
أمام شفتيه مشيراً لـ (فراس) بالتزام الصمت، فقام الأخير بالإيماء
برأسه متفهماً قبل أن يوصد الباب من خلفه ليتبع صديقه حتى
وصلا لغرفته.

وضع (فراس) حقيبته على الأرض وجلس بجانبها، يدها
تغوصان داخلها لتخرجا محملتين بخرائط وأوراق غريبة بدأ بفردها
على الأرض: حسناً، ركز في ما سأقوله الآن. التولبا هو من صنع
أفكارك ويعتمد على قوة عقلك الباطن، تركيزك، وانتباهك.

غطست أنامل (فراس) داخل حقيبته وعادت هذه المرة تحمل
أربع شموع بيضاء، كتبت على كل منها كلمة باللون الأحمر، ووضع

كلًا منها في زاوية ليصنع معينًا حول المخطوطات الورقية المستلقية
على الأرض: للتولبا أربع ركائز، الغريزة، الاستقلالية، الشخصية،
والانعكاس الذاتي. لصنع تولبا متزن، يجب عليك زرع هذه
الصفات الأربع.

سأل (غيث) في حيرة من أمره: وما أهمية هذه الأمور في صنع
التولبا؟

تناول (فراس) ورقة وقلماً وناولهما لصديقه: ستقوم بكتابة
مواصفات التولبا الذي ترغب به هنا في الورقة، ومن ثم ستعاود
الحديث.

بدأ (غيث) بتقليب أفكاره يمينًا وشمالًا، إلا أن (فراس) كان يحثه
على كتابة كلمات مفتاحية أو وصف التولبا الذي أراده، فبدأ يخط
على الورق.

«وفي، مطيع، يقوم بحمايتي.»

تفحص (فراس) كلمات صديقه وقال مازحًا: كان باستطاعتنا
اختصار الأمر إن أحضرنا جروًا.

قهقهه اثناهما بينما وضع (فراس) الورقة أعلى أخواتها، ومن ثم
قام بإشعال الشمعات الأربع لتراقص السنة النار مخلقة ضياءً خافتًا

ينتشر في أنحاء الغرفة. سحب (فراس) شيئاً آخر من حقيته، إلا أن
(غيث) لم يستطع رؤية ماهيته من صغر حجمه، فظل مكانه يتنظر
حتى لمعت الإبرة تحت ضوء الشموع.

عقد (غيث) حاجبيه: وما نفعل بهذه؟

أجاب فراس: هذه الخطوة الأخيرة، قطرة واحدة من دمك لتتم
الشروط.

صمت (غيث) للحظة قبل أن ينطق: ألا تعتقد أن الأمر أصبح
أغرب من اللازم؟

تنهد (فراس): هل بدأ الخوف يسيطر عليك؟ حسناً، يمكننا
التوقف هنا إن اعترفت بصحة كلامي.

هز (غيث) رأسه نفياً ومد يده متحدياً، وما أن فعل حتى وخر
(فراس) إصبعه بحدة لتقطر الدماء على الصفحات الواقعة ما بينهما،
حدق (غيث) باللون القرمزي الذي بدأ يتشرب خلال الورق، ومن
طرف عينه رأى منظرًا مألوفًا في زاوية غرفته، التفت (غيث) ليرى
ذلك القزم الأسود الذي اعتاد الطواف حول فراشه، كان يجلس
محتضناً ركبتيه لصدره في زاوية غرفته يراقبهما بصمت.

توسعت حدقتا (غيث) مفزوعاً، دقات قلبه تتسارع، أراد أن
ينبه (فراس) ولكن الوقت لم يسعفه، ففي لحظة كان القزم مكانه في

الزاوية، وفي غمضة عين، وجدته (غيث) ينقض على المعين المرسوم
بالشموع، لتهايل تلك الأخيرة وتلتقي بالأرض من تحتها، مرسله
شعلاتها في كل اتجاه.

انتفض (فراس) من مكانه إثر سقوط الشمع المفاجئ، ليرى
أن ألسنة النيران بدأت تتعالى من على الأوراق، إلا أن (غيث) بدا
متوترًا ومشدوه الوجه، وكأنه مشيت الانتباه جراء شيء آخر.

صرخ (فراس): (غيث)! قم من عندك!

نهض (غيث) من مكانه عند سماعه لصياح صديقه وكأنه
استيقظ للتو، التفت من حوله يبحث عن حلٍّ لمعضلته حتى ألقي
نظره على مفرش سريريه فهرع ليسحبه من على الفراش ليقوم بإلقائه
فوق النيران بمساعدة (فراس). كادت النيران أن تخرق طبقات
القماش إلا أن حرمانها من الأكسجين أخمدتها، مخلِّفًا رائحة احتراق
تنته غزت حاسة شمهما بقسوة.

وقف كلُّ منهما بصدور متهدجة، يلتقطان أنفاسهما بصعوبة،
الفرع لا يزال يسيطر على أعصابهما.

قطب (فراس) حاجبيه: ما بها الشموع سقطت فجأة!؟

حديق (غيث) في صديقه: ألم تر ما حصل؟

ما أن قال ذلك حتى تبادل الصديقان نظرات متشربة بالقلق، بدأ (فراس) يحدق بالفوضى التي خلقاها هما، ومن ثم لصديقه الذي رغم اندلاع حريق أمام عينيه كان مشدوهاً، يصبوب عينيه لزاوية غرفته.

ازدرد (فراس) لعابه بصعوبة: رأيت شيئاً يا (غيث)؟

أخذ صدر (غيث) يرتفع وينخفض إثر أنفاسه، ثم بدأ يتجنب أعين صديقه الفاضحة، وهكذا عرف.

صاح (فراس): لقد فعلت أليس كذلك!؟ أخبرني ما رأيت!

رمى (غيث) برأسه للأسفل متفادياً النظر إلى (فراس) بشكل مباشر: ... الأمر ليس كما تظن، في الواقع أنا حتى لا أعلم ما هي طبيعة الأمر في هذه النقطة من الزمن.

ضرب (فراس) بيده على صدره: أنا صديقك يا (غيث)، لا أحد أجدر بالإنصات لمتاعبك مني!

خيم الصمت على المكان، كانت أفكار (غيث) تعصف به، إلا أنه تجلد وقرر الإفصاح عما رأى، وما كان يؤرق نومه في الفترة الأخيرة، حكى (غيث) التفاصيل لصديقه بينما التزم الأخير بالصمت التام، فقط يستمع ويومئ برأسه بين كل حين وآخر.

أضاف (غيث): لكنني لم أعلم إن ما كنت أراه فعلاً أم إن كانت إحدى حالات الهذيان...

أمال (فراس) رأسه للعبة البلاستيكية التي استقرت على منضدة بجانب السرير: ألم تأخذ أدويةك؟
أوماً (غيث) بالموافقة.

رد (فراس) بتهيج: إذا وكيف عساك تهذي؟! ألم يخطر على بالك أن ما ترى قد يكون أكبر من هذه الأمور الدنيوية البسيطة؟ أنك قد تتمتع بالرؤية؟!

خيم الصمت على المكان لوهلة، مضت ببطء كقطرة العرق التي تنزهت على جبين (غيث) حتى كسر الأخير ذلك الصمت: (فراس)، أنت تعتقد أن كل شيء أمر ميتافيزيقي، لا أستطيع الاعتماد عليك لحكم منطقي!

رد (فراس) بنبرة يتخللها الانزعاج: منطق؟ أهذا ما تريد؟

اجعل المنطق يفسر ما حصل للتو إذا!

زم (غيث) شفتيه بارتباك: حسناً، وكيف لك أن تفسر ما حصل

بحكم خبرتك في الماورائيات؟

أطلق (فراس) تنهيدة متحسرة: مما فهمته يا (غيث) هو أنك

ضحية لهذا الكائن أيّاً ما كان، كونه يحوم حولك لهذه المدة يظهر أنه

متعلق بك، يريد شيئاً ما ولكنني لا أعلم ماهيته، ولكن الأكيد هو

أنه لم يكن معجباً بطقوس التولبا.

هز (غيث) كتفيه: والحل؟

وضع (فراس) يده على ذقنه متفكراً: لا أعلم، ولكنني شبه متيقن

بأن ما تراه ليس حالة من حالات الهذيان، فأنا لم أرَ ما رأيت ولكنني

شهدت على تأثير ذلك الشيء بأم عيني، وهذا دليل كافٍ بالنسبة لي.

نظر (غيث) إلى صديقه بنوع من الإجراج: إذا، أنت لا تعتقد

أنني قد جننت؟

قطب (فراس) حاجبيه بالطبع لا، لقد رأيت الشموع تسقط من

تلقاء نفسها، ماذا أريد أكثر من ذلك؟

تنفس (غيث) الصعداء وكأن قلبه كان في حالة قلق دائمة
واطمأن للتو، لم يخف ذلك على (فراس) الذي وضع يده على كتف
صديقه مهدئاً من روعه: لا تقلق، أنا هنا، وأنا أصدقك، ولكنني
بدأت أقلق بعد رؤية هذه الأذية المستمرة من العالم الآخر.

هز (غيث) رأسه وكأنها يهز الأفكار السيئة من عليه: ماذا نفعل؟
وضع (فراس) يده على ذقنه متفكراً: لم تر شيئاً غير القزم؟
هز (غيث) رأسه بالنفي.

تنهد (فراس): إذا تجربة التولبا فاشلة، ولكننا اكتشفنا شيئاً آخر
بدلاً عنها، أنك تملك الرؤية، قد يكون هذا أكثر أمر حماسي حصل
حتى الآن! ولكن عليك بصلاتك والذكر يا (غيث)، فهذا قد يردع
ذلك المتقزم.

رد (غيث): حسناً، وماذا عنك؟

أمال (فراس) رأسه مستغرباً: ما بي؟

أجاب (غيث): أعني أنك كنت معي عندما هاجمنا هذا الشيء،
ألا تعتقد أنه سيقوم بمحاولة اقتناص فرصة النيل منك ونحن
متفرقان؟

بدا وجه (فراس) أكثر شحوبًا من المعتاد: أتعلم؟ ربما من
الأفضل أن أبيت عندك الليلة، حتى أستطيع الدفاع عنك إن حصل
شيء أو آخر.



@ART OF BOOK

لامس القلم سطح السبورة مخلفاً كلماتٍ ما على تلك المساحة
الناصعة البياض بينما كان الدكتور (مجدي) يسترسل في الشرح
للطلاب المجتهدين، ولكن الأحرف المنطوقة كانت تسبح في الهواء
بدون أن تجد مدخلاً لأذن المتلقي، فظل الدكتور يتحدث بدون أن
يفهم الثنائي المكون من (غيث) و(فراس) أي شيء.

كان سمعها مشوشاً، رؤوسها تغطس للأسفل إثر النعاس
ليحاول إعادة تعديل جلستها مرة تلو الأخرى، ولكن بلا فائدة،
فكانت أحداث الأمس مؤرقة أكثر من غضب الدكتور (مجدي).

أضيق الدكتور (مجدي) عينيه بانزعاج مما رآه فصاح بصوت
عالٍ: (غيث)!!، (فراس)!!

انتفض الثنائي من حدة تلك النبذة لينظرا إليه بعدم فهم واضح
على معالمها.

زفر الدكتور (مجدي) بحدة: واضح أن الدرس لا يهمكما؟
وضع (غيث) يده على فمه متثائباً بينما لوح (فراس) بيديه نفياً
قائلاً: بالعكس مهتمان جداً!

همهم الدكتور (مجدي): اهتمامكما واضح، بما أن الموضوع شيق
جداً بالنسبة لكما، أريد من كل منكما تسليمي بحثاً كاملاً في الغد،
تم مناقشته خلال فترة قيلولتكما.

تجمد الثنائي في مكانهما فهم (غيث) محاولاً إنقاذ الموقف: يا
دكتور، أنت أكثر طيبة من أن تطالبنا ببحث في ليلة وضحاها، أنت
واثق من ذلك!

قطب الدكتور (مجدي) حاجبيه: إن لم يسلمني كل منكما بحثاً
مفصلاً في الغد، فقوموا بتوديع درجاتكما.

حاول الثنائي التملص من الأمر بشتى الطرق، إلا أن الدكتور
(مجدي) كان مصرّاً بشدة ورفض الترحيح تماماً، فلم يكن منهما إلا
الاستسلام للواقع.

عاد (غيث) إلى منزله ذلك اليوم وشرع بالعمل على ما طُلب
منه لساعات طوال حتى باغته سواد الليل، لا شيء على المسامع إلا
أصوات عجلات السيارات بين كل حين وآخر.

كانت عيناه تشتكيان من ضوء جهاز الكمبيوتر الذي كان يعمل عليه، فقام بفركهما بكسل قبل أن يستقيم من مكانه ليرمي بنفسه على السرير، متناسيًا تمامًا كل ما حصل من أحداث، وكأن البحث الذي كان يعمل عليه هو أهم شيء في حياته حاليًا.

ما كانت إلا لحظات معدودة حتى استسلم للنعاس الذي أثقل جفنيه ليغطس في سبات عميق ظل فيه لوهلة من الزمن كان يصعب عليه تحديدها حتى هو، فكل شيء كان فوضويًا ومتداخلًا بعضه في بعض.

وبينما كان على ذلك الحال بدأت ضوضاء ما تشوش راحته، وما أن ميزها حتى طار النوم من أعينه وفتح مقلتيه على مصاريعها ليتفحص مصدر تلك الأصوات، ولكن في ظل ذلك الظلام الداكن كانت الرؤية صعبة.

أخذ يحيل بنظره من زاوية لأخرى، كل ما استطاع تتبعه هو أصوات الخطوات المألوفة.

وفجأة، توقفت الخطوات تمامًا، ظلت دقائق قلبه تتسارع بينما انتظر بصمت تام، أنفاسه متهدجة وفوضوية، حينها شعر بوزن ما يغرز نفسه على طرف فراشه، ثم بخطوة مرة تلو الأخرى من حوله

ببطء مريب، حتى شعر بالثقل على صدره، وبأنفاس تنثت على مقربة
شديدة من وجهه.

وبصوت متحشرج ومثير للرعب نطق القزم ٣ كلمات فحسب:
«أنت ملكي وحدي!...»

توسعت حدقتا (غيث) مما سمع، الدم متجمد في عروقه بينما
حاول الحراك مرارًا وتكرارًا إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل
الذريع، كان يلهث محاولاً الحفاظ على هدوئه ولكن قلبه كان يقرع
مكانه كالطبل المدوي، بينما انتصب الشعر على جسده مستنجدًا بلا
منقذ. ولكن الأنفاس التي شعر بها على وجهه كانت أكثر واقعية
من التجاهل، توقف (غيث) عن التنفس وأغلق عينيه بقوة مستسلمًا
لقدره.

وبينما كان على ذلك الحال، شعر بالوزن يتلاشى من على صدره
في ثانية وكأن قوة عارمة قامت باقتلاع ذلك الشيء من عليه ليصدر
القزم صرخة مدعورة مصاحبة لصوت ارتطام مدوّ على الدواليب
الخشبية الواقعة على الجهة الأخرى من الغرفة.

استطاع (غيث) رفع جذعه من على الفراش، أعينه ملتصقة بتلك المنطقة التي كانت تعلو منها أصوات غريبة لم يستطع تمييزها، ولكنه استطاع التقاط بعض الأمور، كنبرة خاضعة تقوم بالتوسل قبل أن تعلو صرخة أخيرة يتبعها صمت تام.

لم يستطع (غيث) الرؤية بوضوح في البداية، حتى بدأت أعينه تعتاد على تلك الظلمة.

هناك في زاوية غرفته وقف جسد سامق كان رأسه الذي علاه الريش يلامس سقف الحجرة، طويل الأطراف، شديد النحافة، يتغلغل جلده الريش كما على رأسه، ويصبح أكثر طولاً ليشكل جناحين عوضاً عن ذراعين، رجلاه محرشفتان وتمتد منها مخالب كبيرة وكأنها تنتمي لطير جارح، له ذيل يمتد من أسفل عموده الفقري، وأما وجهه فلا يحمل من المعالم الكثير، فلا يملك إلا عيناً واحدة ذهبية اللون تتوسط رأسه.

ذعر (غيث) ذعراً شديداً لتلتقط عينه جسد القزم الذي انقسم لنصفين مشوهين متمدداً على الأرض تحت ذلك المخلوق الآخر، وفي لحظات بدأ جسد ذلك القزم بالتبخر حتى اختفى تماماً، وبقي ذلك المخلوق و(غيث) يحدقان بعضهما ببعض بصمت تام.

ظل (غيث) جاحظًا محاولًا استيعاب ما رأى، حتى سقط على
فراشه مغشيًا عليه من هول الصدمة.

ما رأيك يا غيث؟

ما رأيك يا غيث؟

مستحيل أن أكون غيثًا يا غيث؟

تأملات

ألمة رشداً عند أي بابك رقم ليس بسنة مئة وخمسة

وقد لم يرنا جدياً من بابك يا غيث؟

ألمة رشداً عند أي بابك رقم ليس بسنة مئة وخمسة

وقد لم يرنا جدياً من بابك يا غيث؟

ألمة رشداً عند أي بابك رقم ليس بسنة مئة وخمسة

وقد لم يرنا جدياً من بابك يا غيث؟

ألمة رشداً عند أي بابك رقم ليس بسنة مئة وخمسة

وقد لم يرنا جدياً من بابك يا غيث؟

ألمة رشداً عند أي بابك رقم ليس بسنة مئة وخمسة

وقد لم يرنا جدياً من بابك يا غيث؟

ألمة رشداً عند أي بابك رقم ليس بسنة مئة وخمسة

افترق رمشا (غيث) بعضهما عن بعض بعد عدة لحظات من
مقابلة الظلام الدامس، ظن عقله في بادئ الأمر أن ما حصل قد
يكون كابوسًا، أو حتى هلوسة وهذيانًا، ولكن عندما بدأت أعينه
تبصر ما كان أمامه، تبخرت تلك الإيجابية المزيفة تمامًا.

كان ذلك المخلوق الطويل لا يزال يقف مكانه في زاوية غرفته بلا
حرك، يحدق به بعينه اليتيمة التي لمعت بلون أصفر مريب.

كاد (غيث) أن يفقد وعيه مرة أخرى لكنه ضرب يده على صدره
وتجلد مشجعًا نفسه على تماسك أعصابه.

ظل يحدق بذلك الشيء برهبة، محاولاً استيعاب ماهيته من
الأساس، أو السبب وراء وجوده هنا الآن، وعندها أضاء مصباح
ما في رأسه.

«هـ- هل أنت التولبا؟»

نطق (غيث) بنبرة يركبها الخوف، إلا أن القليل من القصول
يتجلى من ورائها.

أمال ذلك المخلوق رأسه بعدم فهم للسؤال المطروح عليه.

ازدرد (غيث) لعبابه وسأل سؤالاً آخر: ما مبتغاك؟

قوبل (غيث) بالضمت التام، إلا أن أعينها كانت لا تزال محقة
بعضهما ببعض، فهذا كل ما كان يستطيع (غيث) النظر إليه على أي
حال.

عندها أدرك (غيث) شيئاً فنطق مرة أخرى رغم أنه كان يعلم
بأنه لن يحصل على رد: أنت... لا تجيد الكلام؟

خيم الصمت على المكان مرة أخرى، عندها وفي حيرة من نفسه،
ترجل (غيث) من على فراشه وخطا بحذر تجاه ذلك المخلوق.

«وفي، مطيع، يقوم بحمايتي.»

هذه كانت الكلمات التي استعملها لصنع التولبا الخاص به، وما
أول شيء قام به؟

الدفاع عنه...

إذاً، فلا يمكن أن يقوم بأذيته، أليس كذلك؟

ورغم أن (غيث) يُعتبر شابًا فارعًا في الطول، إلا أنه بجانب هذا الشيء كان يبدو ضئيل الحجم، فرأسه كان يصل لرفقيه تقريبًا، ورغم اقتراب (غيث) منه لم يقم المخلوق بالحراك بتاتًا، فقط اكتفى بالتحديق به.

تفحص (غيث) ذلك المخلوق بهدوء، ذلك الريش الذي غطى جسده، ثم هوى برأسه إلى مخالبه المثيرين للرغبة، كان منظره مفرعًا للغاية، لدرجة جعلته يشكك في الشجاعة التي اعتلته عندما قرر الاقتراب منه لهذه الدرجة.

حاول (غيث) تجربة شيء مختلف، لعله يحصل على إجابة ما: أخبرني لم أنت هنا.

ظن (غيث) أنه إن قام بالمطالبة بصيغة الأمر قد يكون الأمر مختلفًا، فأحدي الكلمات المفتاحية كانت «مطيع» فلا بد من أن لذلك أثرًا ما عليه، إلا أن الهواء كان يخلو من أي موجات صوتية كان يأمل (غيث) باستماعها.

همهم (غيث) ثم أمر مرة أخرى وأشار بأصبعه إلى العلبة البلاستيكية على منضدته: اجلب لي تلك العلبة.

قام التولبا بتحريك رأسه في الهواء كالطائر ثم التفت إلى موضع
إشارة الشاب، فقام بأخذ خطوة واحدة كانت كفيلة بإيصاله
لوجهته من ضخامة رجله، ومن ثم رفع جناحيه اللذين حلا محل
الذراعين وقام بتحريكهما بصعوبة محاولاً التقاط تلك العلة ولكن
بلا جدوى، فانتهى بها الحال واقعة من على المنضدة وإلى الأرض.
ولكن ذلك لم يوقفه، فقام برفع مخبئه من على الأرض محاولاً التقاطها
ليدوسها تماماً وكأنه غير مدرك لقوته الجسدية، فتهشمت تلك
القارورة البلاستيكية تحت وزن رجله لتتشر الحبات البيضاء على
الأرض، حينها قام بالالتفات إلى (غيث) بحركة غريبة من رأسه كما
تفعل الطيور.

تيسر (غيث) مكانه ولكنه ما أن وقعت عينه على ذلك
الشيء حتى انفجر ضاحكاً، لم يكن هذا الشيء مهياً للمساعدة بتاتاً،
في الواقع، قد يكون أفضل ما يفعله هو القتل.

عاقبة

« إذا لقد نجحت التجربة! »

صاح (فراس) بأعلى صوته في عدم تصديق، صوت جعل
السلامة الآخرين يلتفتون إليهما بتعجب واستنكار.

وضع (غيث) يده على فم صديقه: نعم، ولكن لا داعي لأن يعلم
الجميع على العموم هذا ما حصل ومنذ البارحة كل ما يقوم به هو
ملاحظتي في الأرجاء وكأنه...

رد (فراس) بحماس: جروا! ألم أقل لك؟ أين هو الآن؟

أشار (غيث) بإصبعه للزاوية التي وقعت وراء مقعد (فراس)،
النزى الأخير بجسده محاولاً إيصاره ولكنه لم يَر شيئاً، ثم ترجل
من على كرسيه ووقف أمام تلك الزاوية وبدأ يميل برأسه ويضيق
ببنيه، ولكن ذلك لم يساعده.

عدل (فراس) نظارته وقال بنبرة جدية: حسناً... لا أستطيع
رأيه.

قام التولبا بتحريك رأسه في الهواء كالطائر ثم التفت إلى مرفق
إشارة الشاب، تقام بأخذ خطوة واحدة كانت كفيلة بإبصار
لوجهه من ضخامة رجله، ومن ثم رفع جناحيه اللذين حلا على
التوازيين وقام بتحريكهما بصعوبة محاولاً التقاط تلك العلبة ولكن
بلا جدوى، فالتهمى بها الحال واقعة من على المنضدة وإلى الأرض.
ولكن ذلك لم يوقفه، تقام برفع مخالبه من على الأرض محاولاً التقاطها
ليدوسها فإمّا وكأنه غير مدرك لقوته الجسدية، فتهشمت تلك
القارورة البلاستيكية تحت وزن رجله لتتشر الحبات البيضاء على
الأرض، حينها قام بالالتفات إلى (غيث) بحركة غريبة من رأسه كما
نفعل الطيور.

نيس (غيث) مكانه ولكنه ما أن وقعت عينه على عين ذلك
الشيء حتى انفجر ضاحكاً، لم يكن هذا الشيء مهيباً للمساعدة بتأنا،
في الواقع، قد يكون أفضل ما يفعله هو القتل.

رد (غيث) بالزجاج، ولم ظننت غير ذلك؟ والآن ارجع لكرسيك
قبل أن يراك أحدهم تحديق في الزاوية كالأبله!
استجاب (فراس) وعاد ليجلس أمام صديقه، ولكنه لم يخبر
بأي شيء؟

مز (غيث) رأسه بالنفي: لا أعتقد أنه يستطيع الحديث، هو لا
يملك فما من الأساس.

وضع (فراس) يده على ذقنه متفكراً: أو أنه كما قلت... جرر.

عند (غيث) حاجيه مطالباً بالشرح، فأكمل (فراس): ربما يكون
طفلاً، لذلك لا يجيد الكلام، ربما عليك تعليمه؟

ارتسم التعجب على معالم (غيث): أعلمه أنا؟ أعتقد حقاً؟

أوما (فراس) برأسه إيجاباً: في كثير من الحالات، فإن التوليد
ينم تعليمه من قبل سيده، يجب عليك قضاء الوقت معه في إرشاده
والترابط معه، وكأنه جرر فعلاً.

مز (غيث) رأسه متفهماً قبل أن ينادي عليهما الدكتور (مجدي)
بنبرة جافة، مشيراً لهما بأن يأتيا إليه بما طالبيهما به بالأمس، انتفض
الثاني من مكانهما وتناولا أبحاثهما لبشفا طريقهما إليه.

ما أن استلم الدكتور (مجدي) الأبحاث من كليهما حتى بدأ
يفلج بين الصفحات بنظرة مشمزة مما رأى، بينما حدق به الشابان
بصمت، يتبادلان النظرات الفلقة بين بعضهما وبعض.

رمى الدكتور (مجدي) المستندات على مكتبه بقسوة: هل هذه
مزحة؟

ارتعد الاثنان في مكانهما فبادر (غيث) بالرد: لا، أبداً يا دكتوراً
نحن نأخذ هذه المادة بجدية بالطبع.

رفع الدكتور (مجدي) أحد حاجبيه: أنا لا أرى ذلك، قوما بإعادة
كتابة هذه المهزلة.

اعترض (فراس): يا دكتور، أنت تعلم أن كتابة بحث كامل في
ليلة وضحاها أمر غير معقول، ولكننا حاولنا ولنا شرف ذلك على
الأقل.

صمت الدكتور (مجدي) للحظة ثم قال: حسناً، سامهلكما
يومين، فقط لا أكثر.

حاول (فراس) الحديث: ولكن يا دكتوراً

رفع الدكتور (مجدي) إصبعه مشيراً إلى (فراس) بالتزام الصمت.
لا مجال للنقاش، انصرفا.

خرج الثنائي من الجامعة ذلك اليوم بأعصاب مُتلفة وحقد يتغلغل في صدورهما، ولكنهما رغم طيشهما كانا طالبين نجيين حريصين على تعليمهما، فما كان منها إلا الاستسلام للأمر الواقع وتنفيذ ما طلبه منها دكتورهما.

عاد (غيث) ذلك اليوم ليقضي ساعات طويلاً على مكتبه محاولاً إنهاء أكبر قدر ممكن من هذا البحث الذي كان يثقل على كاهله، فظل جالساً مكانه يقلب بين الصفحات بين يديه وبين صفحات الإنترنت كما فعل البارحة.

ولكنه كان مرهقاً وحاقداً على هذا الدكتور الذي طالب بالمحال، وأكثر ما كان يثير حنقه كان رفعه لإصبعه مطالباً أعز أصدقائه بالصمت.
«من كان يحسب نفسه؟!»

كانت الفكرة المتجلية في فكره، وفي وسط تفكيره السوداوي بدأ يهمهم ويهمس كلاماً بين أنفاسه.
«جعله بالموت.»

علت أصوات الأحاديث الجانبية في القاعة الدراسية كالعادة في كل صباح بينما دخل (غيث) ليحيي صديقه ويأخذ مقعده بجانبه، ظلّ اتناهما يتناقشان البحث الذي كان يقض مضجعهما، بشتيمة أو اثنين موجهة للدكتور بين كل حين وآخر، وظلا على ذلك الحال لمدة من الزمن كانت تبدو أكثر طولاً من المعتاد.

وبما كانا على ذلك الحال، بدأت هواتف جميع من بالمكان تتراعد إثر الرسائل في المحادثة الخاصة بشعبتهم الدراسية، تناول (غيث) هاتفه لتغير معالم وجهه تماماً.

«بقلب راضية عن قضاء الله وقدره، انتقل إلى رحمة الله الدكتور (مجدي).»

حزن (غيث) بهاتفه في عدم تصديق ليلتفت إلى (فراس) الذي ظل مكانه مشدوه الوجه محققاً في هاتفه هو الآخر.

لم يستطع اتناهما استيعاب ما كان يحدث البتة، فكيف لذلك أن يحدث؟



لقد كان هنا فقط بالأمس يملي عليها ما عليها فعله.

بينما كان يجلس في صف العزاء خلال اليوم الثالث، سمع أحدهم
يجر أنخربان الدكتور توفي عن طريق سكتة قلبية، فتنفس الصعداء
وارتاحت هواجسه.

سأل (غيث) صديقه: هل هذه مزحة؟

انتهى آخر يوم من العزاء وغادر (غيث) منزل دكتورهِ المحرم
ليستغل سيارته عائداً للمنزل، كان بينه وبين نفسه بحمد ربه بأن
الأسباب تجلت من أمامه، بأنه لم يكن هو سبب وفاة دكتورهِ
الفاجئة، فكانت معنوياته أفضل بقليل من الأيام السابقة.

رمش (فراس) عدة مرات: ... لا يمكن، ولكن كيف حدث هذا
الامر فجأة؟!؟

وبينما كان يفكر بالأمر، شعر باصطدام مفاجئ من ورائه، هز
سيارته والأفكار من رأسه.

صمت (غيث) ولكن شيئاً واحداً كان يجري في باله، أدار وجهه
ناظراً للمخلوق الذي التزم مكانه في الزاوية بهدوئه المعتاد، هل
يعقل؟

نظر (غيث) للوراء ليرى سيارة أخرى قد التحمت بسيارته،
أطلق تنهيدة مرهقة قبل أن يوقف السيارة ويترجل منها.

هز (غيث) تلك الأفكار من رأسه، استحالة أن يكون الأمر
حقيقاً، لا بد أن الدكتور (مجدي) قد توفي إثر كبر سنه أو ما شابه،
أما أن يتم قتله على يد كيان غير إنساني؟ فأمر لا يصدق أي شخص.

اسلامات، سلامات.

نادى سائق المركبة الثانية الذي خرج هو الآخر من سيارته
ليفتحص الحادث.

خلال الأيام التالية، ذهب كل من (غيث) و(فراس)، بالإضافة
إلى عدد كبير من التلامذة الآخرين، لمراسم العزاء، ورغم شكه لم
يقوَ (غيث) على سؤال أحد معارف الدكتور عن سبب وفاته، ولكنه

بالانصال على أحد، إن أنتمو الخالفوني بضعفي قيمة الضرر
أحدثه بك! سادفع لك ما تحتاجه لإصلاح الضرر ولكن لا تقم
بالانصال على أحد أرجوك!

وقف (غيث) مكانه يعاين الضرر الذي حل عليه آملاً من قلبه
أن الأمر أبسط مما تخيل، ولكن لسوء حظه فكان الأمر عكس ذلك
تماماً، فالضرر لم يكن بسيطاً، بينما كانت سيارة الرجل الآخر سليمة
معافاة.

صمت (غيث) لوهلة متأملاً الرجل من أمامه، كان يرتدي
ملابس رثة، سيارته قديمة ومغبرة، لم يكن يريد أن يصعب حياة
شخص كان يعاني بالفعل.

سأل (غيث) بمعاتبه ممازحة: أخي، ما بك؟ ألم ترني أمامك أم
ماذا؟

أحرم على النار كل حين لين سهل قريب من الناس
كان هذا ما علمه إياه أبوه طيلة حياته، وكان (غيث) متطبعا جداً
بطبع أبيه، فلهذا رأسه موافقاً على مفضض.

حك الرجل رأسه وقال بنبرة أسفة: الصراحة، كنت على هاتف
ولم أنتبه لك.

أثار وجه الرجل مبتسماً ومد يده مصافحاً: شكراً لك، أنت لا
تعلم كيف أنقذتني من هذا المأزق! أنا (عمر)، وأنت؟

همهم (غيث) مستكراً: لا ينفع هذا يا رجل، لكن لا بأس، ريك
أخرجنا منها سالمين، ولكن على العموم لنقم بالانصال على الجهات
المعنية ليأتوا ويعاينوا الأمر.

صافح (غيث) يده: (غيث).

هنا، تيسر الرجل وشحب وجهه قليلاً: في الواقع أخي، أنا لا
أملك تأميناً...

رد (عمر) بابتسامة لا تفارقه: تشرفنا، سجل عندك هذا رقم
هاتفي، لتقابل صباح الغد، سأسلمك المال بنفسه نقداً.

ارتسم التعجب على معالم (غيث): وكيف يعقل ذلك؟

نه سأل الرجل محاولاً التملص من الأمر: أرجوك، لا تقم

استيقظ (غيث) صباح اليوم التالي واستعد للخروج في الوقت
المتفق عليه، فأخرج هاتفه من جيبه ليقوم بالاتصال بالرقم الذي
أعطاه إياه (عمر) بالأمس، ولكن الهاتف كان يرن بلا إجابة من
الجهة المقابلة.

- اعتذر عن الإزعاج، أنا (غيث)، لقد وقعنا في حادث أنا
والأساذ (عمر) بالأمس، وكان لدينا اتفاق مسبق على اللقاء
اليوم لتسوية الأمر، هل هو موجود؟

تعجب (غيث) ولكنه أحسن الظن، لربما كان لا يزال يغط في
النوم أو ما شابه، فظل يتصل مرة وراء الأخرى لعله يوقظه، لكن لم
يكن هناك أي تجاوب.

عقد (غيث) حاجبيه مترعجاً، أبعقل أنه كان يقوم بخداع
والتهرب منه؟

لقي (غيث) بالصمت من الطرف الآخر لعدة لحظات، حتى ظن
أن الخط قد قطع.

زفر بغضب مستر، ولكنه ظل يتصل مرة وراء الأخرى، في كل
مرة لا يجد رداً كان حقه يزيد.

- «الو؟»

«الو؟»

أخيراً، رد أحدهم على الهاتف، ولكن الصوت كان يسمى لسيدة
فارتبك (غيث) قليلاً ولكنه أكمل ما بداه.

- «رحمة الله عليه.»

قالت السيدة بحزن يتتاب صوتها، وكأنها على وشك البكاء.

- «السلام عليكم، أهذا هاتف (عمر)؟»

سأل (غيث) في عدم تصديق.

- «لقد قُتل! وجدته مقتولاً مقسوماً على الأرض! من يستطيع

فعل شيء كهذا؟»

- «توفي (عمر) مساء أمس.»

لم يستطع (غيث) تحمل وطء ما وقع على مسمعيه وأغلق الهاتف
على عجلة.

شعر (غيث) بأن ما يحدث لا يمكن أن يكون حقيقياً، فعقله كان
يضح بالآفكار الفوضوية، ورغم شعوره بالذنب إلا أنه أجبر نفسه
على السؤال:

وقع الصمت على المكان كفأس على حزمة من الحطب، قاطعاً
وقائلاً لكل شيء آخر.

التفت (غيث) يبطء لذلك المخلوق الذي ظل واقفاً في زاوية
غرفته كما اعتاد، بلا أي صوت أو حركة.

- «أحسن الله عزاءكم، ولكن إن كان بإمكانني السؤال، كيف
توفي؟»

«أهذه أفعالك؟»

سأل بغضب مستتر، رغم معرفته المسبقة بأنه لم يكن ليحصل على
جواب.

حينها، بدأت السيدة بالنحيب بصوت عالٍ، أنفاسها متهدجة
وكانت تتمتم كلاماً غير مفهوم بين كل شهيق وآخر.

أطبق (غيث) على أسنانه بينما ظل يحدق فيه وأعينه تشتعل نيراناً،
وكلمها استغرق وقتاً أكثر في ذلك، تعالت شعلات حنقه.

حاول (غيث) التهذنة من روعها ولكنها كانت في حالة من الهلع
وكانت تهمهم كلاماً غير واضح المعالم حتى نطقت:

- «لم فعلت ذلك؟ لم قتلته؟»

صرخ (غيث) متهيجاً، ولكن الجواب لم يأت، فقط عيني غارت
تخلق فيه مما زاد من انزعاجه.

- مهلاً، مهلاً، ما الذي حدث؟

- أنا لا أعلم، لست متيقناً، ولكنني أعتقد أنه السبب وراء موت

الدكتور (مجددي)، والآن فتك برجل لا حول له ولا قوة!

- احسناً، تنفس يا (غيث)، سأكون عندك بعد قليل.

- من طلب منك فعل ذلك؟ أنا لم أفعل! كيف تقوم بالتصرف

كما شئت؟!

سأل ولكن لا جواب يُسمع.

أغلق (غيث) الهاتف وتمتع فوق سريره معقود الذراعين، محققاً

هذا المخلوق الذي كان السبب وراء معاناته.

لم يطل الأمر حتى سمع (غيث) صوت الجرس، فقام من

مكانه بخطوات متعجلة لينزل السلام عندما لاحظ أباه متمتعاً

عند الطاولة بعث بهاتفه بينما تناول بعض العريكة بمتعة تخللت

أساريره.

تنهد (غيث) وقام بالنقر على هاتفه مرة أخرى قبل أن يفي

السماعة على أذنه.

- اهل ستموت؟ هذا المبرر الوحيد لاتصالك علي في هذا

الوقت.

رد صوت متعب في الجهة الأخرى.

ما أن رآه أبوه حتى حياه: صباح الخير، لم العجلة؟

ازرد (غيث) لعبابه: (فراس) على الباب فحسب.

مز أبوه رأسه متفهماً قبل أن يسأل: حياه الله، هل تعاركتما أم

ماذا؟

- (فراس)، يجب أن ننفي هذا الشيء إلى حيث أتى!

رد (غيث) بنبرة متزعجة.

نعجب (غيث): لا، لم تعتقد ذلك؟

هز أبوه كتفيه: سمعت صوتك يرتفع، على غير عادتك.

نيس (غيث) للحظة قبل أن يلبس ابتسامة مصطنعة: لا،

كنا نمزح أنا وهو على الهاتف فقط، لعلني تخمست أكثر من اللازم.

أوما أبوه برأسه: حسناً، لا تطل على الفتى.

توجه (غيث) للباب محاولاً استجماع نفسه ليدو هادئاً.

والده، ليدخل (فراس) على عجلة قبل أن يتوقف مكانه عندما رأى

والد (غيث) أمامه، فترك ما بيده من أغراض وهم بالسلام على

بحرارة معانقاً إياه وكأنه والده هو، انتهى (فراس) من إلقاء النجاة

وتبادل بعض الأحاديث قبل أن يستأذن الثنائي ويتوجها للأعلى

حيث غرفة (غيث).

ما أن دخل (فراس) حتى رمى بالأكياس بين يديه على الأرض

وسأل (غيث): أين هو؟

رد (غيث) بلا مبالاة: كالعادة.

فهم (فراس) أنه يقبع في الزاوية، ولكنه قبل أن يقوم بالبدء

بهذا الأمر كان عليه أن يستفسر أكثر عن السبب: (غيث)، ما الذي

حصل؟

أطلق (غيث) تنهيدة متحيرة قبل أن يشرح له كل ما حدث،

بينما استمع (فراس) بفك كاد يسقط للأرض من هول المفاجعة.

ولكن (فراس) كان لديه وجهة نظر أراد إيصالها: لكن يا

(غيث)، يبدو أنه فقط يود حمايتك، فهو كما فعل مع ذلك القزم،

يقوم بالقضاء على أي شيء يؤذي.

فطلب (غيث) حاجبيه: أئذافع عنه؟

هز (فراس) رأسه بالنفي: لا، بالتأكيد. لكنني أعتقد أن التولبا

يجب أن يتم تعليمهم على ما عليهم فعله من قبل الشخص الذي

استدعاهم.

رد (غيث) وكأنه ينفث سماً: إنه وحش، أريد إبادة!

لم ينتظر (فراس) أكثر من ذلك، فقام بإخراج الشموع من

الأكياس وترتيبها كما فعل في السابق، ومن ثم أخرج أوراقها

لـ (غيث): عليك كتابة كيف تريده أن يموت.

رمش (غيث) عدة مرات ولكنه تناول الورقة على عجلة وظ

عليها:

ظلا على ذلك الوضع لعدة لحظات قبل أن تبدأ شعلات

الشموع بالتراقص بشكل غريب، أجفل الثاني ناظرين لتلك

الحركة الغريبة، ثم بدأ (غيث) يلاحظ بعض التحركات الغريبة

في أنحاء غرفته.

ظلال قصيرة، وبعضها طويلة، تجري بشكل سريع في الأنحاء،

بينما تداخلت بعض الهمسات بعضها ببعض على مسامعه.

«أن يجتني وينبخر من الوجود تمامًا»

ارتبك (فراس) عندما رأى بواذر ذلك الهلع تظهر على وجه

صديقه بدون أن يعلم عن السبب وراءه: ما الأمر يا (غيث)؟ هل

حصل شيء؟

وضع (فراس) الورقة بين الشموع المشتعلة وفطر دم (غيث) كم

فعل في السابق، وظل اثنائهما مكانهما ينتظران بصمت تام، ولكن

بحصل شيء.

كان (غيث) يراقب تحركات الظلال الكثيرة يلتفت يمينًا ويسارًا

بينما زادت أعدادها: هناك أشياء غريبة تحوم في الأرجاء، لا أعلم

ماهيهم، لكنهم يتكاثرون!

توسعت حدقتا (فراس): يتكاثرون!؟ كيف ذلك!؟

رد (غيث) بتردد: لا... لا أعلم.

سأل (فراس) غير قادرٍ على رؤيته من الأساس: ألا يزال

موجودًا؟

أوما (غيث) برأسه عابسًا.

نطق صوت منحسرج من فوق (غيث)، وفعه وحده بفشعر
الأبدان.

وفجأة، أحس (غيث) بوزن ثقیل یلقى بنفسه علیه عندما
أحد الظلال بالقفز علی صدره لیطرحه أرضاً، بينما ثبت کتفیه بفرجة
مهولة.

نرست حلقنا (غيث) برعب یجری فی جسده مجرى الدم، لم
يستطع الحراك، لم يستطع الصراخ، لم يستطع فعل شيء.

«(غيث)»

فتح ذلك الشيء فكه الكبير، وكأنه علی وشك تناول قضمة من
الشاب.

صرخ (فراس) بينما حاول القيام من مكانه ولكنه لم يستطع،
حاول الحراك مرة تلو الأخرى لكن جسده أبى ذلك، ورغم أنه
يستطع رؤية شيء إلا أنه شعر بعدة أيادٍ ثقیلة تقوم بتقييد رجله فی
مكانها.

«لا، لا يمكن! هل هذه نهايتي!؟»

كان ما جرى فی رأس الشاب الذي لم یقوَ حتی علی مقاومة الموت
الذي كاد یفتك به.

أغلق (غيث) عينیه بقوة، وكأنه إن تجنب النظر للموت، فلن
يأتيه.

حاول (غيث) الحراك ولكن القوة العارمة التي قبضته أرضاً أبنت
أن تترحزح، ولكنه رأى.

رأى تلك العالم الریبة، ذلك اللسان الطویل الذي بدا كلسان
أفعى یمخرج من بین فك كبير یقوم بالحرم من حوله لیلامس وجهه.

حينها شعر (غيث) بقطرات دافئة تتناثر علی وجهه، فتح عينیه
باحثاً عن إجابات لیری ذلك الشيء یبصق دمًا أسودً بينما ظل
منجمداً مكانه، وكأنه فی حالة من الصدمة.

«لم أعتقد أنى سارى زوهریاً مثلك فی حباتى»

تنازلت أعين (غيث) ليرى أن جسد ذلك المخلوق تم اخراجه
من قبل مخلب عملاق قبل أن تنطبق المخالب بعضها على بعض
لينقسم جسد ذلك المخلوق إلى نصفين ويتهاوى للأرض، تاركاً
(غيث) ليلتقط أنفاسه بصعوبة.

رفع (غيث) جذعه من على الأرض ناظراً المنقذه، ذلك المخلوق
الذي أراد التخلص منه قبل لحظات، ومن ثم لـ (فراس) الذي
حلق به بتخوف بينما قامت أياد كثيرة سوداء اللون بثبيت قلبه
للأرض.

وما أن رأوا ما حصل لصديقهم حتى تجمدوا مكانهم في عدم
استيعاب، ولكن المخلوق المجنح رفع رأسه للسماء وأطلق صرخة
مدوية ومتوحشة ترددت بثقل على مسامع الموجودين حتى كادت
تخترق آذانهم، حينها علت صيحات أصحاب الأيادي المفروعة
ليقوموا بالاختفاء واحداً تلو الآخر بينما وضع كل من (غيث)
و(فراس) أيديهما على آذانهما من هول ما سمعا.

مرت لحظات ثقيلة وصامتة، وما أن هدأت الأوضاع حتى أفاق
كلاهما من الصدمة لينظرا بعضهما إلى بعض بحيرة من أمرهما.

ولكن (غيث) انتبه لأمر ما، فسأل صديقه: هل سمعت ما
سمعت؟

أوما (فراس) برأسه إيجاباً: ما الذي حصل؟

كان ذلك آخر ما تبادلته الاثنان قبل أن يُفتح باب الغرفة على
مصراعيه ليكشف عن والد (غيث) الذي لبس نظرة قلقة للغاية:
هل أنتم بخير؟

انفص الثاني من مكانها ولكنها سرعان ما حاولا استجماع
أنفسهما، فأجاب (غيث): كل شيء على ما يرام، ما بك أبي؟
رمش الأب عدة مرات في عدم استيعاب: لا أدري... سمعت
صرخة غريبة ومفروعة اقشعر لها بدني!

تدخل (فراس): نعم، نحن سمعناها أيضاً آتية من الخارج، لا
نعلم من أين أنت!

سال الأب بفضول: حقاً؟ ما يمكن أن يكون الأمر؟

هو الثاني أكتافها بعدم معرفة.

لوح الأب بأصبعه أمراً: ابقيا مكانكما، سأذهب للاطمئنان على
الجيران.

أجاب الاثنان بأن واحد: حاضر.

غادر أبو (غيث) المكان فور قوله ذلك، تاركاً باب غرفته مفتوحاً
على مصراعيه.

- ألم أخبرته بأننا سمعناها أيضاً؟ كان من الممكن أن تنكر الأمر
تماماً!

فمس (غيث) لصديقه.

- لا أعلم لقد نوترت!

هز (فراس) كتفيه.

وبينما كانا على ذلك الحال بدأت تموجات ما في الهواء تجذب
أنظارهما، نظر اثناهما للبخار الذي بدأ يتعالى ومن ثم للجنة التي
بدأت تتحلل متحركة للدخان كثيف حتى اختفت تماماً وسط دهرلها.

- اهل انتم بخير!؟

نادى صوت لطيف ليلتفت اثناهما للباب لتقع أعينهما على
(جنى) التي لبست تعبيراً مرعوباً على وجهها.

وقف (غيث) مطمئناً: (جنى) لا داعي للقلق نحن بخير، اعتقد
أن الصوت كان من الخارج.

عقدت (جنى) حاجبيها بينما تأملت في أرجاء الغرفة: هل كتبنا
للدخان؟

نوسعت حدقتا كل من الشابين بينما نظرا بعضهما البعض بتوجس
قبل أن يرفع (فراس) يده متظاهراً بالاعتراف: في الحقيقة كنت أنا،
إنها مجردة سبجارة إلكترونية.

عقدت (جنى) ذراعيها: (فراس) هذا الأمر مضر بالصحة ماذا
بلاك؟ ولا تكن تعتقد أنك ستجبر أخى لهذا الأمر معك!

رفع (فراس) كلتا يديه في الهواء مستسلماً: أعلم، أعلم، أنها عادة
سيئة وأنوي إيقافها، ولا داعي للقلق على أخيك فهو سه بالنادي لن
يسمح له بالإضرار برتيه بهذا الشكل.

قالت (جنى) بنبرة ساخرة: ربما عليك الانضمام للنادي الآن
الأخر إذا.

زم (فراس) شففيه بابتسامة محرجة: أنت محقة، (غيث) كان
يحاول إقناعي منذ مدة على أي حال.

هزت (جنى) كتفها: لأسباب واضحة، على أي حال. سأقوم
بإعداد الإفطار، هل أقوم بحسابكم معي؟

أوما (فراس) برأسه موافقاً بحماس عارم. وهذا كل ما تطلبه
الأمر لتنتقل (جنى) للمطبخ بالأسفل تاركة الاثنين.

ضرب (غيث) رأس صديقه هامساً: أهذا كل همك الآن؟
بطنك؟!

تمسك (فراس) بموضع الألم: إذا كنت ستسبب بصدماتي
العاطفية، فأقل ما عليك فعله هو إطعامي! ولكنني في الحقيقة لا
أفهم ما حصل، أخبرني؟

أطلق (غيث) تنهيدة عميقة بينما تأمل في المخلوق الذي لا
يزال ملتزماً زاويته: أعتقد أننا استدعينا كيانات أخرى عوضاً عن

التخلص من هذا البيغاء، ولكن لو لم يتدخل هو وينقذنا أعتقد أنني
كنت سأكون أسبح في أمعاء شيطان ما.

نهض (فراس): إذا نظرتي صحيحة! أنه يقوم بالتخلص من أي
شيء يقوم بإيدائك، أنه يحميك!

زفر (غيث): أي حماية هذه يا (فراس) إن كانت تفتك بالقوي
والضعيف؟

أجاب (فراس) بثقة: لهذا يجب عليك أن تعلمه ما يجب فعله!

تذمر (غيث): أنجبت على غفلة؟ علي أن أقوم بتربيته الآن؟

هز (فراس) كتفيه: أعني، إن لم تستطع التخلص منه، فقد يكون
هذا الحل الأمثل الآن.



طغيان

«لا يزال قاتلاً، حتى إن دافع عني!»

كانت هذه الفكرة المهيمنة على تيار أفكار (غيث) في الأيام التالية لتلك الحادثة، كان هذا ما يقوله لصديقه (فراس) ولكن الأخير أجاب بجملة واحدة:

«نحن لا نستطيع التخلص منه على أي حال، فلم لا تبدأ بتعليمه؟»

هذا ما كان يردده على مسامع (غيث)، ولكن الأمر لم يكن بتلك السهولة بتاتاً.

وكيف له أن يتعامل مع مخلوق قاتل سفك بحيوات أشخاص أبرياء؟

لم يستطع التعامل معه بالطريقة التي كان يتم تشجيعه عليها بتاتاً، رغم محاولات عدة، كان لا يزال يشعر بطيف من الخطر من حوله، فكلما رآه نفرت أعينه من عليه، حتى بدأ بتجاهله تماماً.

إلا أن الخوف من نزعاته المفاجئة كان يسيطر على (غيث) بشكل كبير، فلم يكن يعلم من سيكون ضحيته التالية، حتى وإن كان الضرر، فأصغر أنواع سوء التعامل من الآخرين كان فكرة مرعبة بالنسبة له.

ورغم توسل (فراس) له بشتى السبل، إلا أن (غيث) كان مصرًا على الخلوة بنفسه والابتعاد عن العالم الخارجي بأقصى الطرق، فبدأ الأمر بحجج واهية يرميها حتى لا يشكك فيه أحد، ثم تسرب الأمر لجامعته فلم يعد يحضر بتاتا، حتى في منزله كان يلتزم بغرفته ونادرا ما يخرج منها.

في كل مرة يحاول أي من أبيه أو أخته الحديث معه يجده غارقا في كتب غريبة المظهر، محاطا بشموع عدة.

الشخص الوحيد الذي كان قادرا على الحديث معه كان (فراس) الذي كان يزوره بشكل معتاد، في كل مرة يجربان معا طقوسا جديدة لمحاولة التخلص من ذلك المتطفل، ولكن جميع محاولاتها باءت بالفشل. ظل (غيث) على ذلك الحال لما يقارب أسبوعا وعدة أيام، أيام مضت في محاولات أبيه وأخته لمعرفة أسباب تصرفاته الغريبة التي بدت لهما وكأنها انت من العدم، ولكن لا فائدة، لم يجز (غيث) على إخبارهما بشيء وفي قرارة نفسه كان يخشى استنكارهما لما كان يمر به

من خوارق للطبيعة، فكان يعلم بأنهما سيخبرانه بأنه يهذي لا أكثر وبأنه عليه الالتزام بأدويته، فلم يقم باتهمان أي كان، إلا (فراس).

- «هيا يا ولدي، لتخرج من غرفتك قليلا وتأكل معنا؟»

وقف أبوه على بابه لا بسا تعبيراً ينم عن القلق.

- «بالعافية، أنا سأكل لاحقاً.»

ابتسم (غيث) بضعف محاولاً إخفاء ما كان يمر به من صعوبات.

- «كما تريد، أنا وأختك بالأسفل إن رغبت بالانضمام إلينا.»

أطلق أبوه تنهيدة عميقة متحسرة جعلت (غيث) يراجع قراراته.

- «أتعلم؟ لقد أدركت للتو أنني أتضور جوعاً.»

قال (غيث) بينما ترجل من كرسيه ليتبع أباه للأسفل حيث كانت أخته.

أخذ (غيث) مكانه على مائدة الطعام لأول مرة منذ أسبوع،
شاهد أخته (جنى) تحضر له طبقاً من الطعام الشهى الذي اعتاد
وسط نظرات قلقة بينها وبين أبيها كانت واضحة رغم محاولات
إخفائها لها.

سألت (جنى) بقليل من الفضول: ما الذي جعلك تخرج من
غرفتك؟

صمت (غيث) للحظة ثم قال بصوت ضعيف: ... اشتفت
إليكما.

لم تستطع (جنى) مقاومة تلك النبوة البائسة التي لم تعتدها من
أخيها، فقامت بوضع طبقه أمامه قبل أن تقوم بعصره في احتضان
حار جعل (غيث) يتجمد للحظة قبل أن يبادلها العناق مقاوماً للدمع
الصهيد الذي بدأ يشوش رؤيته.

حاول أبوه الحديث: يا بني، نحن قلقون عليك، ما الذي انتابك؟
أخبرنا فقد نستطيع مساعدتك!

نطق (غيث) بصعوبة: ... أنا... أنا...

جنبها فاطمهم صوت شديد وثقيل الوطء: لا تلمسي ذاك المبدل
بانثاء!

التفت الجميع لمصدر الصوت لتقع أعينهم على والدتهما الدائمة
النهم نفث عند أحد الأروقة وكأنها كانت تنصت إلى حديثهم
متطرة اللحظة الحاسمة لمقاطعة ذلك التجمع العائلي الدافئ.

نظ الأب حاجيه ونادى: يا (سعاد)! اتركيها مع الفتى لم
نصدق أنه خرج مما كان فيه!

طنطنفت الأم بلسانها مبينة انزعاجها من موضوع الحديث: وما
هك أنت؟ يجب عليه أن يكون شاكراً أنه يحظى بمنزل يؤويه من
الأساس!

أطلق الأب نظرة مترعجة تجاهها: اتركيها أنا أنحمل الأمر إذا.
نشرب الحقد على معالم الأم بشكل مريب: ليتعفن في غرفته طيلة
حياته، لا أريد رؤيته ووجوده في المنزل لا يرضي أباً من كان! فهذا
المبدل ليس ولدًا لي!

قالت ثم ختمتها ببصقة على الأرض لتظهر احتقارها للفتى.

نيس جميع من كانوا حول المائدة في صدمة من تصرفها، فكانوا يعلمون بأنها لا تطيقه ولكن أن تصل لهذه الدرجة من الوقاحة؟
فكان أمراً جديداً.

ويطير في عينيه رأى (غيث) طيفه، طيف ذلك المخلوق بغيره
بالتحرك باتجاه أمه بسرعة مهولة،

حتى وقف أمامها ليرفع أحد جناحيه للأعلى،

توسعت حدقتا (غيث) عندما أدرك ما كان على وشك أن يحصل

الرعب يجري في شرايينه مجرى الدم،

قلبه ينبض متسارعاً على وشك الوقوع خارج صدره.

وقف (غيث) من على كرسيه ليمد ذراعه في الهواء صارخاً بأعلى

رئتيه: لا!!!

توقف كل شيء بينما أصدت صرخته من على الجدران حتى
تبددت في الهواء وكأنها لم تكن، توقف التولبا عن الحراك تماماً لعدة
ثوانٍ قبل أن ينزل جناحه ليوازي جسده مرة أخرى ويستعد عن أمه
التي وقفت في مكانها لابساً تعبيراً متفرزاً، بينما حلق أبوه وأخته به
وكانه مخنل.

بينما كان هو يحاول إنقاذ حياة أمه من بطش ذلك الكائن، لم يكن
ذلك ما يراه الآخرون من حوله.

تحدثت الأم وكأنها تبصق سماً: أترى؟ لقد أدخلت مجنوناً لبيتنا!

كان آخر ما قالته قبل أن تختفي في ظلمات الأروقة ليعم الصمت
في الأرجاء.

وقف (غيث) مشدوه الوجه، غير مدرك لما كان بإمكانه فعله

في هذه المرحلة من الزمن، فوقف مكانه متسماً بينما جرت منات

الإنكار في رأسه، ولكن لم تكن إحداها قادرة على إصلاح ما حدث

للنور.

وقف هناك، تائهاً، غير قادرٍ على إخبار أعز الناس على قلبه عن

المآسي التي كانت تنهش في لحمه بوحشية، ومن كان ليصدق ما كان

يحدث معه؟

ساد الصمت الموحش المكان لوهلة من الزمن حتى كسره أبوه
بنبرة يسودها القلق: لنعد إلى الديار يا بني، لعل الهواء العليل يصفي
أفكارك.

سأل (غيث) بنبرة ضعيفة: الديرة؟

أوما أبوه برأسه: فقط أنا وأنت، لندع الفتيات في المنزل ولنذهب
نحن لعلك بحاجة لقسط من الهدوء والراحة.

لم يكن (غيث) أحق، فأدرك سريعاً السبب القابع وراء هذا
الاقتراح.

كان يعلم ما كان يدور في رأس أبيه، فرغم محبته العميقة له إلا أنه
بدأ يقلق على ابنته وزوجته من تصرفاته المريية التي ظهرت فجأة، ولم
يكن (غيث) لينكر أنه قد يجد بعض الارتياح في مكان منعزل بعيداً
عن البشرية ككل حتى يتمكن من التصرف حيال هذه اللعنة الموبقة
التي كانت تحوم حول رأسه، فأوما برأسه موافقاً على مضمض.



@ART_OF_BOOK



الديرة

كان قرار العودة إلى ديارهم بعد كل تلك السنين أمراً صعباً لكل من (غيث) وأبيه، فكان الفتى يكاد لا يعلم شيئاً عن تلك البيئة إلا قليلاً، وأما أبوه فكان معتاداً على الذهاب بين كل حين وآخر لزيارة والدته ولكنه توقف عن الذهاب في الفترة الأخيرة متعذراً بانشغاله، ولكن (غيث) كان يعلم بأنه لم يرغب بالذهاب من الأصل، ولكنه رفض الإفصاح عن الأسباب الحقيقية وراء ذلك، ولم يكن (غيث) مهتماً بمعرفة التفاصيل على أي حال فتجاهل ذلك الأمر ككل.

كان الطريق طويلاً ومرهقاً، ولكنها أخيراً وصلاً إلى أحد المنازل التي وقعت على مشارف قرية رجال ألمع، وهي قرية تراثية تقع في محافظة رجال ألمع الواقعة بمنطقة عسير جنوب غرب السعودية.

كانت رياح فترة ما بعد الظهر باردة وتداعب خصلات (غيث) بينما ترجل من السيارة حاملاً حقائبه، محدقاً بالمنزل الذي تكون الآن من ثلاثة طوابق، ورغم أنه قد مر بمراحل عديدة من إعادة الترميم، ولكنه حافظ على رونقه التراثي، إذ بُني المنزل من الحجر وتزين بنوافذ خشبية ملونة، محاطاً بحقول خضراء مزروعة وبهضبات

بارزة، توزعت بضعة أكواخ صغيرة في المكان أيضًا، بعضها يحتوي على أدوات، والآخر منزلٌ لبعض الدواجن والماشية.

كان (غيث) على بينة مسبقة بأن أهل أبيه يعيشون بمزرعة، ولكنه لم يتوقع كونها بهذه الضخامة أبدًا.

سأل أبوه مفعماً بالحيوية والحماس: ما رأيك؟ أليس مرجحاً للأعصاب؟

أوماً (غيث) برأسه موافقاً: لم أدرك حجم هذا المكان من قبل.

رد أبوه: لن تصدق كيف كان يبدو في السابق، كان مجرد كوخ ضئيل يتوسط هذه الأرض وبعض النخل هنا وهناك.

قال أبوه قبل أن يبدأ بشق طريقه باتجاه ذلك المنزل، ولكن تلك الكلمات أوقعت (غيث) في ارتباك شديد.

رفع (غيث) رأسه وبدأ يمعن النظر في تلك التفاصيل التي أحاطت به وكان مصباحاً أضاء في رأسه، تلك الهضاب والحقول الواسعة التي اكتسبت بالخضرة إن كانت يوماً ما سهولاً متواضعة، فهي تطابق تلك الصورة التي لازمته.

تلك التضاريس لم تكن غريبة عليه أبدًا، في الواقع كانت مألوفة
كثير من اللازم، إذا تخيلها (غيث) في رأسه، فهي توافق ذلك
الكابوس الذي كان يراوده منذ الصغر تمامًا.

توقف (غيث) في مكانه متبسمًا حيث وقف يصارع أفكاره، جزء
منه يستنكر تلك الفكرة تمامًا، والآخر يصرخ مؤيدًا.

التفت الأب إلى ولده الذي بدا مشدوه الوجه، يحدق في الفراغ
فاغترافاه فنادى عليه: كل شيء على ما يرام؟

أفاق (غيث) من ضباب أفكاره وحدق بأبيه متوجسًا قبل أن
يسأل: أبي، أين ولدتي أمي؟

شحب وجه أبيه من سؤاله وكأن الدم المتدفق في شرايينه توقف
عن السريان ولكنه سرعان ما التفت موجهًا نظره إلى المبنى من
أمامه مرة أخرى: وهل هذا وقت طرح الأسئلة الغريبة؟ أسرع هيا
ستأخر على جدتك.

ارتسم الارتباك على معالم (غيث): أبي...

ولكن أباه أصر على نقطته واشتدت نبرته: ليس الآن يا (غيث)!

رد أبيه كان يزيد من شكوكه تجاه الأمر، ولكنه لم يكن يريد إثارة
غضبه أكثر مما فعل بالفعل، فعزم أمره بأن يتقصى الموضوع بطرق
أخرى لاحقاً.

شق اثناهما طريقهما للمنزل وما أن وصلا إلى المدخل حتى قابلهما
باب حديدي أسود اللون فُتح على مصراعيه لتقابلهما سيدة ترتدي
رداءً تقليدياً للمنزل، كان شعرها شديد السواد، طويلاً ومجدلاً،
وعلى معالمها ارتسمت ابتسامة عريضة بينما حيتها بحرارة.

سلمت السيدة على الأب بحرارة: أهلاً وسهلاً، لقد اشتقنا إليك
يا (ربيعة)!

سلم الأب على أخته بحنان: وأنا إليكم، وهذه المرة أتيتكم
بضيف شرف!

التفت العمة إلى ابن أخيها وأثار وجهها بالحياة وسارت إليه
لتحتضنه بقوة: (غيثي)! يا الله انظر إليك، أكاد لا أصدق كيف
كبرت!

ابتسم (غيث) واحتضن عمته: اشتقت إليك أيضاً عمة (هناء).

قاطع الأب لم شملهما بالسؤال: (هنا) أين هي والدتي؟

التفتت إليه أخته لتشير للأعلى: هي كما تعلم، لم تعد قادرة على نزول السلالم، فعليكما الذهاب إليها.

أوماً الأب برأسه متفهماً وأشار بيده لولده مشيراً له باتباعه،
ففعّل.

تسلق ثلاثتهم السلالم، سالكين بعض الممرات الطويلة، حتى وقفوا أمام باب موصل. وقفت العمة (هنا) وراء الباب لتطرقه بلطف مستأذنة بالدخول، حتى سمعت الرد بالإيجاب من الجهة المقابلة، فدفعت مقبض الباب برفق لتكشف عن غرفة بسيطة، في إحدى زواياها فراش متواضع، وفي زاوية أخرى مقعد كبير تمعدت عليه عجوز متغضنة المعالم، ترتدي رداءً يشابه رداء ابنتها، والعديد من الأساور الذهبية التي أصدرت صوتاً كلما تحركت بأي شكل من الأشكال، كانت تستمع لمحطات الراديو على جهاز قديم، وما أن رأت ضيفهم حتى خفضت الصوت بأناملها المتوجة بصبغة الحناء وأسدت رجليها من على كرسيها ببطء وصعوبة حتى ساعدتها ابنتها بمناولتها لعكازها.

ما أن رآها (غيث) حتى لمعت فكرة ما في رأسه، فكلمها تمنع في
معالمها لفترة أطول بدأت النقاط تتصل بعضها ببعض، كانت مألوفة
جدًّا، بل مألوفة أكثر من اللازم، وكأنه كان يراها في منامه بين فترة
وأخرى.

قال الابن ملوحًا بيده: يا أمي، لا تجهدي نفسك، ابقِ كما أنت.
ولكن العجوز كانت ذات شخصية قوية: أبدًا، علي أن ألقى
السلام على حفيدي.

سأل ابنها مما زحًا: وابنك؟

ردت الجدة بينما أخذت خطواتٍ صغيرة بعكازها: سبق وأن
شبت منك أنت، أما حفيدي فلم أره منذ سنين!

تجاهل (غيث) تلك الأفكار التي بدأت بالتراكم وانحنى ليلقي
السلام على جدته ويقبل رأسها قبل أن يسألها: كيف هي أحوالك
يا جدتي؟

ردت الجدة: بخير ما دمت بخير، ولكنك قد كبرت يا بني
وأصبحت رجلًا، ألا تزوجك؟



تشربت الحمرة على وجنتي (غيث) من الحرج: جدتي، أنا أسأل
عن أحوالك أنت، أما عروسي فموضوعها لا يزال بعيد المدى.

تذمرت الجدة: بل على موضوعها أن يكون قريباً، أنت الوحيد
القادر على إكمال النسل، الإنجاب والخلفة أمر ضروري ولا شك
فيه.

حاول الأب مراوغة السؤال مماًزحاً والدته: أمي، كيف هي أمور
المزرعة؟ لقد سمعت بأن العمال يسمعون أصواتاً غريبة في تالي الليالي
من الأرض المجاورة، هل من الممكن أن يكون المكان مسكوناً؟

لوحت الجدة بيدها: ما أشد حبهم للمبالغة، لا تستمع إليهم،
جيرانا ناس طيبون ولم نر منهم إلا كل خير، وابنتهم آية من الجمال،
لعلها تصلح للفتى.

لطم الأب وجهه مستسلاً، يبدو أنهما لن يتمكنوا من الهروب من
موضوع الزيجة اليوم، ولكن (غيث) التفت إلى عمته على عجلة
وطلب منها أن تريحه غرفته وأن تعطيه جولة على المكان حتى يتعرف
عليه بشكل أفضل، فوافقت على الفور واستأذن كل منهما لينقذا
بجلدهما، تاركين الأب والجدة معاً وعلى انفراد.

ما أن اختفى كلُّ من ابنتها وحفيدها حتى نطقت الجدة: أترى
كيف بلغ رشده بصحة وقوة؟

تنهد الأب منزعًا: أمي، أرجوك.

ولكن الجدة لم تتوقف، بل أكملت بنبرة من التغطرس: كل هذا
بسببي أنا! لهذا علينا اتباع تعاليم كبارنا، لعل زوجتك تفهم هذا
الأمر في يومٍ ما.

ظهر الانزعاج على معالم ابنها: أمي، لا تتحدثي عن (سعاد)
أرجوك، أنا لا أستطيع ذلك حتى إن كنت والدتي، وأما ما حصل
قبل ٢٣ سنة فهذا ماضٍ وانتهى، وأنت تعلمين أنني لا أومن بهذه
الأمور.

نطقت الجدة مستنكرة: لا تؤمن بهذه الأمور؟ أنت لم تكن هناك
عند ولادته، ولكن ابنك كان يعاني من إعاقة جسدية، ولم يستصح
إلا عندما فعلت ما كان يفعله أجدادك من أمور.

عقد الابن حاجبيه: هذا الفتى ابني، سواء كان ما تتداولونه من
هرطقة صحيحًا أم لا.

جرت تيارات الهواء الباردة تلاعب العشب من حولها بلطف،
قبل أن تجري من خلال خصلاتها السوداء بينما خطا كلٌّ من (غيث)
وعمته خلال الوادي الذي وقع أمام المنزل، يتبادلان أطراف الحديث.
ربت العمة على ظهر (غيث) بينما شقا طريقهما بين تلك الخضرة:
لا تنزعج من جدتك، هي هكذا، دائماً ما تردد الكلام نفسه، كانت
هكذا مع أهلك أيضاً.

تنهد (غيث) ولكنه حاول أن يلبس ابتسامة رغم الصعاب:
هكذا هم الكبار أعتقد، ولكنني لا أراها تضجرك بهذا الموضوع يا
عمتي.

ردت العمة (هنا) بسخرية: هي لا تهتم بأمرني لأنني امرأة،
فدريتي لن يحملوا القبنا، هذا سبب، والسبب الآخر يقبع في اعتقادها
أن القطار قد فاتني بالفعل، أليس الأمر مضحكاً؟

ارتسم التعجب على معالم (غيث): حقاً؟ أعتقد أنك لا تزالين
صغيرة يا عمتي.

ضحكت العمة (هنا) بصوت عالٍ ضاربة الشاب على كتفه:
مكراً يا عزيزي، أنا أعتقد ذلك أيضاً، كل ما تبقى هو إقناع جدتك.

كانت الشمس حينها تلفظ أنفاسها الأخيرة لتترك المجال للنجوم
ليسبح في فلكه، أشجار النخيل التي زيتتها حبات الباع تلمح
بسعفها مودعة ضوء النهار ومرحبة بظلمات الليل.

تأمل (غيث) في الأفق من أمامه وسأل عمته بفضول لم يستطع
كبته: عمتي، أحقَّ الأرض المجاورة مسكونة؟

هزت عمته رأسها نفياً: مجرد قصص يرويها العمال بعضهم
لبعض، لا يسكن تلك الأرض إلا أم وابنتها لا غير.

همهم (غيث) متفكراً ولكن لم يرغب بأن يطيل التمعن في الأمر،
فكان ما يؤرق فكره أكبر من هذا الأمر: عمتي، لدي سؤال فضولي
أكثر، أيمكنك إشباعه؟

أومأت العمة (هناء) برأسها: ما الأمر يا عزيزي؟
صمت (غيث) للحظة، وكأنه يزن الكلام برأسه قبل أن ييوح به:
أين ولدتني أمي؟

ردت عمته بلا تردد: هنا، ولكن قبل الترميمات، فلن يكون
المكان مألوفاً بتاتاً. لم تسأل؟

تأمل (غيث) في معالم عمته البريئة، فهي لم تعلم عن شيء وذلك

سبب بوحها، فلو علمت عن النظرية التي أكدتها في رأس (غيث)
في ذلك الوقت لكانت تحفظت عن تلك الإجابة.

أصبحت عيناه داكنتين أكثر من المعتاد حينها، عندما بدأت القطع
تجد مكانها في أحجية وجوده.

وإن أكد أن تلك المرأة في كابوسه المعتاد هي أمه، وأن العجوز
هي جدته، فهل كان هو الوليد؟ أم هل كان ذلك شخصاً آخر؟ لم
كانت أمه وجدته تتعاركان؟

بدأت الأسئلة تصخ برأسه، ولكن لا إجابات تُسكتها.



@ART_OF_BOOK



أم السعف والليف

لم يستطع (غيث) النوم تلك الليلة، فمهما حاول وتقلب في فراشه، كانت هواجسه تصدح بصوت كافٍ لنفي النعاس من على جفونه.

ظل يحرق بالسقف لوهلة من الزمن تحببت فيها أفكاره في عقله.

ما كان سبب الصراع الذي قام ما بين والدته وجدته؟

وهل يعقل أن يكون ذلك السبب وراء كره والدته له؟

لم كانت تنعته أمه بألقاب غريبة كالمُبدل؟

بدا وكأن الفضول ينهش في لحمه.

رفع (غيث) جذعه من على الفراش لتلتقي أعينه بالمخلوق الطويل الذي لازم زاوية كل غرفة يوجد بها، ورغم أنه لم يكن يطيق منظره إلا أن أهم الذي اعتلى أكتافه بدا وكأنه ينسيه وجود التولبا من الأساس.

تجاهل (غيث) وجوده ككل وتناول هاتفه من المنضدة بجانبه ليبحث عن شيء ما، تسارعت أنامله تكتب على الشاشة:

«من هو الطفل المُبدل؟»

بحث على الإنترنت ليلقى ما لم ينل رضاه البتة، فكما ذكر الإنترنت الطفل المُبدل هو طفل تم تبديله بآخر من أطفال الجن، ولهم صفات معينة، كالتصرف بشكل غريب وأكبر من سنهم، وبأنهم يعانون من أمراض نادرة، فقام بالتفكير مباشرة في حالات الهذيان التي يعاني منها والتي لم يعلم ما إن كانت خيالات فعلاً أم أنه كما أخبره (فراس) يتمتع بالرؤية.

ظل يتصفح صفحات الإنترنت ذهاباً وإياباً، وكما اتضح له أن عادة التبديل هذه كانت عادة قديمة جداً مارسها الناس في أماكن وساعات معينة حتى، فلم يكن الأمر عشوائياً البتة.

فحتى تتم عملية التبديل كان يجب فعل ذلك قبل أن يتم الوليد ٤٠ يوماً، ويجب وضعه في مكان الخلاء بعيداً عن الناس وتركه وحده عند صلاة المغرب، وأخذه عند صلاة العشاء.

توسعت حدائقه بينما قفزت أعينه من على قمم الأحرف بسرعة فائقة، ورغم أنه قام بقراءة تلك المقالات مرات عديدة، إلا أنه كان لا يظل في حالة من الاستنكار التام.

«أنا مُبدل؟ مستحيل!»

لم يستطع (غيث) هضم ما رأى، فقام من مكانه ليبدأ بالخطر
في أرجاء غرفته، أعينه تتبع خطوات رجله، وعقله يتسارع بشكل
عبيث مولداً فكرة وراء الأخرى.

إن كان هو مبدلاً حقاً فهذا يفسر لم كانت والدته لا تطيق رؤيته
حتى، فهو كما قالت، ليس بابنها!

ولكن لم قامت جدته بفعل ذلك؟ ما هي أسبابها لفعل ذلك
بحفيدها؟

وضع (غيث) يديه على رأسه وبدأ بفرك شعره بقسوة في حالة
من القلق الشديد قبل أن تعلو نغمة هاتفه إثر اتصال ما، وما أن
التقت أعين (غيث) باسم المتصل حتى أجاب على الفور.

«يبدو أن حياة الريف بدأت تزوق لك!»

صاح صوت (فراس) من سماعة الهاتف مازحاً.

أطلق (غيث) تنهيدة ثقيلة كانت تحبس نفسها بين رثتيه قبل أن

يجيب: (فراس)، سيجن جنوني، عليك مساعدتي!

رد (فراس) بقلق يعتلي نبرته: ما الأمر؟ هل حصل شيء مع

الثوليا؟



حديق (غيث) في التولبا خاصته باشمئزاز قبل أن يجيب: لا،
ولكن قد يكون ذلك أقل همومي الآن. (فراس)، أعتقد أنني مُبَلِّل!
وضح التعجب على صوت (فراس): ماذا؟ وكيف توصلت
لذلك الاستنتاج!؟

خطا (غيث) خارج غرفته واتجه لمخرج المنزل: انتظر، لا أريد
التحدث في الأمر هنا، أخشى أن يسمعي أحدهم.

امتنع (غيث) عن الحديث حتى كان يشق طريقه خلال الوادي
الذي وقف فيه قبل ساعات برفقة عمته، كان الهواء بارداً ويهب بقوة
من حوله، عابثاً بسعف النخيل من فوق رأسه، وبالعشب النامي
تحت رجليه، ورغم قسوته إلا أنه لم يجفل منه بتاتاً، وكأن أفكاره
تمنعه من الالتفات للمهيات جسدية ومادية.

نظر (غيث) وراءه ليرى التولبا خاصته يتبعه على خطاه، أطلق
زفيراً منزعجاً ولكنه أكمل في تجاهله ووقف تحت إحدى أشجار
النخل التي كثرت من حوله ليكمل في حديثه.

قال (غيث) بتعصب واضح: (فراس) حياتي كلها أكذوبة! أمي
محقة في كرهها لي، أنا لست ابنها!

حاول (فراس) تهدئته: انتظر يا (غيث)، المبدل طفل إنس
مستبدل بآخر من الجان أليس كذلك؟ ما الذي جعلك تعتقد أنك
مُبدل من الأساس؟

رد (غيث) محاولاً استجماع أفكاره: منذ الصغر لازمني ذلك
الكابوس نفسه، يذهب ولكنه يعود كل مرة، كابوس يظهر امرأة
والدة للتو وأخرى عجوزاً، وتتعاركان على طفل رضيع، إلا أن
العجوز انتصرت وتمكنت من أخذ الطفل إلى حيث لا أعلم، وأنا
شبه متيقن بأن تلك العجوز هي جدتي وبأن تلك المرأة هي أُمِّي،
ولكنني لا أعلم ما إن كنت أنا ذلك الرضيع أم لا!

رد (فراس): (غيث)، أنت لا تعلم صحة تلك النظرية من
علمها بعد!

أكد (غيث) على صديقه بنبرة واثقة: أنا متيقن مما رأيت، هل
تصدقني أم لا؟!

صمت (فراس) للحظة متشرباً الأمر قبل أن يتحدث مرة أخرى:
إن كان ما تقوله صحيحاً، فقد يكون الأمر منطقياً أكثر مما تظن، فهذا
سيُفسر رؤيتك للماورائيات وانجذابهم الغريب لك.

كاد (غيث) أن يصرخ: أترى؟ هذا يفسر كل شيء!

همهم (فراس): ولكن ألم تقل بأن أحد المخلوقات نعتك بالغب
آخر؟ لا أستطيع تذكره...

رد (غيث): زوهري؟

ما أن نطق (غيث) بتلك الكلمة حتى أحس بقوة ما تقيد حركته
ليقع الهاتف من يده، حاول الحراك ولكن ذراعاً قوية كانت تقيد
بدنه بعنف، بينما ذراع أخرى كانت تمسك بقطعة قماشية لتغطي
بها أنفه وفمه.

حاول (غيث) النظر ورائه ولكنه لم يستطع رؤية وجه المعتدي
الذي باغته من ظهره، فقد كان متلثماً بالسواد حاجباً معالمة تماماً.

«(غيث)؟ (غيث) هل أنت هناك!؟»

صرخ (فراس) من خلال الهاتف ولكن كلماته كانت ضئيلة
وبالكاد تكون مسموعة للثنائي.

حاول غيث المقاومة والإقالات من بين براثن ذلك المعتدي
ولكنه تفاجأ بكون جسده ثقيلًا وبطيء الحراك، فعلم حينها بأن

تلك القطعة القماشية تحتوي على مادة مخدرة فقام بحبس أنفاسه على الفور لينظر إلى التولبا خاصته منتظراً أي نوع من أنواع الإنقاذ، إلا أن التولبا بدا محتاراً ويتحرك بقلق وبخطأ متوترة لليمين ومن ثم اليسار، كأنه غير قادر على مساعدة صاحبه، فهو لم يكن يستطيع شن الهجوم على المعتدي خشية من إيذاء (غيث) بغير عمد خلال تلك العملية.

أدرك (غيث) ذلك الأمر سريعاً، كان الأمر في يده وحده الآن، فقام باستجماع جميع ما تبقى من قوته ليدفع بثقل جسده للوراء ليسقط بالمعتدي أرضاً بقسوة ليرتطم بالأرض من تحته وتتراخي قبضته من على الشاب الذي قام من مكانه بخطأ مترنحة ليتعد عن المعتدي الذي سرعان ما وقف على رجليه مرة أخرى ليمد يده داخل أحد جيوبه مخرجاً خنجرًا حاداً ليندفع باتجاه هدفه، وفي ثانية مرر التولبا مخلبه خلال جسد المعتدي لينقسم الرجل المثلث إلى نصفين واقعاً أرضاً مرسلاً زذاذاً أحمر اللون صبغ ما حوله من أعشاب.

حينها، وقع على مسمع (غيث) شهيقٌ مروّعٌ هرب من شفتي صاحبه بغير إرادة منها.

توقف (غيث) عن التنفس حينها، عندما أدرك أن هناك شاهداً
لهوائل ما يحصل.

تيس مكانه والتفت لجانبه ببطء ليرى شابة تقف على مسافة
يسيرة منه، يدين مذعورتين تغطي فاهها محاولة تدارك نفسها.

وبسبب خشية (غيث) عليها من التولبا الخاص به بدأ يصرخ بها:
لا تقربي! لا تقربي أبداً!

تنازلت يداها من على وجهها لتكشف عن معالمها، كانت شابة
نحيلة البنية، ذات ملامح حادة وشعر أسود طويل شديد النعومة
ينسدل حتى أسفل ظهرها، حاجبها نحيلان ويتوجان عينيها
الكحيلتين الناعستين اللتين حدقتا به بتخوف شديد.

نطقت الفتاة لتسأله بتوجس بينما خطت باتجاهه: ماذا فعلت؟!

ما أن أخذت قدمها موضعاً على بقعة العشب من تحتها حتى حط
فوق بدنهما ظل عظيم قام بتغطيتها عندما وقف التولبا فوقها رافعاً
أحد جناحيه للأعلى مستعداً لإرسال رأسها متدحرجاً.

حاول (غيث) الصراخ ناهياً ولكن الألوان قد فات، فكانت
حركة التولبا أسرع من استيعاب الشاب، فقبل أن يدرك كان جناحه
يتسارع تجاهها.

وقبل أن تقع تلك الضربة على رقبة الفتاة ظهر ما بدا كعاصفة
رملية شديدة لتعصف بالتولبا وترسله مرتطمًا بشجرة النخل وراءه
بعنف وسط ذهول (غيث) مما رآه.

نظر الأخير إلى التولبا الذي ظهر مهزومًا لأول مرة، ثم أحال
بنظره للفتاة التي وقفت وراء العاصفة الرملية التي بدأت حبيباتها
بالتجمع والتشكل بخفة ليظهر من بينها كائنٌ ما لم يرَ (غيث) مثله
من قبل.

كان نصفه الأعلى يبدو كرجل عربي الملامح، شديد البنية، ذي
بشرة حنطية وأنف معقوف، يرتدي عمامة غريبة المظهر وزياً يشابه
الثوب إلا أنه كان يبدو أكثر قدمًا، أما نصفه السفلي فكان يأخذ
شكل جسد حمل بسنام على ظهره وأرجل طويلة رفيعة.

وقف (غيث) مكانه مذهولاً مما رأى، فبدأ يفرك عينيه منتظرًا
اختفاء ذلك المخلوق والفتاة التي وقفت بجانبه، ولكنها ظلاها
هناك مكانها.

وقفت الشابة مكانها قاطبة حاجبها باستنكار: ماذا دهالك؟

عليك السيطرة على وحشك هذا وإلا!

كانت الفتاة تهدده بانفعال واضح، ورغم أنه لم يعلم كيف كانت قادرة على رؤية التولبا الخاص به، إلا أنه كان مشدوه التفكير وفي مكان آخر تمامًا.

كان منبهراً بها، كانت أخاذة، ولم يكن يستطيع سماعها في هذه النقطة من الزمن.

تعجبت الفتاة منه ومن وجهه السارح ففرقت أصابعها بتعصب: هل تسمعي؟ هذه مصيبة يا أحمق!

هز (غيث) الأفكار من رأسه محاول التركيز مرة أخرى: أنا أسف، ماذا قلت؟

زفرت الفتاة بانزعاج: إن كنت تحاول قتلي، فأنا أؤكد لك أنك لست كفؤاً لذلك، وإن كانت تصرفات خليلك لا تمثل نيتك، فعليك التحكم بوحشك القبيح هذا!

أخلى (غيث) ما بحلقه بحمحية: أنا أسف، من أنت ومن الذي تنعته بالقبيح؟

حدثت فيه الشابة بضجر قبل أن تعرف عن نفسها وعن الكائن بجانبها: اسمي (الليف)، وهذا (السعف)، وخليك القبيح.

التفت (غيث) إلى التولبا الذي وقف وراءه متأملاً إياه قبل أن يحيل نظره إليها مرة أخرى: أنت محقة، إنه قبيح للغاية. على أي حال، ما الذي كنت تقولينه؟ كلي آذان صاغية الآن أعدك.

حدثت (الليف) تجاهه ثم تبادلت النظرات المتعجبة مع المخلوق الذي وقف بجانبها: هل يعاني من اضطراب عقلي أو ما شابه؟ هز المخلوق كتفيه بعدم اكتراث وأجاب بصوت أجش: يبدو ذلك.

توسعت حدقتا (غيث) عندما سمعه يتحدث وأشار بأصبعه: إنه يتحدث! كيف ذلك؟ التولبا خاضعتي لا يفعل ذلك.

وضح التعجب على معالم (الليف): التو- ماذا؟ يمّ تهرطق أنت؟ أنت محسوس يا أحمق!

التفت المخلوق الواقف بجانبها إليها وهمس بنبرة هادئة: (ليف)، أنا لا أعتقد أنه يعلم شيئاً، يبدو من النوع الحديث.

رفعت (الليف) رأسها للأعلى لتلتقي أعينها بأعين خليلها: لا

تكن سخيًّا يا (سعف)، لديه خليل يلازمه، أحقًّا تعتقد أنه ساذج
لتلك الدرجة؟

قال (السعف) وكأنه يكاد يكون مشمئزًّا: أعني... انظري إليه؟
تأملت (الليف) في المنظر الواقع أمامها ثم تنهدت متذمرة قبل أن
تتحدث: ما اسمك؟ وما اسم خليلك؟

أجاب (غيث) بقليل من الحيرة: أنا (غيث)، وهذا...
صمت (غيث) محققًا بالمخلوق الذي تحرك برقبتة كما يفعل
الطير، بعين متشوقة لسماع اسمه لأول مرة، ثم أكمل بنبرة تتخللها
الحيرة: (تولبا)؟

«ألو؟ ألو؟ (غيث) هل تسمعي؟!»

أصدى صوت صغير من الهاتف المستلقي على العشب.

أشرأت الأعناق جميعها لمصدر الصوت وقبل أن يتمكن (غيث)
من الرد قام (السعف) بسحق الهاتف بحركة سريعة من خفه ليتهشم
لمئات القطع المتناثرة.



سأل (غيث) بعصبية: لم فعلت ذلك يا بعير!؟

ردت (الليف) بانزعاج: من الواضح أنك لا تعلم عما يجري من حولك، هذا الرجل الذي حاول اختطافك للتو ليس شخصاً عادياً قرر اختطافك بشكل عشوائي، فهو جزء من شيء أكبر بكثير، فمن رداءه فهو ينتمي لجماعة السفليين، وقبل أن تسألني عنم يكونون، فهم منظمة سرية تقوم بممارسة السحر والشعوذة ومن أكبر المساهمين في السوق السوداء وتجارة البشر، كونك أحد أهدافها يعني أنك تحمل قيمة ما، وسيقومون بحفر الأرض حتى يتمكنوا من الوصول إلى أي شيء يخصك، مما يشمل عائلتك وأصدقاءك.

فرك (غيث) جسر أنفه في حيرة من أمره: أنا أسف، لا أستطيع استيعاب جميع هذه المعلومات في آن واحد! أولاً، كيف ترين التولبا الخاض بي من الأصل؟

أمالت (الليف) رأسها محذقة به بتعجب: ما هذا التولبا الذي تحدث عنه؟ هل أثر الغرب بك لهذه الدرجة؟ هذا جنني معقود بك، أنت ممسوس!

ظهر الفرع على أسارير (غيث): ممسوس!؟

(ليف): أنت تملك خليلاً، كما أفعل أنا، لهذا أستطيع رؤية

خليلك والعكس صحيح.

سأل (غيث) بانفعال: ما الذي تقصدينه بخيل؟ هذا تولجا

استدعيته بسبب حماقتي ولم أستطع التخلص منه حتى الآن!

خيم الصمت على المكان للحظة ظن فيها (غيث) أنه تسرع في

الحديث، فكانت الفتاة أمامه تنظر إليه وكأنه مغفل.

التفت المخلوق المدعوب (السعف) تجاه الفتاة وقال بصوت أعلى

من الهمس بقليل: (ليف)، إذا تم استهدافه فقد يكون...

توسعت حدقتا الفتاة ولوحت برأسها تجاه خليلها بسرعة: هذه

مصيبة، يجب علينا أخذه للوالدة.

أوماً (السعف) برأسه موافقاً: سأهتم بالحنة.

كان آخر ما قاله قبل أن يلوح بيده لتظهر سحابة رملية كثيفة

تتسارع تجاه الحنة الهامدة لتحوم فوقها لفترة من الزمن لتبدأ الحنة

تغوص للأسفل لتلتحم بالأرض من تحتها تدريجياً حتى تلاشى

الرمل والحنة كذلك.

تحشب (غيث) مكانه إثر الرعب الذي شهده للتو، ولكن الفتاة

لم تسمح له بتشرب الحديث حتى، فقاطعت حبل أفكاره: أنت في

خطر، علينا الذهاب لوالدتي فوراً قبل أن يتمكن بقية السفليين من

إيجادنا.

صمت (غيث) لوهلة بينما بدأت الأفكار تضخ في عقله، فإن
يذهب فلن يعلم عما كان يمر به من غرائب، وبالإضافة لذلك
فإن الخطر المحدق به وبأفراد عائلته كان أكثر مما يستطيع تحمله، أما
إن ذهب فقد يكتشف الحقيقة وراء كل شيء، عن ولادته، وعن
المخلوق الملتصق به، أو حتى كيفية التخلص منه.

كان القرار سهلاً في رأسه.

رد (غيث) بجدية: حسناً، سأتي معك، ولكن عليك مشاركتي
علمك!

أومأت (الليف): حسناً، لك ذلك. اتبعني وسأحكى لك بينما
نشق طريقنا للمنزل.

لم ينتظر (غيث) أكثر من ذلك وانطلق ليمشي خطاها بينما تبعه
(تولبا) و(السعف)، فبدأت تسرد له وهي تخطو بين العشب بهدوء:
ما تمتلكه هو شيء ندعوه نحن بالخليل، وهو كيان غير إنساني يرتبط
بالإنسان، وقد يكون أحد أفراد الجن أو غيرها من الكائنات التي
لا يعلم بها إلا الله. الخليل يرتبط بالإنسان بشتى الطرق ولأسباب
مختلفة، وينشأ ما بين الاثنين عهد يربطهما حتى الموت.

سأل (غيث) بانفعال: حتى الموت!؟

ردت (الليف) بهدوء: هذا صحيح، ولكن الكثير من الممارسين
تنتهي عهدهم بشكل أسرع مما يتصورون، فإن لم يكن السيد وخلائه
على وفاق، فغالبًا ما يقومان بالصراع بعضهما مع بعض حتى يقتل
أحدهما الآخر بطريقة ملتوية.

(غيث): ماذا تعنين بملتوية؟

أجابت (الليف): عندما يتم عقد الدم ما بين كينونة وسيدها،
فهذا يربطها بعضهما ببعض طالما تم الحفاظ على شروط معينة،
فارتباط الخليل بسيده يعمل كالمرساة، فالعقد مع كائن من طين
يوفر ثباتًا كونيًا أكبر لهذه الكينونة، ويعطي قوة إضافية لها، ويختلف
مقدار تلك القوة من سيد لآخر، أما الخليل فهو ملزم بطاعة سيده
وحمايته تحت جميع الظروف حتى إن كلفه ذلك الأمر وجوده، وإن
مات سيده ميتة طبيعية وهذا معتاد بحكم أن أعمار البشر لا توازي
تلك الأرواح الأخرى، فيتم تحرير الخليل من ارتباطاته السابقة
ويتملك الحرية في الوجود كما هو أو الارتباط بسيد آخر. أما إن لقي
السيد حتفه مقتولًا، فيختفي الخليل من الوجود تمامًا.

تنفس (غيث) الصعداء: إذا لا يستدعي الأمر القلق.

هزت (الليف) رأسها نفيًا: هناك طريقة واحدة فقط لإنهاء سيد
قبل أوانه.

استولى الفضول على أسارير (غيث): وما هي؟

أجابت (الليف): إن سلب السيد حياة نفسه.

توقف (غيث) عن المشي حينها من أثر الصدمة: هل أنت جادة؟

نظرت إليه (الليف) بجدية مهيمنة على تضاريسها: هذا أمر وارد،

فإن لم يكن السيد وخليله على وفاق، فقد يقوم الخليل بمحاولة دفع

السيد للجنون حتى يأخذ حياته بنفسه، أو كما ورد في حالات نادرة

واعتمادًا على مقدرة الخليل والقوة التي تشرّبها من سيده، فقد يقوم

الخليل بالاستيلاء على جسد سيده لينهي الأمر بنفسه ويتحرر من

عقد الدم تمامًا.

تذكر (غيث) حينها ذلك المقطع الذي أراه إياه صديقه (فراس)

عندما ناقشا وجود التولبا لأول مرة وجرت القشعريرة خلال

جسده مرتعدًا من احتمال تكرار تلك الأحداث أنفسها له.

بدأ (غيث) بالمشي متبعًا خطاها مرة أخرى، كجرو يبحث عن

مناخه: ماذا أفعل إذا؟ كيف أخلص منه؟

هزت (الليف) كتفيها بعدم اكتراث: لا يمكنك فعل ذلك وحدك، يجب على الخليل أن يُقتل دفاعًا عن سيده.

بدأت قطرات العرق تتكون على جبين (غيث) عندما وقفت (الليف) لتشير له بأنها وصلا لوجهتهما، كان منزلها عبارة عن مزرعة متواضعة في الأرض التي جاورت مزرعة أهله بالضبط، فكانت أشجار النخيل تغطي مرمى النظر، وفي المنتصف كان بيتٌ صغيرٌ بسيطٌ ذو جدران حجرية متواضعة، في إحدى الزوايا من المزرعة كانت تقع حظيرة دجاج، بجوارها أخرى للمواشي، ويحيط بهما سور صغير من الشبك، ومن حوله سهولٌ طويلة ومزروعة.

أدرك (غيث) حينها أنها ابنة جارتهم التي تحدثت عنها جدته صباح اليوم، ثم تذكر حديثه مع عمته وأن تلك الأرض كانت تنتمي لأم وابنتها فحسب، وإن كانت فقط هي وأُمها من تقطنان هذا المنزل الصغير الذي لن يتسع لأكثر من شخصين على أي حال، فمن الاستحالة أن الحقول المزروعة بالخارج كانت نتيجة جهدهما الشائئ فحسب.

تبع (غيث) خطا (الليف) ليقفا أمام باب المنزل الحديدي النحيل، وقبل أن يتمكنَا حتى من طرق الباب، قامت امرأة من الجهة الأخرى بفتحه على مصراعيه.

كانت سيدة في منتصف عمرها، بشعر أجعد تتضارب ألوانه ما
بين الرمادي والأبيض، ابتسمت ملء شديقيها، حتى كشفت عن
أسنانها الفوضوية، ترتدي ثوباً منزلياً وضحت عليه سنو عمره،
بأنامل زيتها الحناء الحمراء.

«أهلاً بضيوفنا الكرام! تفضلوا تفضلوا!»

رحبت بهم السيدة مشيرة لهم بالدخول.

خطت (الليف) للداخل: أمي، هذا (غيث)، وهو... من الطراز
الحديث.

ابتسمت الوالدة مرحبة به: أهلاً يا (غيث)، أنا (أم السعف
والليف)، مرحباً بك في منزلنا المتواضع.

تيس (غيث): (أم السعف والليف)؟ كأسطورة الساحرة
المجنونة التي تحيم فوق أشجار النخيل لتصطاد وتلتهم الأطفال؟
لوحث الوالدة بذراعها نفيًا: هذه إشاعات سيئة، قد أكون مجنونة
قليلاً ولكنني لم ألتهم طفلاً من قبل!

بدأ الارتباك يتمكن من (غيث) في تلك اللحظة، ولكن (الديف)

نادت على والدتها: أمي، يمكنكما الحديث بالداخل.

أومأت الوالدة برأسها موافقة: تفضل أرجوك.

كان (غيث) متوترًا من الدخول، رغم أنه لم يعتقد أن أيًا من الفتاة

أو والدتها تضرر الشر له، إلا أن المسألة برمتها كانت أكثر جنونًا

من المعتاد، ولكنه لم يمتلك حرية الاختيار في هذه النقطة في الزمن.

فاستجمع شتات نفسه وتجلد ليخطو داخل المنزل ليرى منظرًا قد

يكون أكثر غرابة من جميع ما رأى حتى الآن.

كان منزلها يتكون من صالة أرضية ذات نافذة زجاجية كبيرة،

مطبخ صغير وغرفة نوم واحدة، وفي أرجاء المكان انتشرت كينونات

غريبة المظهر، كان هناك ثلاثة أقزام ذوي بشرة شاحبة، آذان مديبة،

أعين دائرية، وأنياب بارزة خارج أفواههم، كانوا عراة الصدر،

يرتدون فقط قطعة قماشية تحت بطونهم المستديرة، وفي المطبخ

كان هناك مخلوق آخر يحضر القهوة على النار، كان أصفر اللون،

سامق القامة، نحيل البنية، كان يملك ثلاث أعين، الثلاثة تقع على

جبينه، كان بؤبؤ عينه يتخامر مع بقيتها، إذ يسيطر السواد على العين

بشكل كامل، ذا أنف مسطح، وشفاه نحيلة، ومن رقبته تمدد الجلد

المحرشف ليزين رأسه من الجهتين، كالقلنسوة التي تنتمي لشعبان
الكوبراء، كان أعلى جسده يشابه الإنسان حتى تغزو الحراشف
الذهبية عظمة وركه ليبدأ من بعدها ذيل أفعى طويل وملتف من
تحتة.

كانت أعين (غيث) تجول في محيطاته بذهول تام وعدم تصديق لما
يرى، ولكن ما أن وقع نظره على خامسهم حتى ارتعدت فرائصه،
فتشبث أعينه على أحد المخلوقات الذي وقف بقراءة الباب، كانت
بشرته حالكة السواد، يتمتع ببنية ضخمة، ذا أربع أذرع مفتولة
العضلات بشكل مهول، أذناه طويلتان ومديبتان، وجهه يكاد
أن يكون مربعًا واقعًا على رقبة غريضة، أنفه كبير ووجهه عابس
وقنوط، وكأنه يقوم بشم شيء غير سار، عيناه مدورتان وصفراوان،
متوجتان بحاجب متصل ومقطب، كان عاري الصدر إلا أن الفرو
الأسود يبدأ بالنمو من خاصرته متنازلاً ليشكل ذيلًا ممتدًا من عموده
الفقري، ومن ثم متنازلاً لرجليه اللتين شابهتا تينك اللتين تنتميان
لكلب.

وقف ذلك الشيء مكانه عاقداً أذرع الضخمة، محدجاً تجاه
(غيث) وخليئه اللذين وقفا في غرفة المعيشة في خيرة من أمرهما،

إلا أن التفاجؤ رسم على معاملة لثانية، وكأنه استشعر شيئاً ما، لتأخر
معاملة تجاه (غيث) من بعدها.

تغيير لاحظته الأخير، ولكن فشل في تحديد السبب القابع وراءه.

أشارت الوالدة لضيئها بالجلوس: لا تخف، هذا (صنديد). أحد
خلاني.

رسم التفاجؤ على (غيث): أحد!؟ هؤلاء جميعهم خلانك!؟
أومأت الوالدة بابتسامة فخورة: رائعون، أليس كذلك؟ ذلك
(صنديد)، والأفعى بالمطبخ يُدعى (قدار)، وأما الثلاثي المرح فـهم
(سعيد)، (فريد)، و(عتيد).

زم (غيث) شفاهه، غير واثقٍ من الرد المناسب: يبدو... لطيفين.
وبينما كان على ذلك الحال، شعر بشيء ما يقوم بسحبه من بينطاله،
أمال رأسه للأسفل ليرى أحد الأقدام يتمسك بينطاله بيد، ويرى
الأخرى يشير له إلى القزمين الآخرين اللذين هما بترتيب وسادة على
الأرض بجانب محل جلوس (الليف).

فهم (غيث) مرادهم فشق طريقه إلى هناك على مضض ليتخذ

بجلسًا أمام طبق من البلح جلس بجانب دلة حارة وضعها أحد
الأقزام بعد ما تناولها من الثعبان الذي كان في المطبخ بينما وقف
(تولبا) في إحدى الزوايا يشاهد بهدوء كالعادة.

تناولت الوالدة تلك الدلة لتسكب له فنجالاً من القهوة وتمرره
له: أخبرني يا (غيث)، ما هي مشكلتك؟

تنهد (غيث): لو علمت ماهيتها فلم أكن لأكون أمامك الآن.
قهقهت الوالدة: أنت محق، أخبرني إذاً، ما الذي أتى بك إلى هنا؟
نظر (غيث) إلى (التولبا) خاصته وبدأ بسرد الأحداث التي مر
بها، منذ التحدي الذي خاضه مع (فراس)، حتى هروبه إلى مزرعة
أهله بسبب خشيته على من حوله.

كانت (أم السعف والليف) والأخيران جميعهم يستمعون
بتمعن، ولكنه عندما روى محاولة اختطاف أحدهم له، حينها امتقع
وجهها وكأنها أدركت خطورة الموقف الذي كانوا به.

وبينما كان (غيث) يحكي لهم، نهضت الوالدة من مكانها لتقترب
بشكل مفرط من الشاب ممعنة النظر في عينيه ليتوقف هو عن
الحديث تمامًا، ومن ثم أقحمت أصابعها في فاهه لتنظر إلى لسانه،
كانت الحيرة واضحة على أساريره ولكنه لم يستطع الكلام، ثم تركت

الوالدة وجهه وتناولت كف يده متفحصة العلامات التي رُسخت
عليها، وما أن رفعت رأسها لتواجهه مرة أخرى، علم (غيث) بأنه
في مأزق كبير.

فتلك السيدة البشوش قد تحولت معالمها إلى عبوس واستغفار.

سأل (غيث) بفضول: ما الأمر؟! هل أعاني من خطبٍ ما؟!
همهمت الوالدة: أعين مختلفة، لسان مقسوم، كف يد يخط
مستقيم ومتصل يقطعها بشكل عرضي، لا شك أنك زوهري يا
بني.

كانت الحيرة تأكل في بدن (غيث) في هذه النقطة من الزمن:
نعتني أحد الجان بهذا الاسم، لكنني لا أزال لا أفهم معناه، ولكنني
أعتقد أنني مبدل ولست بزوهري.

قاطعت (الليف) الحديث: باعتقاد الكثير، فإن الطفل الزوهري
هو مبدل من الأساس، فكلاهما طفل من الجان يوضع مكان طفل
الإنس، ولكن هذه مصيبة بحق.

التفت (غيث) إلى الفتاة: ماذا تعنين؟

ردت (أم السعف والليف): الزوهري يتمتع بصفات معينة
تجعله محبوبًا لدى الجن والإنس كليهما، فهو قادر على رؤية الكنوز
المدفونة في بواطن الأرض، ويجلب الوفرة والرزق حيث ما يذهب،
والجان يحبونه وينجذبون له، ويعتبر دم الزوهري ثمينًا للغاية
وشديد الندرة، فبعض الطوائف تستعمله كعنصر لممارسة السحر،
لذلك يتم استهدافك، فالمنظمة تراك ككنز متحرك لاخطافه وبيعه
للسوق السوداء!

حذق بهما (غيث) في استنكار: إذا فنظرتي صحيحة، أنا مبدل
بالفعل!

أومأت (أم السعف والليف) إيجابًا قبل أن يتقدم منها ذلك الـ
(صنديد) ليهمس شيئًا ما في أذنها جعلها تجحظ بعينها.

التفتت إليه: هل أنت واثق؟

أوماً (صنديد) برأسه مؤكدًا.

تمكن الفضول من (غيث) وبدأ وكأنه سيقفز من مكانه: ما

الامر؟ أخبريني من فضلك!

نظرت (أم السعف والليف) إليه بنظرة أم قلقة: أنت مليء

بالمفاجآت، أليس كذلك؟

في هذه النقطة كان الفضول قد بدأ ينهش في لحم (الليف) أيضًا:
ما الأمر أُمي؟

نظرت (أم السعف والليف) إلى ابتها بهم ظاهر على أساريرهما:
خليله ليس من بني الجان.

مالت (الليف) للأمام، وكأنها تقترب أكثر من المعلومة إن فعلت
ذلك: ماذا يكون!؟

تنهدت (أم السعف والليف) قبل أن تنطق: بل من بني الحن
والبن.

نهضت (الليف) من مكانها بفزع: ماذا!؟ ألم تتم إبادتهم!؟
لوح (غيث) برأسه ما بين الأم وابتها: ماذا؟ ماذا يعني ذلك!؟

كان آخر ما قاله قبل أن يظهر أحد الأقسام أمامه حاملًا كتابًا
جلديًا كبيرًا بين أنامله، وضحت علامات كبر سنه من أوراقه،
الصفراء وأطرافها المشققة، كانت الزخرفة الذهبية تزين الغلاف،
وفي منتصفه كُتب «البداية والنهاية لابن كثير».

تناولت الوالدة ذلك المجلد لتقلب بين صفحاته على عجلة قبل
أن تناوله للشاب مرة أخرى، لصفحة سُطر عنوانها بـ (الحن والبن)

وبدأت الشرح: الحن والبن هم شعب سكنوا الأرض قبل الجان،
والإنس من بعدهم، ولكنهم عثوا في الأرض فسادًا وسفكوا الدماء،
فقام الجان بقتلهم ونفيهم عن الأرض، وكان الكل يعتقدون أنهم
قد انقرضوا عن الوجود تمامًا، ولكن خليلك يظهر خلاف ذلك.
في الأرجح فهو قد خرج من مخبئه بسبب انجذابه الشديد لدمك
الزوهري، فحصول أمر كهذا للإنس الطبيعي أمر شبه مستحيل.

طوق (غيث) جبينه بأصابعه متفكرًا: رائع، نلت أسوأ الأمور
من جميع النواحي.

زمت (أم السعف والليف) شفيتها: هناك شيء آخر...

لوح (غيث) بذراعيه مستسلمًا: هاتي ما عندك، فالأوضاع شنيعة
على أي حال.

قالت (أم السعف والليف): عليك فرض هيمنتك عليه، وإلا
فموتك مجرد مسألة وقت، فشعب الحن والبن يعتبرون أكثر عنفًا
وتعطشًا للدم من غيرهم، وبحكم أنه لا يزال طفلًا فقرص نجاتك
ضئيلة جدًا.

هز (غيث) كتفيه بتهكم: طفل؟! ناطحة السحاب هذا؟! لا،
هذا أمر غير معقول، إن أكمل نموه فسيتخطى طبقة الأوزون!

وفي لمح البصر، ظهر (قدار) وبحركة ملتوية وسريعة من ذيله
المحرشف قام بقذف الأسطوانة من خلال النافذة المحطمة لتهبط
بالخارج، تبعها (صنديد) الذي وضع يديه السفليتين على حافة
النافذة ليرمي بجسده من خلالها ليقف بالخارج كاشراً عن أنيابه
مزججاً مواجهاً الدخلاء الذين تجرؤوا على اقتحام منزله ككلب
حراسة لتجول أعينه بين جموع غفيرة من الرجال المتلثمين بالسواد
التام.

تفرق جفنا (غيث) بعضهما عن بعض بصعوبة بينما حاول النظر
للخارج بين سعاله ليلمح الرجال الذين بدوا بمثل هيئة خاطفه،
لا بد أنهم باقي أعضاء المنظمة وأتوا للانتقام لأخيهم وأخذ رأس
الزوهري معهم.

التفت (غيث) إلى (الليف) على الفور متفقداً أحوالها لكنه رأى
خليلها (السعف) يقف أمامها ليحميها من أي خطرٍ ممكن، ومن ثم
رأى (تولبا) يقف بالمقربة منهم ولكن بدت عليه الحيرة هو الآخر،
وكانه غير مدرك لما يحصل من الأساس، أما الأقزام الثلاثة فوقفوا
أمام سيدهم (أم السعف والليف) بضراوة عجيبة من مخلوقات
بذلك الحجم.

سعى (قدار) متحركاً بجسده كال موج ليزحف خارجاً لينضم
لـ (صنديد) بكل هدوء حين بدأت (أم السعف والليف) بالتقدم
بخطوات واثقة حتى مثلت إلى النافذة المهشمة لتتفقد الأحوال
بالخارج، تقف ما بينهم محدقة بظريهما حيث كان رأسها يصل لمرفق
كلٍّ منهما نتيجة أحجامهما المهولة.

حدقت (أم السعف والليف) بحزم: إنهم هنا للزوهري، أنهوا
أمرهم تماماً وتوخوا الحذر، ففي ما بينهم أسياد.
قال كلٌّ من (صنديد) و(قدار) بأن واحد: أمرك، سيدتي.

انطلق كلاهما خلال الحشد بسرعة مهولة لتصدح أصوات
الصياح والعراك لتلتف (أم السعف والليف) لتواجه البقية مرة
أخرى: يبدو أن السفليين لن يقوموا بتركنا وحدنا حتى يأخذوا
بثأرهم، وقد أتوا بدعم من الأسياد في صفوفهم هذه المرة.

أضاف (السعف) بقلق: لا بد أنهم على دراية مسبقة بوجوده
معنا، فهم على أتم استعداد الآن.

هممت (أم السعف والليف) ثم وجهت حديثها لـ (السعف)
وقالت بجدية: قم بحماية أختك يا (سعف).

نخرت (الليف) ضاحكة قبل أن تستجمع نفسها: قد يكون هذا
سبب عدم قدرته على الحديث.

أومأت (أم السعف والليف) إيجاباً.

قرص (غيث) جسر أنفه متحسراً: دعيني أخلص الأمر إذا،
أفهم مما تقولين أنني قد يتم اختطافي من منظمة ليتم قتلي وبيع دمي
وأعضائي في السوق السوداء لممارسي السحر والشعوذة، أو أنني قد
ألقى حتفي تحت استياء هذا الأبله المجنح؟

همهمت (أم السعف والليف): صحيح، ولكن الأول والأهم،
عليك فرض هيمنتك على خليلك حتى لا يغدر بك.

وبينما كان (غيث) يقيس فرص نجاته من بين برائث الموت،
ارتعشت أذن (صنديد) متحركة للوراء بينما رسم التفاجؤ على
معالمه، وقبل أن يتمكن من قول شيء ما، صدح صوت عالٍ في
المكان تابعاً تحطم الزجاج إثر اقترحام شيء ما من خلال النافذة،
ارتعد الجميع متراجعين للوراء مغطين أعينهم بأذرعهم بينما بدأت
الأسطوانة السوداء التي هبطت في غرفة معيشتهم للتو بنفث دخان
أبيض كثيف بدأ بغزو مجرى تنفسهم.

فهم (السعف) ما كانت تود قوله على الفور وأوماً برأسه خانعاً:
مرك.

بدأ التوتريضخ في جسد (الليف): ما بك؟ ما الذي يحصل؟
تمسكت (أم السعف والليف) بكتفي ابنتها: اسمعي يا (ليف)،
عليك الرحيل مع أخيك والزوهري الآن، فالسفليون أتوا بقوة غير
متوقعة هذه المرة وهم سيفعلون أي شيء للحصول على (غيث)،
فلا تعطهم إياه!

توسعت حدقتا (الليف): أمي هل أنت جادة؟! تركي لجانبك
استحالة!

حاولت (أم السعف والليف): يا بنيتي، يا قرّة عيني، أرجوك،
أخشى أن يمسك السوء، فقلبي لا يحتمل ذلك! فرصك برفقة
أخيك والزوهري أفضل من بقائك هنا!

هزت (الليف) رأسها لترفض رفضاً قاطعاً: لن يحصل يا أماه،
مستحيل! سأبقى بجانبك ها هنا فيما ننجو معاً أو نلقى نهايتنا معاً!
لست (أم السعف والليف) نظرة ساخرة: وهل تعتقدين
أن (صنديد) و(قدار) سيسمحان لي بالموت؟ وجهي قلقك تجاه
الحققي بالخارج الذين ظنوا أنني فريسة سهلة المنال.

حاولت (ليف) الاعتراض: ولكن...

وبينما كانتا على ذلك الحال مر بجانبهما تيار هوائي سريع يحمل
خنجراً ثقیل الوزن استقر نصله بین خشب أحد الأعمدة الداعمة
للمنزل وعلى بعد ستمترات قليلة من أنف (غيث) الذي وقف
مكانه للحظة مشدوه الوجه قبل أن يظهر جرح على أنفه ذرف بعض
الدماء.

تيس (غيث) قليلاً بينما شعر بالدفء الذي تسرب لبقية وجهه،
فقام بالالتفات ببطء محاولاً إيجاد مصدر ألمه كما فعل البقية، نظر
الجميع للخارج لتلتقي أعينهم برجل ملثم بالسواد كبقية أقرانه
يقف على مسافة يسيرة منهم.

شتم الرجل تحت أنفاسه وهم ليسحب خنجراً آخر من حقيبة
جلدية مقيدة بفخذه، وما أن لامست أصابعه المقبض حتى صعقه
ألم شديد جعله يتخشب حيث وقف، ظلت أنظاره موجهة للأرض
من تحته مراقباً قطرات قرمزية تُقطر على التراب من تحته، رفع رأسه
ببطء محاولاً استيعاب ما أصابه ليرى مخلباً عملاقاً يخترق صدره،
تابعت أعينه التسلق للأعلى حتى هبطت على صاحب تلك المخالب
الذي حلق به بعين واحدة ذهبية ومريية، قبل أن يبدأ المخلوق

بإغلاق مخالبه للدخول ليسحق أعضاء الرجل الداخلية ولكن ببطء
مريع جعله ينوح بألم وأنفاس متثاقلة، يصرخ تارة ويحاول التقاط
أنفاسه تارة، بينما كان (تولبا) يميل رأسه متأملاً ذلك العذاب الذي
سببه، وكأنه يستمتع به.

حذق (غيث) في المنظر أمامه فاغراً فاهه، غير مدرك بشكل تام
لما كان يجري من حوله، حتى فرقعت (أم السعف والليف) أصابعها
أمام وجهه لتوقظه من سر حانه.

(أم السعف والليف) بنبرة تخللها القلق: اسمع يا (غيث)،
عليك الرحيل، فإن بقيت هنا فقد يتمكنون منك! خذ ابني معك
وشد رحالك ولا تلتفت للوراء أبداً!

رمش (غيث) عدة مرات متأملاً جدية معاملها: إلى أين؟

بدأت العجوز بدفعه للمخرج الواقع بالجهة المقابلة من هذه
الفوضى كلها: حيث تأخذك أرجلك، هيا اذهبوا! ومهما حصل يا
(غيث)، احذر الالتفات، مهما سمعت ومهما شعرت، لا تقف أبداً،
أطلق العنان لأقدامك واركض بكل ما أوتيت من قوة!

لم تعطه (أم السعف والليف) أي فرصة للاعتراض، بل فتحت
الباب وقامت بدفعه بقوة للخارج هو ومن معه ليعلو أزيز الملحمة
على مسامعهم بينما هبت الرياح تجري من خلال ثيابهم.

أمر (السعف) بنبرة مفزعة: سمعتم السيدة، اركضوا!

بدا حينها وكأن اثنين استيقظا مما كانا فيه وهرعا لإطلاق العنان
لأرجلها لتتسابق أقدامهما بعضهما مع بعض ليركضا بأسرع سرعة
ممكنة في هلع تام، وبدون أي هدف أو وجهة.

كانت الأفكار تضخ في عقل (غيث) بتسارع وعشوائية حتى
أدركه تساؤل ما.

«أين هو (تولبا)؟»

وبدون أن يفكر، لوح برأسه لينظر من وراء كتفه باحثاً عنه،
وحينها استوقفه شعور موحش تغلغل في أطرافه، لم يجدر به فعل
ذلك.

لم تكن إلا ثوانٍ معدودة حتى رآته عدة كيانات متباعدة تمكنت
من الانتقال من مكانها إلى حيث كان بسرعة الضوء، ليقف (غيث)
مكانه محاطاً بخمسة مخلوقات تنوعت أشكالها ما بين خليط الإنس
والحيوان، فمنهم الطويل، ومنهم القزم، ومنهم من يمشي على
أربع ومنهم من يطفو من على الأرض، لم يستطع (غيث) تدارك
الوضع ووجد نفسه في منتصف تلك الدائرة المشؤومة شامخاً غباءه
المستفحل.

توقف كلُّ من (السعف) و(الليف) عن الركض فور ما أدركا ما حصل والتفتا وراءهما لذلك المنظر المفزع، حاولت الفتاة التدخل لإنقاذه ولكن خليلها وقف أمامها رافعاً ذراعه، ناهياً إياها.

فمهما فعلا، فهما لن يتمكنوا من إنقاذ (غيث) الآن، ولم ير أيُّ منهم (تولبا)، وحتى إن حاول الخليل حماية سيده، فهل سيتمكن من الإطاحة بخمسة من الخُلان؟

وقف (غيث) مكانه يحاول التقاط أنفاسه، مجدداً بتلك المعالم الوحشية والأنياب المكشوفة.

ما بينهم كان هناك غول يمشي على أربعة أطراف، وذو منظر تنفر منه الأعين من بشاعته، وما أن اشتَم رائحة (غيث) حتى صرخ بحماس مفرط: إنه زوهري! إنه زوهري! كما قالت الإشاعات!

تدخل شيء آخر من بينهم وكان من بني النسناس، فكان عبارة عن جسد بذراع واحدة وساق واحدة، وبوجه يتنازل حتى صدره، ونطق بخبث قاتلاً: وهو من العيار العالي، تجتمع فيه جميع الصفات!

كاد يقسم (غيث) إن معدته التصقت بظهره إثر الفزع الذي اعتلاه بما رآه، ولكنه تحزم وظل واقفاً مكانه، آملاً للمرة الأولى في حياته بأن يرى (تولبا) أمامه الآن، ولكنه لم يظهر.

التفت تارة يمينًا وتارة يسارًا متأملًا في الكيانات التي وقفت
أمامه باحثًا عن مخرج لم يحده.

وبينما كانوا على ذلك الحال تسلسل من بينهم مخلوق ذو عنق شديد
الطول، ذو وجه مكون من عدد من الأعين التي غطت معاله تمامًا،
كان شديد النحول حتى ظهرت نتوءات قفصه الصدري من تحت
جلده الأزرق الباهت، وطمست ملامح جسده من بعد خصره
ليلتحم إلى ذيل تغطيه الحراشف.

خيم ذلك المخلوق المريب فوق (غيث) حتى غطاه بظله، وتحت
ظلمات الليل كانت أعينه العديدة تلمع بنيرة تنذر بالسوء.

نطق المخلوق بصوت متحشرج: إذا، أنت من اختارته النجوم.
قطب (غيث) حاجبيه وقال بكل جدية بعد ما استجمع كل قواه
حتى يبدو ثابتًا: تقدم خطوة أخرى، وستلقى هلاكك.

أمال المخلوق رأسه متسائلًا بسخرية: وهل ألقى هلاكي على يد
زوهري حديث الاستيقاظ؟

اعتلى التعجب معالم (غيث)، لم يعلم ما كان يعنيه ذلك الخليل
في حديثه، ولكنه تظاهر بأنه يفعل: حديث الاستيقاظ أم لا، فأنا
زوهري ولا خلاف في ذلك.

رد المخلوق متحذلقاً: يراودني الفضول حول كيفية تخلص
يوهري من خمسة من الخلان.

لم يكن (غيث) ينوي على الجلوس هناك والاستماع لما كان على
وشك قوله، فأخذ نفساً عميقاً جعل صدره يرتفع ومن ثم أقحم
إصبعيه في فمه ليطلق صفيراً عاليًا جعل الخلان من حوله ينظرون
إليه بتعجب، ولكن ما أن تعالت تلك الموجات الصوتية في الهواء
حتى دوى صوت نعيق موحش تصم له الأذان، من شدته صر
صريره بخشونة جعل كل الموجودين يقومون باحتضان رؤوسهم
بين أيادهم، تبعه صوت أزيز لجسد يخترق الهواء بسرعة مرعبة
كمرحاضة تجول في السماء لينفجر ذلك المخلوق المريب لأشلاء
وتتطاير دماؤه في الهواء لتهبط على (غيث) وما حوله إثر اختراق
(تولبا) جسده بسرعة الضوء.

وسرعان ما هبط على الأرض حتى استدار ووقف أمام (غيث)
فأردًا جناحيه وصارخًا بكل ما أوتي من قوة مهددًا ما تبقى من تلك
الدائرة المشرومة التي وقفت مكانها مغطاة بالدماء المتبخرة.

رسم الرعب على وجه الغول: إ- إن له خليلاً! لم نخبرنا أحد
بذلك!

رد عليه النسناس: إنه من بني الحن والبن! كيف يعقل ذلك!؟
وبينما كانت المجموعة في حيرة من أمرها أضاق (غيث) عينيه
وأمر: (تولبا)، اقتلهم جميعاً.

ما أن سمعت تلك الكينونات بذلك الأمر حتى بدؤوا بالتوسل
بخنوع: م- مهلاً انتظر! نحن نستطيع مساعدتك!

ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفاه (غيث)، هو لم يكن يدرك ما
إن كانوا ضعفاء، حمقى، أم جنباء، ولم يكن يعلم ما إن كان تهديده
سيعمل ضدهم، ولكن دخول (تولبا) المسرحي أوفى بالغرض.
رفع (غيث) يده مشيراً: (تولبا) انتظر، وكيف يكون ذلك؟

تدخل مخلوق ثالث من المجموعة، كان مريباً كبقيتهم إلا أنه بدا
مستذبباً في الشكل، كالقطرب الذي تحدثت عنه الأساطير، فنطق
بصوت عميق: سنعطيك علماً تنجو به برفقتك بشرط أن تطلق
سراحنا!

أوماً (غيث) برأسه: كان بها.

فنطق القطرب مذعورًا: السفليون جميعهم يستهدفونك، ولن يتوقفوا حتى يأتوا برأسك لكبيرهم، ولكن هناك كائن واحد فقط يخشونه ولن يتجرؤوا على المساس به.

أمال (غيث) رأسه: ومن يكون ذلك؟

رد القطرب ملتفتًا يمينًا ويسارًا قبل أن يتحدث، وكأنه يخشى أن يسمعه أحدهم: الملك أبو محرز الأحمر!

هرب شهيق عالٍ من بين أفواه الحاضرين، وكأن الحديث وحده سيجلبه مع الريح.

تدخلت (الليف) من وراء (غيث) مستنكرة ذلك تمامًا: أجن جنونك؟! ما الذي يجعل أقوى ملوك الجان يساعدنا؟

أكمل القطرب: لأنه قام بذلك من قبل، مع فتاة من نسل زرقاء اليمامة تسكن في قرية قريبة تدعى (خرار) فإن كُتِم بجوارها أو حولها فلن يتمكن من مسك أحد من السفليين!

تبادل (غيث) النظرات المرتابة مع (الليف)، التي بدت وكأنها تشكك في الأمر هي الأخرى، ولكن لم يكن بمقدورهما فعل شيء إلا الوثوق بكلامه.

حَدِّقْ (غَيْثٌ) بِالْقَطْرِ بِأَعْيُنٍ مُتَوَعِّدَةٍ رَغِمَ أَنَّهُ وَجَّهَ كَلَامَهُ
لِخَلِيلِهِ: (تَوَلَّى)، إِنْ اتَّضَحَ أَنَّ هَذَا الْقَطْرَ يُخْبِرُنِي بِمَا لَا صِحَّةَ فِيهِ.
فَقُمْ بِإِيجَادِهِ حَيْثُ كَانَ وَعِدْ لِي بِرَأْسِهِ.

أَطْلُقْ (تَوَلَّى) نَعِيقًا مُسْتَجِيبًا لِأَمْرِ سَيِّدِهِ.

رَسَمَ التَّوَجُّسَ عَلَى مَعَالِمِ الْقَطْرِ: إِنْ هَذَا الْعِلْمُ لِسَلِيمٍ، وَأَنَا عَلَى
مَا أَقُولُهُ شَاهِدٌ!

التَّفْ (غَيْثٌ) عَلَى كَعْبِهِ: كَانَ بِهَا.

كَانَ آخِرُ مَا تَفَوَّهَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يُطْلَقَ الْعَنَانُ لِرَجْلَيْهِ لِيَعْدُوَ بِجَانِبِ
(الْإِلْفِ) وَ(السَّعْفِ)، بَيْنَمَا وَقَفَ (تَوَلَّى) مَكَانَهُ وَكَأَنَّهُ لَا يَزَالُ يُحْمِي
ظُهُورَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ لِيُطْلَقَ صِيحَةٌ آخِرَةٌ صَمَتَ لَهَا الْآذَانُ
قَبْلَ أَنْ يَنْطَلِقَ مُحَلِّقًا كَالسَّهْمِ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ، تَارِكًا الْمَجْمُوعَةَ
تَرْتَجِفُ مِنْ نَذِيرِهِ الْوَاضِحِ.



@ART_OF_BOOK

سيد الغرب

تعالّت الهمسات بين الحشد، تقفز من شفاه أحدهم لمسامع آخر،
حتى تكومت بعضها فوق بعض ليصدق التشويش من على الجدران
التي سدلت عليها ستائر الظلام.

بين الجمع الغفير وقعت مائدة حجرية دائرية بدائية المظهر،
علتها نقوش غريبة وغير مفهومة رغم سباحة الحروف العربية
ما بينها، تمقعد حول المائدة عدد من الأشخاص الذين تدهنوا
بالسواد التام، فيكاد لا يُرى من وجوههم شيءٌ إثر الرداء الذي
غطى رؤوسهم، ما بين تلك المقاعد جلس شاب يختلف في مظهره
عن أقرانه.

كان شاباً أبيض البشرة ذا خصلات ذهبية مموجة ومربوطة
للوراء، ذا أعين زرقاء ووجه اكتسى بلحية قصيرة تماشي لون شعره،
ورغم ارتدائه للباس عربي المعالم، كان واضحاً كونه أجنبيّاً، وما كان
أكثر وضوحاً من كل ذلك كان الضجر الذي اعتلى معالمه بينما جدد
بالسفليين من أمامه.

نطق أحدهم بصوت مثير للرغبة: إذا، ما علينا فعله يا (أدريان)؟
الشاب زوهري لا شك في ذلك، ولكن امتلاكه لخليل كان أمراً لم
نحسب حسابه.

قلب (أدريان) السكين ما بين أصابعه بحركة سريعة بينما نطق
الأحرف العربية بلكنة أجنبية واضحة: أنت طلبتني، ماذا تريد؟
رد عليه السفلي: نريدك أن تجلبه لنا.

أمال (أدريان) رأسه بينما اتكأ بكسل على مقعده للحظة من
الصمت قبل أن يرفع يده أمامه ليقلل ويفتح كفه مشيراً لهم بمبتغاه،
فهم أحد السفليين ليرمي أمامه صرة ثقيلة أصدى صوت ارتطامها
من على الجدران بسبب امتلائها.

ارتسمت ابتسامة مكرة على شفتي (أدريان) فوراً ثم أردف:
ولكن... خليله قوي، ليس جنياً.

أوماً أحد السفليين برأسه: يبدو أنه من بني الحن والبن، لا
أعلم كيف حصل ذلك ولكن على أي حال، جدد طريقة ما للإتيان
بالزوهري.

جال (أدريان) بنظره بين السفلي وصرة المال التي وقعت على
منتصف الطاولة بنظرة مطالبة، فقام أحد السفليين بإلقاء صرة

أخرى تساوي في ثقلها الأولى وأضاف: ما تبقى تستلمه بعد انتهائك
من مهمتك.

ارتسم السرور على أسارير (أدريان) لينهض من مكانه ليقبض
على مستحقاته قبل أن يلوح بأصبعين من على جبينه مودعًا الجموع.

زقزقت الطيور معلنة استقرار الشمس في كبد السماء بينما تسلبت
الأشعة الدافئة على جفون (الليف) التي استلقت منهكة على جذع
شجرة ما لتقطب حاجبيها بانزعاج قبل أن يفترق رمشاها بعضها
عن بعض لتجول بنظرها متفحصة محيطاتها بوهن لترى (غيث)
متكئًا بظهره على جذع شجرة أخرى من أمامها، بأصابع متشابكة
على صدره ورأس مطأطأ للأسفل بينما غط في سبات عميق، بجانبه
وقف (تولبا) سامقًا، وكأنه يحرسه من الأعداء بينما كان يغفو،
أحالت برأسها إلى يمينها لترى (السعف) مطبقًا وجليه من تحته
يجلس على الأرض كما تفعل الإبل، عاقدًا ذراعيه مراقبًا لما حوله
هو الآخر.

ما أن انتبه (السعف) لاستيقاظها حتى حياها: صباح الخير،

كيف وجدت راحتك؟

فركت (الليف) عنقها: وهل هناك أي راحة في الموضوع؟ لا
يهم، أين نحن الآن؟

أشار (السعف) برأسه لما وراءه مشيراً إلى جبال تكسوها الخضرة،
تزدان ببعض المباني التي بُنيت من حجر: لم يكذب ذلك القطرب،
إن مكانها قريب بالفعل.

نهضت (الليف) من مكانها لتنفض التراب من على ثوبها: هيا
إِذَا، قبل أن نجدنا أحد السفليين.

وقفت (ليف) مكانها محدقة بـ (غيث) الذي لا يزال يشخرو ومن
ثم لحصى على لأرض بجانب رجلها، وتمت بصوت يكاد ألا
يكون مسموعاً: لولا خشيتي من خليله المسعور لكنت حذفته بهذه
الحصى.

هربت ضحكة مكتومة من بين شفتي (السعف) قبل أن تهم
سيدته بمحاولات إيقاظ الشاب، الذي لم يستسلم عن أحلامه
بسهولة، ولكن بعد عدة نداءات بدا وكأنه أفاق أخيراً، فاركأ عينيه
ببطء.

شاهد (السعف) ذلك المشهد بحذر تام، مراقباً تحركات (تولبا)
الذي وقف مكانه مشاهداً سيده بهدوء، ورغم كونه في هذه الحالة

المستببة في الوقت الحالي، إلا أنه كان يصعب الوثوق بمخلوق يملك
هذا التعطش الشديد للدماء.

فرغم أنه خليل ذو سيد، إلا أن تصرفاته عنيفة ولا يمكن توقعها،
وذلك كله يكمن في عدم تمكن سيده منه.

كان يشكك (السعف) ما إن كان هذا الشاب القابع أمامه هو
زوهريًا بالفعل، وإن كان كذلك، فهو مصدر للخطر الدائم، فأن
أكملت سيدته بالمشي بجانبه فسوف يتم استهدافها بلا شك، ولولا
احترامه لطلبات أمه، لكان جر سيدته لبر الأمان تاركًا هذا الشاب
ليتدبر أمره وحده.

ما أن ألقى (غيث) نظره على (الليف) حتى نطق بنبرة يتخللها
النعاس: ... لا بد أنني لا أزال أحلم.

قطبت (الليف) حاجبيها وردت بنبرة مستاءة: أؤكد لك أنك
في عالم الصحوة، هيا انهض لنجد تلك الفتاة قبل أن نجدنا أحدًا.

توسعت حدقتا (غيث) عندما أدرك ما تفوهت به واستقام من
مكانته كالسهم بينما ظهر الإحراج على معالمة: ... هل تحدثت بصوت

هال؟

ردت عليه (الليف) بينما استدارت على كعبها وبدأت بالمشي:
بمثل علو شخيرك تقريبًا.

لطم (غيث) جبينه بكفه بينما ظهرت الحمرة على وجنتيه، ثم
أزاح يده ليدرك أنها كانت قد بدأت بشق طريقها لوجهتهم بالفعل،
فهوول بخفة حتى عاد يمشي بجانبها.

ظلا يخطوان بهدوء خلال الصخور والأعشاب، بينما استرق
(غيث) النظر لـ (السعف) ومن ثم لـ (الليف)، فلم يتمكن من
التحكم بفضوله فسأل: هل يمكنني سؤالك عن أمر؟

ردت (الليف) بسخرية: أنت تسأل بالفعل.

زم (غيث) شفتيه ولكنه لم يمتنع فنطق: أمك تدعى (أم السعف
والليف)، وخليك (السعف) وأنت (الليف)، فهل أنتما سيدة
وخليل أم أخوان؟

هربت ضحكة من شفاه (الليف)، وكأنها لم تتوقع سؤاله، وقبل
أن تتمكن من الرد، نطق (السعف): أنا يمكنني قص هذه القصة.

أوماً (غيث) برأسه مشيرًا له بالحديث، فأكمل: لقد أتيت إلى

والدة في زمن كان قلبي تائها فيه، فأنا من قبيلة من الجان تدعى
أهل التراب، وكما يقترح الاسم فعادة يقطن بنو قومنا الصحاري
الوديان، ولكن شيخنا كان قد سمع بوجود سيدة مقتدرة في
إراضي الجنوب، وألح علي بأن أذهب لأعرض نفسي عليها كخليل،
حتى تتمكن من التوسع في نطاق حكمنا، إلا أنني لم أرغب بفعل
ذلك حقًا، فذهبت مرغماً، وعندما وجدت نفسي على أعتاب بابها،
كانت الوالدة حاملاً بـ (الليف)، ورغم متاعب ذلك الأمر إلا أنها
أخرجتني بكرمها، فاستضافني وآوتني رغم أنني لم أوضح لها نيتي
حتى، فكنت أشعر بأن هناك شيئاً ما يمنعني من ذلك، ولكنها رغم
ذلك رحبت بوجودي وبقيت في كنفها حتى بدأت تخبر الناس بأنني
ولدتُ لها، فعندما يسألها أحدهم عن كنيثها كانت تقول: «أم السعف».
وظللنا هكذا حتى أنجبت (الليف)، وعندما رأيتها، علمت بأنني
سأعقد دمي بها، فسعدت الوالدة لذلك الأمر جداً حتى سال الدمع
على وجنتيها، وكأنها ارتاحت لوجود من يرعاها غيرها، فظللنا
أنا و(الليف) معاً وتربينا كأخوين، حتى بلغت (الليف) رشدها،
وهقدنا الدماء بعضها ببعض.

ارتسم التعجب على معالم (غيث): وهل يمكن للخليل الاقتران
بسيده من قبل أن يولد حتى؟

همهم (السعف) قبل يتحدث: هو ليس اختياراً، بل يبدو كغريزة
وإحساس أكثر من أي شيء آخر، مثل أخذ رئتيك للأنفاس، فلا
يمكن تخيل حياة بدون ذلك.

رمق (غيث) خليله بنظرة مشككة: أكاد لا أصدق أن ذلك ما
يشعر به هذا الدجاجة.

نطقت (الليف) حينها: لو كنت مكانك لشككت في وضعه أنا
أيضاً، فطريقة استدعائك له حتى ارتباطه بك ليست طبيعية، فلم
يكن لقاءً كما عضوياً أو مبنياً على حديث أو تفاهم، بل على غريزته
للتشبث بكيانك فحسب، وقد يرجع هذا الأمر لكونك زوهرياً
فحسب.

وقبل أن يتمكن من الاعتراض، قوبلت أعينه بعدة مبانٍ صخرية
محاطة بالأشجار والخضار من كل زاوية، طرقاتها كانت تحتوي على
بعض القرويين البسطاء في المنظر، بعضهم ارتدى الثوب والبعض
الآخر ارتدى قطعاً قماشية ملونة تمتد من وسطهم إلى أعلى الكعبين،

بينما لبس البعض الآخر عصابات من الورد على جبينهم، ومما يبدو
كانت تلك العصابات من القطع المفضلة للسائحين، فكان العديد
منهم يصطفون أمام البائعين لبس تلك الورد.

ولكن ما لفت انتباه (غيث) كان شيئاً مختلفاً تماماً، فالتقطت أعينه
مؤخرة رأس امرأة ما كانت تقف بين ذلك الصف، ذات خصلات
تضارب ألوانها ما بين اللون البني والأبيض بشكل غريب، بجانبها
وقف رجل طويل وعريض المنكبين.

لم يعلم (غيث) لم كان يشعر بشعور غريب تجاه هذه المرأة،
وكان هناك شيئاً ما يقبع داخلها شد على أطراف روحه، وما أن
التفت على كعبها والتقت أعينها بأعينه حتى شعر بتيار غريب من
المشاعر لم يستطع تحديده، كنوع من أنواع الانتواء ولكن تخللته هبة
مريبة، ولم يكن الوحيد الذي اكتسحه هذا الشعور، فكان كلٌّ من
(السعف)، (الليف)، وحتى (تولبا) يقفون مكتوفي الأيدي يحدقون
بها فحسب، حينها بدأت تلك المرأة تخطو باتجاههم مشدوهة الوجه،
وكانما تقودها أرجلها من تلقاء نفسها، تاركة ذلك الرجل وراءها.

أخذت خطوة وراء الأخرى حتى وقفت أمام المجموعة ونطقت

بهدهوء: معقدون أنتم؟

بدت كلماتها وكأنها أيقظتهم من سكرتهم وسأل (غيث) متردداً:

م- ماذا تقصدين؟

حدقت المرأة لوهلة به وبخيله ومن ثم نطقت: لن يجدي ذلك،
عليك تدارك خليلك، أو لن تتمكن من الالتحام، وستلقى حتفك
إثر ذلك الصراع.

(غيث) يتخوف: الالتحام؟

«(رعد)! أين ذهبت؟»

قاطعهم صوت الرجل ذي الأعين الذهبية بينما خطا باتجاههم
ليقف بجانب المرأة، وما أن ألقى بنظره على (غيث) و(الليف)
اللذين تسمرا في أماكنهما حتى حاول تدارك الوضع: أرجو أن
تعذرا زوجتي، فهي تستطيع رؤية ما لا يستطيعه غيرها.

التفتت (رعد) إليه وما زحت: صحيح، كما تستطيع رؤية أعلى
رأسي الآن من طولك الفارع.

لبس الرجل نصف ابتسامة، وكأنه يود الضحك ولكنه غير قادر
على ذلك قبل أن ينطق: حسناً، أعتقد أن هذا الثنائي قد اكتفى من
صدماتك العاطفية، هيا لنذهب.

تمسك (شهاب) بيد زوجته ليتعد عن الثنائي، بينما لوححت لهم
ورعد) مودعة وبابتسامة قبل أن تحذر: لا تنسَ ما قلته لك!

ابتعد الزوجان ليندمجا مع بقية المحيط ويختفيا تمامًا على الأنظار،
تاركين كلاً من (غيث) و(الليف) ليستجمعا أنفاسهما بصعوبة.
تجد أعلى أنف (السعف) بينما حدق في محيطاته: لم أستطع تمييز
طبيعتها... تبدو كبشرية وغير ذلك في آن واحد.

هزت (الليف) رأسها: لا وقت لذلك، لنجد سليلة زرقاء اليمامة.
أوما الجميع برؤوسهم في اتفاق صامت واستجمعوا أنفسهم
ليقوموا بشق طريقهم خلال القرية، متفحصين المنازل التي تشابهت
في الهيئة، إلا منزلاً واحداً.

كان أبعد مبنى عن مدخل القرية، وكأنه يقبع بهدوء في مؤخرتها،
كان محاطاً بشجيرات ينبض من بين أوراقها الخضراء لون أحمر للزهر
الذي غزاها من كل الجهات، وكأنها يعوم داخل تلك الشجيرات.
أشار (غيث) لذلك المنزل متبادلاً النظرات مع البقية فتقدموا
جميعاً متوجهين للمدخل حينما رفعت (الليف) ذراعها أمام (غيث)
لمنعه من التقدم.

تجوزك (شهاب) بيد زوجته ليرتعد عن الثنائي، بينما لوححت لهم
زوجة مروعة وباتسامة قبل أن تحذر: لا تنس ما قلته لك!

الزوجان ليرتدجا مع بقية المحيط ويختفيا تمامًا على الأنظار،
طريقين كلاً من (غيث) و(الليف) ليستجمعا أنفاسهما بصعوبة.

تجوز أعلى أنف (السعف) بينما حلق في محيطاته: لم أستطع تمييز
طبيعتها... تبدو كبشرية وغير ذلك في آن واحد.

هزت (الليف) رأسها: لا وقت لذلك، لنجد سليفة زرقاء اليمامة.
لوعاً الجميع برؤوسهم في اتفاق صامت واستجمعوا أنفسهم
ليخرجوا بشق طريقهم خلال القرية، متفحصين المنازل التي تشابهت
في هيئة، إلا متراً واحداً.

كان أبعد مبنى عن مدخل القرية، وكأنه يقبع بهدوء في مؤخرتها،
كان محاطاً بشجيرات ينبض من بين أوراقها الخضراء لون أحمر للزهر
الذي غزاها من كل الجهات، وكأنها يعوم داخل تلك الشجيرات.

أشار (غيث) لذلك المنزل متبادلاً النظرات مع البقية فتقدموا
جميعاً متوجهين للمدخل حينما رفعت (الليف) ذراعها أمام (غيث)
لتمنعهم من التقدم.

وضح التعجب على معالمة: ما الخطب؟

أشارت (الليف) للأرض من تحتهم ليلاحظ (غيث) حبيبات
الملح القاسي التي رسمت دائرة مربية على التراب من تحتهم، ولكن
(تولبا) لم يلحظ توقف سيده في الوقت المناسب، وقبل أن يدرك
أحد، كان سبق وأن خطا بقدمه على تلك الدائرة.

وفي لحظة اشتعلت الدائرة نارًا تكاد تتراقص شعلاتها للسماء
ليرفع (تولبا) مخله مطلقًا صيحة متأوهة من الألم الذي أصابه.
تبادل (غيث) النظرات القلقة ما بين خليه والمنزل الذي بدا
أكثر ريبة من ذي قبل، وبينما كانوا على ذلك الحال بدأت التيران
بالتشكل ليرتفع جسد سامق من بين اللظى، وفي غمضة عين وقعت
أمامهم حارسة مهيبة، ذات رأس لبؤة وجسد مختلط ما بين الحيران
والإنسان، لها عنق غليظ تغطيه الحلي الملونة التي تنوعت ما بين
ذهب وأحجار كريمة، ترتدي رداءً أبيض يتدفق لكعبي ساقيهما
الحيوانيتين، وتحمل بين يديها رمحًا طويلًا مدببًا.

أظلت من فوق رؤوسهم بظلمتها العظيم قبل أن تنطق بصوت
ثقيل ونبرة صلقة: من يجرؤ على التعدي على أرض الملك الأحمر؟!
رغم حرارة النيران إلا أن الدم تجمد في عروق كل من (غيث)
و(الليف) من ذلك المنظر المهيب، فتدخل (السعف) حينها محاولاً

التحدث مع تلك الحارسة الشرسة: أستمحك عذراً يا ابنة اللهب،
أنا (السعف) من أهل التراب، وهذه سيدتي المبعجلة، يرافقنا سيد
آخر وخليله قد تأما عن وجهتهما وهما بحاجة ماسة إلى من يدهم
إلى الصواب.

كشرت الحارسة عن أنيابها: وما غايتكم بسيدتي؟
قاطع (غيث) الحديث وأجاب: نحن بحاجة لحماية الملك أبي
محرز الأحمر، ولو لفترة وجيزة.

التفت الحارسة برأسها للشاب: ومن تعتقد نفسك لتطلب حماية
الملك الأحمر!؟

رفع (غيث) ذراعيه في الهواء مستسلماً: اسمعي يا آنسة، لو لم أكن
مضطراً لما جئتكم! فقد سمعت بأن الملك الأحمر صاحب مروءة
وأنتيت إليكم أطلب الملجأ من السفليين حتى أستطيع استجماع
نفسي.

تجمد أنف الحارسة وكأن تلك المعلومة أثارت غضبها أكثر من
ذي قبل: أنتيت ملاحقاً!؟

تدخلت (الليف) بجدية: يا ابنة اللهب، ما أنتيتنا إلا ونحن
مرغمون، اعتبريه طلباً من (أم السعف والليف).

حدقت الحارسة في الشابة لثانية قبل أن يقطعهم صوت فتاة من
وراء الحارسة لينادي: لتهدئي يا (بهنس)، ف (أم السعف والليف)
ليست امرأة سهلة.

ما أن سمعت (بهنس) سيدتها حتى ارتحت ونزلت على إحدى
ركبتيها خانعة: ولكن... سيدتي، قد يكونون خطرًا عليك! وإن
أصابك مكروه فلن يهدأ للملك الأحمر بال!

فأجابت الفتاة ضاحكة: وهل يصيني مكروه وأنت بجواري؟
تنازلت فتاة قصيرة القامة ذات بشرة باهتة وخصلات شديدة
البياض من عتبة المنزل الحجري، عيناها زرقاوان مشعتان بضياء
غريب، ترتدي ثوبًا جنوبيًا تقليديًا بعصبة برتقالية اللون تقيد
حبينها.

خطت الفتاة باتجاههم ووقفت لتأمل في المجموعة ومن ثم
توجهت أعينها لـ (الليف): إذا أنت (الليف)، لم تكذب الشائعات
في وصف جمالك.

ارتسمت ابتسامة خجول على معالم (الليف) لتخفي رأسها
متشكرة: هذه مبالغة أنستي.

جالت تلك الأعين الزرقاء بين وجوههم، وكأنها تحرق

أرواحهم: سيد زوهري و خليل من الحن والبن؟ يا له من ثنائي
مغريب...

وضح التعجب على معالم (غيث) ولكنها لم تعطه الوقت للسؤال،
فأردفت: على أي حال، أنا (فضة). أرجوا أن تعذروا (بهنس)، فهي
ذات دم حام. تفضلوا للدخل أرجوكم، فالإساءة للضيف ليست
من شيم العرب.

ما أن قالت ذلك حتى أزاحت (بهنس) حفنة من الملح الحشن
بأحد مخليها لتفتح مجالاً في تلك الدائرة لتخطو المجموعة من خلالها
إلى داخل المنزل بإرشاد من صاحبه. كانت داخلية المنزل متواضعة
وبسيطة في المنظر، ازدانت جدران المنزل بنقش القط العسيري
الزاهر بالألوان، بينما استقرت جلسة أرضية تقليدية في منتصف
المكان. بالإضافة لانتشار بعض الأثاث البسيط المصنوع من الجلد
المليغ وما شابهه من الحرف المنتشرة في تلك المنطقة، ولكن بين
كل سطح وآخر، كانت هناك صناديق خشبية ممتلئة حتى طفحت
بالمحب، المجوهرات، والأحجار الكريمة.

أرشدتهم (فضة) لتلك الجلسة الأرضية، فاستقروا عليها بينما
قامت بمناولتهم فناجين من القهوة الساخنة بينما تحدثت: دعني

أحزر يا زوهري، أنت تواجه المصاعب مع خليلك، فعلاقتكما غير
مستقرة بتاتا وحياتك على المحك؟

حذق بها (غيث) فاغراً فاهه: نظرك أكثر حلماً من أجدادك!
قهقهت (فضة): جميعنا نملك بعد النظر، وبناءً على ذلك، فأنت
تطلب اللجوء؟

أوماً (غيث) برأسه موافقاً، فأكملت (فضة): ولكن اللجوء
ليس إلا حلاً مؤقتاً، فالحل الحقيقي هو انسجامك مع خليلك قبل
أن تقتلا بعضكما بعضاً.

سأل (غيث): وكيف أفعل ذلك؟

همهمت (فضة): يجب عليك مساعدته على كل ما فعله لحمايتك
رغم مبالغته في ردود فعله، إلا أنه كان يريد راحة بالك فحسب،
ولا تنس، فهو صغير بالسن نسبياً فلا يزال لا يدرك حجم أفعاله،
فيجب عليك تعليمه.

قال (غيث) بتهكم: لست معجباً بهذه الأبوة المبكرة بكل
صراحة.

رفعت (فضة) كتفيها باستسلام: هذا ما وجدنا أنفسنا عليه،

فيجب عليك التأقلم وتدارك شخصيته إن أردت النجاة بحياتك،
ولكن قد يكون هناك ما يساعدك.

كاد (غيث) أن يقفز من مكانه بفضول: ما هو!؟

ردت (فضة): عليك بحجر الكهرمان، فهو يعزز ويقوي أداءك
الروحي، وليس بصعب المنال فيمكنك إيجاده في السوق الذي
مررت به في طريقكم إلى هنا.

نهض (غيث) من مكانه فوراً وكأنه لا يستطيع الانتظار للحظة
أخرى: هيا إذا!

قهقهت (فضة) وأشارت لحارستها: ستقودكم (بهنس)، ما أن
تجد مبتغاك ائني به لأتمكن من ختمه بختم الملك الأحمر، ذلك
سيعزز من خواصه وسيضمن لك الحماية في ترحالك.

اعترضت (بهنس) بقلق موبق: ولكن سيدتي، هل ستكونين
بخير وحدك؟

لوحث (فضة) بيدها مطمئنة: لا داعي للقلق، فـ (السعف)
و(الليف) سيبقيان معي.

حدجت (بهنس) باتجاه (السعف) مهددة إياه: إن حصل أي
مكروه لسيدتي فأنت في عداد الموتى.

وضع (السعف) يده على صدره: هي في أيد أمينة.

وعلى ذلك، خرج (غيث) من منزل المحروسة واتجه لوجهته مع
خليله بقيادة (بهنس) التي تشكلت على هيئة قطة برتقالية اللون،
حتى وصلوا للسوق الشعبي ليتجول (غيث) ما بين المحلات بأعين
ملتصقة بتلك القطة التي كانت تتداخل ما بين أرجل المارة بسهولة
وانسيابية تامتين حتى قادتته إلى أحد المتاجر الذي أظهرت تصدعات
جدرانها كبر سنه، وضع (غيث) يده على بكرة الباب الخشبي المتهاك
ليصدق صريره في المكان بينما خطا للدخل.

رحب به كهل يتبسم بهدوء وسأله عن مبتغاه، وما أن أخبره
(غيث) حتى أخرج عدة قطع من الكهرمان تنوعت في صياغتها
وهيئتها ولكن أكثر ما ناسب (غيث) كان مسبحاً مكوناً من حجر
الكهرمان الأصفر، فقام بشرائه وخرج من المكان ليبحث عن القطة
البرتقالية ولكنه لم يرها لسبب ما.

وقف مكانه في حيرة من أمره حتى رأى طيفاً يمر بسرعة شديدة

بين الأزقة بجانبه، تعجب (غيث) قليلاً ولكنه ظن أن ذلك الطيف ليس إلا (هنس)، فاستدار على كعبه وشفق طريقه في ذلك الممر الضيق، ومن ثم أخذ الزقاق يمينا ليقابله حائط يسد طريقه.

تعجب (غيث) من ذلك الأمر، فالتفت ليعود من حيث أتى، ولكن همس امرأة خفيفاً تجلى لأذنيه، صوت ساحر ينادي باسمه.

«(غيث)، أين أنت ذاهب؟»

التفت (غيث) برأسه بسرعة مفزوعاً ليرى امرأة فارعة الطول تنف في آخر الممر، ترتدي خماراً أسود شفافاً لا يغطي معالمها المثالية، فكانت تخطف الأنفاس بجماها، بثوب أسود اللون يتدفق من عليها بعمومة، وأعين ملتصقة ببؤرتيه وكأنها تسيطر على كيانه بشكل متعجب.

وضع يده على صدره في محاولة لاستدراك نفسه بينما اقتربت منه تلك الفتاة بخطوات بطيئة، وكأنها تتيح له فرصة تأملها، بينما تيسر في مكانه محاولاً الحراك ولكن جسده رفض الانصياع لأمره.

شفت المرأة طريقها باتجاهه، وفي كل خطوة تخطوها كانت

ابتسامتها تنمو لتصبح أكثر غرابة ورهبة من ذي قبل، تجدد (غيث) في مكانه مرغماً، حتى وقفت على مقربة منه لتظهر أذرعها من تحت أكمام ثوبها، سار الرعب في دم (غيث) عندهما رأى أن ذراعيها تشكلا هيئة منجلين حالكي السواد لمع معدنها تحت ضياء الشمس، ولكنه مهما حاول لم يستطع تحريك عضلة واحدة من جسده.

فباتت تأخذ خطوة متغنجة وراء الأخرى، تقفل النطاق ما بين وبين فريستها ببطء، سوء نواياها ظاهر على أساريرها.

حينها غزت مسامع (غيث) زجرة آتية من ورائه، ولم تكن إلا لحظات حتى قفز (تولبا) من وراء سيده لينقض على المرأة التي تصدت له بمتجليها بينما تعالت ضحكاتها في الأرجاء، وكأنها تستمتع بنفسها، وبينما شاهد (غيث) ذلك الاشتباك شعر بذراعيه تتسللان من أسفل إبطيه لتلتقي كفاهما على مؤخرة رأسه لتطرق حرسته تماماً.

توسعت حدقتاه مفزوعاً، ولكن جسده المدرب والنابض بالأدرينالين تحرك من طوع نفسه، فتشابكت أيديه لتسند رأسه ورمى بساقه للوراء ليدخلها ما بين ساقى المعتدي من ورائه وبحركة سريعة أدخل بتوازنه ليسقط أرضاً.

استدار (غيث) على كعبه ليواجه المعتدي أخيراً التسقط عيناه على

رجل أشقر الشعر، أجنبي المعالم، إلا أنه ارتدى ثياباً عربية المظهر،
كان يتفحص نفسه من الغبار بكل هدوء.

سأل (غيث) متوجساً: من أنت؟

وقف (أدريان) يحك رأسه بكل هدوء لينطق بلكنة أجنبية
واضحة: كيف أشرح الأمر؟... حتى أكون صريحاً، فأنا هنا
لاختطافك.

عقد (غيث) حاجبيه:.. تتحدث وكأنك مدبلج.

توسعت حدقتا (أدريان) وكأنه شعر بالإهانة: أستمحك عذراً،
العربية ليست لغتي الأولى، ولقد بذلت مجهوداً كبيراً في محاولة تعلم
لغتك!

هز (غيث) كتفيه: عليك العمل على لكتك.

حدق به (أدريان) بأعين غير مكترثة قبل أن ينطق: لم أهتم برأيك
على أي حال؟ فلن تكون متفرغاً لتعليمي بعد أن أسلمك للسفليين،
ولأنني كريم للغاية سأعطيك فرصة الإتيان معي طوعاً.

ابتسم (غيث) بمكر: وإن لم أفعل؟



أشار (أدريان) للاشتباك الذي وقع خلف (غيث). حيث
خليلك مشغول مع (أم الدويس) الخاصة بي، ولذا لن يتمكن من
إنقاذك، هل لكنتي واضحة بشكل كافٍ بالنسبة لك؟

زفر (غيث) وبدأ يثب في مكانه كما يفعل الملاكمون ليتخذ
وضعية قتالية بقبضتيه من أمامه: هيا إذا.

تأمل (أدريان) الشاب أمامه: مُدرب أنت؟

هز (غيث) كتفيه: فزت ببعض البطولات.

طقطق (أدريان) بلسانه متذمراً: باتت مهمتي أصعب من ذي
قبل، ولكن لا بأس لطالما أحببت التحديات.

تحرك (أدريان) بسرعة موجهًا ركلة لوجه (غيث) الذي تصدى
لها بذراعيه، عاد (أدريان) لتوازنه ليوجه ما بدا كلكمة لجانب
(غيث) إلا أن لمعاناً حاداً نبه الأخير إلى خطورة هذا الهجوم فحلفت
يده إلى معصم المعتدي ليمنعها من الحركة، ويده الأخرى تمسك
بمرفقه ليشنيه وليقتلع السكين من يده ليقذفه بعيداً عنها، وما أن
فعل ذلك أعاد رأسه للوراء ومن ثم رمى به للأمام بعنف ليرتطم

برأس معتديه الذي فقد توازنه وتوسد الأرض، وما أن فعل حتى وضع (غيث) قدمه على صدر الرجل ليثبته أرضاً.

هدد (غيث): لست بفريسة سهلة، أخبر أسيادك بذلك.

قهقهه (أدريان) بتهكم: أنتم العرب متعبون، حقاً ما خطبكم!؟

رد (غيث) بجديّة: لا حول لك بقوم لو أرادوا خلع الجبال،
خلعوها.

تيسم (أدريان): صدقت، ولكن أهدأ في أكثر بساطة من هذا كله.

ضم (أدريان) شفّتيه وأطلق صفيراً عالياً جذب انتباه (أم الدويس) التي ما أن سمعت نداء صاحبها حتى حلقت باتجاهه مسرعة مما سبب التفات (غيث) لها بتوجس، وما أن كان الأخير متشتتاً حتى استغل (أدريان) تلك الفرصة ليتمسك بقدم (غيث) من كعبه وركبته دافعاً كلاً منهما في اتجاه ليشني ساقه بينما أمال جسده من تحته ليسقط (غيث) أرضاً وينهض (أدريان) ليقف مستقيماً مرة أخرى.



نهض (غيث) من الأرض على عجلة إلا أن (أدريان) والد
الدويس) خاصته كانا سبق وأن توجهها للمخرج في محاولة للهروب
إلا أن (أدريان) توقف تمامًا في مكانه عندما وجد (السيف)
و(الليف) يسدان المهرب الوحيد.

وقفت (الليف) متأهبة بينما كان (السيف) أمامها منتظر
ومستعدًا لأي حركة من الطرف الآخر.

نظر (أدريان) إلى (الليف) التي كانت تستعد لقتاله ونطقه
أقاتل امرأة.

ما أن تفوه بذلك حتى مد ذراعيه لتحمله (أم الدويس) بحرقته
لتحلق به ليختفيا تمامًا من مرأى النظر.

توسعت حدقتا (الليف) بينما التفتت برأسها تارة يمينًا وتارة
يسارًا باحثَةً بأعينها عنهما ولكنها فشلت في إيجادهما.

استقام (غيث) من مكانه وركض لـ (الليف) متفقدًا أحواله
هل أنت بخير؟ ماذا حصل ظننتك ستبقين مع (فضة)؟

ردت (الليف) متخوفة: أنا بخير، لكن الوضع أسوأ مما توقعناه،
فقد تمكن السفليون من الولوج إلى منزل (فضة).

ازدرد (غيث) لعبه بصعوبة: ... ماذا؟ كيف حصل ذلك؟

نطق (ليف) بانفعال: لقد كان فخاً! كل الأمر كان فخاً! لقد تم استعمالنا كأداة لإبطال تعويذة الحماية حول مسكنها، لنشتت انتباه حارسها عنها!

بدا وكأن الهواء غير قابل للتنفس في تلك اللحظة، كانت أفكار (غيث) تنبض بعنف في عقله، كان هو السبب في وصولهم لتلك الفتاة التي لم تفعل شيئاً إلا مساعدتهم.

شتم (غيث) تحت أنفاسه، لم يستطع تقبل ذلك الأمر، كان عليه تحميل مسؤولية ما حصل.

سأل (غيث): أين هي (بهنس)؟

هزت (ليف) رأسها نفياً: ذهبت لـ (فضة)، إنها تحتاج مساعدتنا! ما أن وقعت تلك الكلمات على مسامعه حتى نادى (تولبا) لييلي الأخير نداءه، تمسك (غيث) بساق خليله وساعد (الليف) في تمسكها بساقه الأخرى وأمر: (سعف)، الحق بنا!

أوماً (السعف) برأسه موافقاً ليفرد (تولبا) جناحيه ويرفرف

بهما ليحلق للأعلى بينما تمسك الثنائي بساقيه بكل ما أوتيا من قوة.
لينطلق في الهواء كالسهم باتجاه وجهته.

ما أن اقتربوا حتى علت الأدخنة السوداء في الأفق، صرخ
(غيث) في (تولبا) بالتعجل، فلبى أمره ولم تكن إلا ثوانٍ حتى
هبطوا بالمقربة من المنزل، أطلق (غيث) العنان لقدميه لتسايقنا بين
بعضهما وبعض حتى دفع ذلك الباب الخشبي لتلتقي أعينه بفوضى
عارمة، جثت مرمية في الأرجاء، في وسط المكان كانت (بهنس) على
ركبتيها تبصق دماً، كان هناك عدد من الخُلالان الذين قاموا بشيئها
مكانها، البعض بيده، والآخر بفكه، تطلب منهم الأمر خمسة من
الخُلالان حتى يتمكنوا منها، بينما أحاط بها عدد من السفليين مشكلين
دائرة، يتمتمون كلاماً غير مفهوم لتشتعل من تحتهم دائرة مضية،
وفي إحدى الزوايا وقف أحد السفليين حاملاً جسد (فضة) التي
كانت سبق وأن فقدت الوعي على كتفه.

وما أن ارتطم الباب بالجدار من ورائه إثر فتحه على مصراعيه
حتى أصدى صوت الاصطدام في أرجاء المنزل، ليلتفت الجميع
إلى (غيث) الذي وقف مكانه لاهثاً، ولكن حاله لم يَظُلْ، فالتفت
إلى جانبه ليرى قارورة زجاجية ما فالتقطها بين يديه وهرع لأحد

السفلين ليحطمها فوق رأسه ليسقط الأخير أرضاً على الفور
ليخمد ضوء تلك الدائرة من تحتهم معه.

نظر أحد السفليين إلى آخر وهمس منفعلاً: ظننت أن (أدريان)
كان سيهتم بأمره!؟

رد الآخر: لا بد أنه تمكن منه أو هرب!
تدمير الأول: لهذا لا أحب الاعتماد على الشُّقرا!

وقف (غيث) مكانه متأهباً لأي هجوم آتٍ من صوبهم، وفعلاً
جري باتجاهه أحد الخُلان الذي يشابه في شكله الغول، فبدا أنه
يتبعي للسفلي الذي أطاح به للتو، إلا أن الخليل توقف أمام (غيث)
تلقائياً دون حراك وبدأ ينظر به بتعجب وانبهار ظاهرين على معالمة.

عقد (غيث) حاجبيه متعجباً من تصرفه، إلا أن الغول نطق
بصوت متحشرج ومريع: زوهري، إنه زوهري!

بدأ الغول يقتفز في مكانه وكأنه لا يصدق ما يراه وسط ذهول
الجميع، وبينما وقف الجميع في حيرة من أمرهم صلدح صوت فحيح

وكأنه صوت رياح جارية بسرعة مهولة ليخترق (تولبا) جسد ذلك
الخليل كالسهم لتنفجر أشلاؤه في الأنحاء.

«يا لغيرة الأخلاء.»

تمتم (غيث) تحت أنفاسه.

خيم الصمت على المكان لثانية إثر الصدمة التي اعتلتهم قبل أن
يعلو صخب القتال، فظل اثنان من الخلان يتمسكان بجسد (بهنس)
حتى لا تبرح مكانها بينما أفلتها اثنان حتى يدافعا عن أسيادهما، جرت
(الليف) للداخل لترى ذلك المنظر ولكن هدفها كان واضحا، إيجاد
(فضة)، ثم من طرف عينها لمحت أحد السفليين حاملا إياها على
كتفه ويحاول التسلل خارجا من تلك الفوضى، ولكنهم تفوقوا
بعددهم على (غيث) و(تولبا)، وحتى (بهنس) كانت غير قادرة على
الحراك.

شتمت (الليف) سوء حظها وما أن رأت خليلها يخطو خلال
الباب حتى أمرته بمساعدة الزوهرى بينما التجهت هي لإنقاذ (فضة)،
فركضت خلف السفلي الذي حملها على كتفيه وانقضت عليه من

اخلف لتطوق رقبته بذراعيها بقوة مما أحل من توازنه، فألقى بـ
(فضة) أرضاً وهم بمحاولة اقتلاع (الليف) من عليه، ولكنها كانت
متمسكة به بكل ما أوتيت من قوة، فقام بإلقاء وزنه على الجدار من
خلفه لتطلق هي صيحة صغيرة قبل أن تسقط للأرض، وما أن
فعلت حتى سارع السفلي وتدنّى أرضاً في محاولة لحمل (فضة) مرة
أخرى ولكنه تفاجأ بقوة عارمة تقيد حركته، توسعت حدقاته بينما
حاول الحراك مراراً وتكراراً ولكنه فشل في كل مرة، عندها لاحظ
حيات الرمل التي كانت تقبض على جميع أطرافه وكأنها سجن
حليدي من قسوتها، ومن ثم شعر بحضور مهيب يقترب منه بشكل
أخير من اللازم، اقشعر بدنه بينما تدنى منه رأس رجل قنوط يحدق
به بتيار تشعل في عينيه، فظل السفلي مكانه بأعين محدقة بأعين
المعتدي عليه، غير قادرٍ على الحراك وفي الوقت ذاته كانت كل ذرة
في جسده تصرخ به بالفرار.

«أخبرني على لمس سيدي؟»

قال (السعف) بصوت مزلز يسقط كالبرق على آذان السامعين.

وقبل أن يدرك السفلي ما كان يحصل، جرى تيار من الرمل الحسن
بسرعة خاطفة حول يد (السعف) وكأنه حد بتار مستعد للتصاغر،
وما أن مرر أنامله من خلال رقبة السفلي الغليظة حتى انفصل رأسه
عن أكتافه برمشة عين، لتنفجر تيارات الدماء من رقبته لتناثر في
الهواء قبل أن تسقط على (الليف) ويسقط جسد السفلي هامداً على
الأرض.

وفي الجهة الأخرى، كان (غيث) يقوم بلكم وضرب السفلين
بكل ما أوتي من قوة، بينما كان (تولبا) يحميه من اثنين من الأخلاء
الذين حاولوا الوصول إليه، فقام بقطع أحدهما إلى نصفين إلا أن
الآخر انقض عليه بفكه، أطلق (تولبا) صوتاً حاداً ظهر على نبرته
مزيج من الألم والغضب العارم، وبينما كان ذلك الخليل المزعج لا
يزال قابضاً بأسنانه على كتف (تولبا)، قفز الأخير للهواء لينطلق
محلّقاً للأعلى ليحطم سقف المنزل في طريقه بينما اخترق السماء
بجناحيه متسارعاً كالرصاصة للأعلى، حاول الخليل التمسك بكل
ما أوتي من قوة رافضاً إفلات (تولبا) تماماً، قبل أن يتوقف (تولبا)
في الهواء ليلقي بنفسه من ذلك العلو لينطلق جسده مسابقاً للريح
متجهّاً للأرض، بدأ الفرع يظهر على الخليل الذي ما زال مضراً
على التشبث بكتف المجنح، ليلتف (تولبا) في الهواء بسرعة جاعلاً

الخليل مواجهًا للأرض ودافعًا بكامل وزنه خالقًا تدافعًا أكبر من
قبل ليعلو صوت انفجار مدوّ في الأرجاء إثر اصطدام جسد الخليل
بالأرض من تحته لتنتشر أشلاؤه المتبخرة في المكان.

تيسر الكل عند رؤيتهم لما حصل للتو، فأفلت الخليلان الباقيان
جسد (بهنس) واتجهوا لـ (تولبا) محاولين الإطاحة به، وما أن قفزا في
الهواء ليطبقا ببرائتهما على (تولبا) حتى غزا صوت مرور سريع في
الهواء آذان الجميع عندما قطعت (بهنس) جسديهما برمحها بينما كانا
لا يزالان يطفوان في الهواء بحركة خاطفة، لتسقط أجسادهما أرضًا.
سارع (تولبا) حينها في العودة لسيدته الذي كان لا يزال في أوج
عراكه مع السفليين، فيلکم أحدهم هنا، ويتصدى لهجوم أحدهم
هناك، بينما أبقى على المساحة ما بينهم، إلا أن أحد السفليين قام
بإخراج خنجر ليلوح به في الهواء، حاول (غيث) مناورة ذلك
للهجوم بينما رفع ذراعيه أمام وجهه ليحمي نفسه، إلا أن السفلي
سبقه وتمكن من التسبب بجرح في إحدى ذراعيه جعل الدم يسيل
لتسقط قطراته على الأرض من تحته.

حينها بدا للحظة وكأن الوقت توقف حيث كان، فكانت عين
(تولبا) الوحيدة جاحظة حتى كادت تسقط من جبينه فانطلق من

مكانه بسرعة الضوء ليتمسك بالسفلي بكل من مخليه ثم انشق وجه
المجنح لتظهر فجوة اكتسحتها صفوف لا متناهية من الأسنان المدية
ليقضم رأس السفلي الثالث الذي أصاب سيده من على جسده.

وقف (غيث) مكانه فاغراً فاهه غير مصدق ما شهده للتر، ولكنه
ما أن أدرك أن جميع أعدائهم قد سقطوا عاد لجواسه وجال بأعينه
باحثاً عن (الليف) ليجدها في إحدى الزوايا محتضنة لـ (فضة) بينما
كان (السعف) يجلس على ركبتيه الأماميتين يمسح الدماء من على
وجهها بقطعة قماشية ما، لتتجه (بهنس) باتجاههم جاثية لتطمئن على
سيدتها وما أن تحققت من سلامتها حتى تنفست الصعداء.

نظرت (بهنس) إلى (الليف) وحنّت رأسها: لن أنسى شجاعتك
وإنقاذك لسيدتي، أنا مدينة لك طيلة حياتي.

ردت (الليف) بينما ظل (السعف) يمسح وجهها: لا شكر على
واجب.

قامت (بهنس) باقتلاع خاتم من إصبعها وقامت بمناولته لـ
(الليف): بل شكراً لك، وهذا جزاء إحسانك، سيبقيك آمنة كما
أبقيت السيدة.

عقدت (الليف) حاجبيها لتحقق بالخاتم الذي توسطه حجر
أصفر كبير ونقوش غريبة تغطي معالنه: ... وهذا يكون؟

نظرت (بهنس) إلى الشابة: يقال بأنه قبل الإنسان كان هناك ثمان
وعشرون أمة على خلق مختلفة، في هذا الخاتم يستريح أحد أفراد
تلك الشعوب ويقلب بـ (عزج بن عنق)، وهو شديد البأس وذو
جبروت عظيم، إلا أنه شديد القلب وعنيد الطبع، هو سيقوم
بحماية حامل الخاتم ولكن لا يمكن الوثوق بتصرفاته، فلا تقومي
بفرك ذلك الحجر إلا إن كان الموت أمامك، وأما غير ذلك فكلًا.

حدثت (الليف) بتعجب إلى الخاتم الذي أشع بينما تقلص ليناسب
مقاس إصبعها، فلبسته على مضض: شكرًا، لا أعتقد أنني سأكون
بحاجته طالما كان (السعف) بجانبني، ولكنني سأبقيه كحل أخير.

سارع (غيث) متجهًا باتجاه المجموعة: هل أنتم بخير؟

أومأت (الليف) بينما تأملت في (فضة) التي كانت لا تزال فاقدة
للوعى: بخير، أعتقد أنها تحت تأثير مخدر ما ولكنها ستستيقظ.

وقفت (بهنس) على رجليها لتعود إلى طولها الفارع بينما وجهت
حديثها لـ (غيث) الذي وقف تحت ظلها: عليكم الذهاب، وجودكم
هنا يشكل خطرًا عليها.

أوماً (غيث) برأسه متفهماً: أرى ما تعنين، ولكنني ظننت أن
السفليين لن يجرؤوا على التعدي علينا كون (فضة) تحت حماية الملك
الأحمر، ما الذي دفع بهم إلى اتخاذ خطوة خطيرة كذلك؟

ردت (بهنس): لأن خطتهم لو نجحت لجلبت لهم (فضة اليامة)
والزوهري، وهاتان المكافأتان جديرتان بالمخاطرة.

عم الصمت على المكان بينما تغلغل الذنب في صدر (غيث)،
فلام نفسه على كل ما حصل، وبينما كان يوبخ نفسه في رأسه
مدت (بهنس) ذراعها باتجاهه مشيرة لجيب بنطاله، ففهم (غيث)
أن مقصدها كان مسباح الكهرمان الذي حمله، فقام بانتزاعه على
عجلة وناول له للخليلة، فاشتعلت بصمة إصبعها على شكل ختم ما
لترك علامة على أحد أحجار المسبحة قبل أن تعيدها له: هذا آخر ما
يمكنني فعله من أجلكم.

كان آخر ما قالته الحارسة قبل أن تخرج المجموعة من منزل
(فضة) برؤوس مطأطأة ليجولوا الأرض بلا وجهة.

بنو قطرب

مشّت السحب بنعومة وكأنها تتبختر ببياضها على السماء الزرقاء
راسمة لوحة بديعة في ذلك الصباح، بينما زقرقت العصافير في أنحاء
المزرعة معلنة عن بداية جديدة.

كان الهدوء يعم المكان حتى قاطعته أصوات خطوات متسارعة
تسابق الريح، تجري في الطريق الترابي المؤدي للمنزل، مصدرها
شاب وضع عليه الذعر الشديد، وما أن وقف عند الباب الرئيس
حتى بدأ بطرقه بشكل هستري.

- «يا عم! يا عم!»

نادى الشاب بانفعال.

توقفت الضوضاء عندما فُتح الباب على مصراعيه على يد
(ربيعه)، والد (غيث)، لياقي بنظره على صديق ابنه (فراس) الذي
كان يلهث متمسكا بركبتيه محاولا استجماع نفسه.

ظهر التفاجؤ على معالم الوالد: (فراس)؟! ما الذي تفعله هنا يا

بني؟ وما بلاك حتى تفرعني في هذا الصباح الباكر؟

استقام (فراس) ليواجه الرجل: عمي، أين هو (غيث)؟

تنهد الوالد: هذا هو الأمر؟ تفضل إذا.

لم ينتظر (فراس) أكثر من ذلك فسرعان ما انطلق لداخل المنزل

يبحث عن ضالته، لم يطل الأمر حتى رأى طيفه في غرفة المعيشة وهم

جاريًا لتقع عيناه عليه، فها هو هناك متمقعدًا على إحدى الأرائك،

يبدو متعبًا أكثر من المعتاد، وكأنه فقد بعض الوزن، سرى القلق في

مجرى دم صديقه فهرول إليه باحثًا عن أجوبة.

سأل (فراس) بقلق يركب نبرته: (غيث)! ماذا حصل؟! أين

كنت؟!

نظر إليه (غيث) بهدوء: (فراس)، أعتذر إن أصبتك بالقلق، أنا

بخير كما ترى.

عقد (فراس) حاجبيه: ماذا تعني بخير؟ ذلك اليوم عندما كنا

نتحدث على الهاتف، ماذا حصل؟

تدخل الوالد بينما خطا لينضم إليهما في غرفة المعيشة: إذا أنت

سبب إصابته؟ كان يجب أن أعلم.

التفت (فراس) في حيرة من أمره ولكنه خلال ذلك لمح العكاز الذي اتكأ على الأريكة بجانب (غيث): لم أفهم، ماذا عنيت يا عمي؟
بدأ الوالد بالشرح: لا بد أن موضوعكما كان شيقاً للغاية، لأنه خلال مشيه بالخارج أقحم هذا الأحمق قدمه ما بين صخرتين وتعثر ليصاب في قدمه ويوقع هاتفه محطماً إياه تماماً!

التفت (فراس) لصديقه متعجباً من أمره، لم يكن يصدق تلك الأكذوبة الواضحة، ولكنه لم يستطع سؤال صديقه عن الحقيقة أمام والده خشية من أن يكون الأمر متعلقاً بمصيريهما السوداء.

ازدرد (فراس) لعبه بصعوبة وحاول لعب دوره في هذه المسرحية: هل هذا ما حصل؟ اعذرني يا عم، هذا خطئي.

لوح الوالد بيده: لا داعي للاعتذار ما بين أخ وأخيه، لا بد أنك كنت قلقاً للغاية حتى تأتي إلى هنا بنفسك.

ارتسمت ابتسامة ضعيفة على معالم (فراس) بينما تبادل النظرات ما بين الأب وابنه: فعلاً، أقض أمره مضجعي ولم أقوَ على الراحة حتى أطمئن على أمره بنفسي.

التفت الوالد على كعبه شاقاً طريقه للمطبخ: سأقوم بتحضير الظهيرة، لا تهرج مكانك أنت وإياه.

كان آخر ما قاله الوالد قبل أن يتركهما وحدهما ليلتفت (فراس) إلى (غيث) متزعجاً: يا أحق! ما الذي حصل فعلاً؟ أخبرني بسرعة! حلق به (غيث) بهدوء غير معتاد: ما قاله الوالد هو فعلاً ما حصل.

قطب (فراس) حاجبيه: أتسخر مني؟ هيا انطق!

رد عليه (غيث) بدون تردد: أنا جدي.

رمش (فراس) عدة مرات محاولاً استيعاب ما كان يحصل: كيف ذلك؟ أين هو صديقك الخفي؟

همهم (غيث): لا يزال هنا، لكنك لا تستطيع رؤيته كما تعلم.

سأل (فراس): إذا؟ هل تمكنت من التحكم به؟ أم أنه ما زال كما عهدته؟

أوماً (غيث) برأسه: اطمئن، الأمور تحت السيطرة.

تنفس (فراس) الصعداء: هذا جيد، لقد خشيت أن يحصل لك مكروه.

حلق به (غيث) ببرود: لا داعي للقلق.

صمت اثناهما للحظة قبل أن ينطق (فراس): على أي حال

مهلني دقيقة، فقد جلبت لك بعض الأغراض لتسليك في عزلتك!
نهض (فراس) من مكانه وخرج من المنزل ليغلق الباب ما بينها
بما أن كان خارج أنظار صديقه حتى وقف متيسبًا عند المدخل
تقبضتين مشدودتين وأعين شاردة بينما حلق بقدميه على الأرض
في عدم تصديق.

بدأت الأفكار تضخ في رأس (فراس)، تلك الأعين بنظراتها
الباردة، طريقة حديثه الهادئة، واستقباله له، شيء ما لم يكن مريحاً في
حضوره، ولكنه لم يستطع أن يحدد ماهيته، ولكنه كان شديد الإيمان
بما أخبرته إياه نفسه.

لا شك في الأمر، ذلك الشخص بالداخل لم يكن صديق طفولته
وأخاه الذي لم تلده أمه، استحالة أن يكون.

لم يستطع (فراس) وضع أصبعه على هويته أو حتى إن كان كياناً
غير إنساني أو ما شابه، ولكنه علم بأنه ليس صديقه، وأنه لا يستطيع
أن يظهر له أنه يعلم بأنه ليس من يتظاهر أن يكون، فحتى يستطيع
وضع قطع الأحجية في أماكنها وجب عليه الاستمرار في لعب دوره
في هذه المسرحية المربعة.

تعالَت أصوات تحطيم وتهشيم تصدح من على جدران الكهف
الحجري الذي ضم بين كفيه عرشاً عظيماً مزينا بحجر الياقوت
المشع، وأما صاحب العرش فكان مغتاضاً يقوم بتحطيم كل ما حوله
في إحدى نوباته الشهيرة التي لم يستطع أحدهم إيقافها.

أصوات أنفاسه الهادرة تصاحب ارتفاع وسقوط صدره العاري
الذي لم تكسّه إلا بعض السلاسل والمجوهرات البراقة التي أظهرت
مكانته الملكية.

- «أبتاه، تنفس.»

نادى عليه ولده، الأمير ذو الشعر الأصهب والأعين الخضراء،
محاولاً تدارك الموقف.

كان الأمير رجلاً شديداً الوسامة، طويل القامة، عريض المنكبين،
قوي البنية، أصهب الشعر، بخصلات موجهة تمتد لأعلى رقبتة، ذا
أعين خضراء ثاقبة، وآذان مدببة، ومن فوقها يمتد قرنان طويلان
قرمزيان.

لم يستطع الأمير رؤية شيء إلا ظهر أبيه الضخم يعلو ثم يهبط
قبل أن يطلق الملك زفيراً مستاءً، ثم ويبطء التفت إلى ابنه الذي لبس
تعبيراً قلقاً.

كان الملك جنياً شديداً البنية، ضخماً الحجم، أحمر البشرة، يملك
أعيناً كاملة السواد لا يُعلم بياضها من مقلتها، له ٣ قرون طويلة،
اثنان فوق أذنيه المديبتين وواحد على جبينه، له شعر طويل ولحية
تتكون من ألسنة اللهب التي تتعالى حين غضبه، عاري الصدر
تكسره سلاسل عديدة على رقبته وعدة معاضد تحت كتفيه وعلى
رأسه، على وسطه يربط حزاماً يحمل سيفين عظيمين، ومن تحته
يتنلى رداءً فضفاضاً من على وسطه إلى الأرض، كان طبعه جلفاً
وجدياً، ذا وجه دائم العبوس.

خطا الملك أبو محرز الأحمر عدة خطوات حتى تعالى على عرشه
وتجمع عليه عاقداً ذراعيه المفتولتين مظهرًا انزعاجه لينطق بصوت
هادئ شديد الوقع: أجد في كنفك الحل يا (محرز)؟ فهم قد زعزعوا
أمان أفرادى! ألا تجد استيائي في محله!؟

أجاب الأمير (محرز): بل في محله بالطبع، ولكنني أخشى أن
تنتهي بتوافه البشر.

قال الملك الأحمر بحق: يجب علي أن أأيدهم عن بكرة أبيهم
جميعهم!

تنهد الأمير (محرز): أبتاه، لا يمكننا أن ننكر أن (الليف ابنة
الباسقة) قد قامت بإنقاذ (فضة).

صرخ الملك الأحمر: ومن الذي دهم على مخبئها؟

صمت الأمير (محرز) للحظة قبل أن يجيب: الزوهري الذي
يرافق (السعف) و(الليف) يتم استهدافه.

اشتعل رأس الملك الأحمر: إذا رأسه هو مبتغاي، ومن بعده
هؤلاء السفليون الحقراء جميعهم!

طأ الأمير (محرز) رأسه واضعاً يده على صدره: دعني لها يا
أبتاه، وابق أنت على عرشك.

لوح الملك بذراعه مشيراً له بالذهاب، ففعل.

خرج الأمير (محرز) من قاعة العرش مشدوه التفكير، لم يكن
الأمير يود خوض هذه المهمة الانتحارية، فلم يعلم إن كان هذا
الفتى يجلب المتاعب لنفسه أم كانت هي تنجذب له، ولكن سيب

مجيئه هنا كان واضحاً، كان يود إنقاذ الزوهري من بطش أبيه الذي
لم يكن يحمل له مثقال ذرة من رحمة.

كان الأمر بسيطاً، فطلبه من أبيه إرساله عوضاً عنه كان مصطلحاً
ينتم استعماله بشكل فضفاض للغاية، فما عناه أبوه كان إنهاء حياة
(غيث)، وما عناه (محرز) كان تهريبه والتظاهر بأن الأمر تم كما أراده
الوالد.

لم يكن (غيث) أول من يحاول الأمير إنقاذه، فهو سبق وأن فر
بجرمه بكل سلاسة عدة مرات، مع قضايا ظن الأمير أنها إنسانية
أكثر من أي شيء آخر، ولذا فعندما رأى زوهرياً بطراز عالٍ مثل
(غيث) كان قد تعاطف معه، خاصة وأن خليفه كان كياناً من
الفترض انقراضه منذ آلاف السنين.

حالة نادرة وارتباط استثنائي لم يحصل من قبل في التاريخ، وما
تفهمهم على هذه الأرض إلا خسارة فادحة!

هكذا تدفقت أفكار الأمير، وبينما شق طريقه في ردهات القصر
الصخري، وصل لباب خشبي كبير، طرق عليه عدة مرات لتجيب
عليه امرأة بالداخل لتسمح له بالدخول.

فتح الباب على مصراعيه لتسقط أعين الأمير (محرز) على أخته
التوأم، الأميرة (عفراء).

بقامتها الفارعة، شعرها الأصهب الطويل، قرنيها اللذين اخترقا
تلك الخصلات، وأعينها الزمردية، كانت نسخة من أخيها.

كانت الأميرة (عفراء) تجلس بجانب نافذة حجرية، تحمل كتاباً
عتيقاً بين أناملها، وما أن ألقت أعينها على أخيها حتى تنهدت: وما
هي المصيبة التي أقحمت نفسك فيها هذه المرة؟

سأل الأمير (محرز): وما أدراك؟

هزت الأميرة (عفراء) كتفيها: بين أصوات نوبة غضب الوالد
وتعابير وجهك، الأمر واضح للغاية.

جال الأمير (محرز) بنظره في أنحاء الغرفة: أبي يريد رأس
الزوهري.

جحظت الأميرة (عفراء): هل أنت جاد؟ ولكنه أول زوهري
بهذا الطراز العالي منذ آلاف السنين، بالإضافة لكون خليله من الحن
والبن، يجب أن نحافظ عليها!

تحدث الأمير (محرز) بنبرة متألّمة: حاولت إقناعه بذلك، ولكنه
نفجر وهم بتحطيم كل شيء من أمامه، تعلمين كيف هو الحال.

أغلقت الأميرة (عفراء) كتابها بقوة: وما أنت فاعل؟

قال الأمير (محرز) بجديّة: سأهرّبُه، أو أجد طريقة ما لتفادي
غضب الوالد.

استقامت الأميرة (عفراء) من مكانها: إذا كنت ستذهب في
بهمتك هذه، فلن أبقى هنا وحدي لأمتص استياء أبي.

تهبّست الأميرة وبدأت بتجهيز حاجياتها بشكل مفاجئ بينما
يش الأمير (محرز) عدة مرات في محاولة لفهم ما كان يحصل: وأين
ت ذاهبة؟

قالت الأميرة (عفراء) بينما أكملت لم متاعها بلا انقطاع: حيث
لا يستطيع أن يصل إلي أبي، قلعة رأس المرتضي العالي، تحت حكم
الملك (شاهر وش).

صعدت أصوات فرقة في أنحاء الخيمة الفسيحة بينما التفت
قواطع حادة بعظام غليظة، مضغ ذئبان عربيان عظام ما تبقى من
وجبتهم بينما استلقيا على الأرض، كلُّ منهما يحيط بفخذ امرأة من
جهة. كانت امرأة كحيلة الأعين بمعالم عربية حادة، لها شعر داكن
اللون وقصير الطول حتى إذا رآها الشخص من مسافة ظن أنها
صبي، ارتدت وشاحاً منقوشاً حول رقبتها وتربعت على الأرض
تنظر إلى الفراغ من أمامها، وكأنها بانتظار حصول شيء ما.

وبينما كانت على هذا الحال توقف الذئبان عما كانا يفعلان ووقف
كلاهما على أرجلهما في حالة تأهب قبل أن يدخل رجل ملثم عليهم
ليقف مكانه بعيداً منتظراً بهدوء.

زجر الذئبان عند رؤيتهما للدخيل إلا أن المرأة نادت عليهما:
(ميمنة)، (ميسرة)، هدوءاً.

فانصاعا لأمرها وتوقفا عن الزججة ولكنها رفضا الجلوس مرة
أخرى، فأشارت المرأة للرجل بالدخول، ففعل.

شق الرجل الملثم طريقه حتى وقف أمامها: يبدو أنني عكرت
مزاج طفليك يا (صيتة).

لوحت (صيتة) بيدها: أمر غريب رغم أنها لطالما كانا لطيفين
تجاهك.

قهقهه الرجل: يبدو أنها اشتها شيئاً لا يسرهما علي.

ضحكت (صيتة): يبدو ذلك، أخبرني ما هو مبتغاك يا (حاتم)؟

أتيت لإزعاجي أم لتأتينني بإحدى مصائبك؟

تنهد (حاتم): أتيت بمصيبة كالعادة، إلا أنها مصيبة مربحة.

أشارت (صيتة) له بالحديث، فأكمل: هناك عدة رؤوس للقطف،

والمكافأة سخية جداً.

سألت (صيتة) بتوجس: أين المصيبة؟

تنحى (حاتم) في قوله: يريدون رأس خليل أحدهم.

رفعت (صيتة) أحد حاجبيها: ومن يكون ذلك الشخص؟

صمت (حاتم) للحظة قبل أن ينطق: سيده شاب زوهري.

خيم الصمت على المكان لوهلة قبل أن تنفجر (صيتة) في نوبة

من الضحك جعلتها تضرب يدها على ركبتيها، وما أن استجمعت

نفسها حتى نطقت مبتسمة: كف عن المزاح، من هو؟

صمت (حاتم)، وذلك ما جعل الابتسامة تذوب من على وجه

(صيتة) التي أردفت: أنت جاد؟ لا يمكن. زوهري؟ هذه الأمور

مخض خرافات يا رجل كف عن الهرطقة.

تنهد (حاتم): بل واقع، سيد زوهري و خليل من الحن البن.

وقفت (صيتة) على رجليها بانفعال وقالت بنبرة جادة غيرت:

توجه الحديث: أعتقد أنني حمقاء لهذه الدرجة؟ انصرف عني!

اشتدت زجرة الذئبين ولكن (حاتم) رفع يديه في الهواء معاً

استسلامه: على أغلى ما أملك، ما أقوله ليس إلا الحقيقة.

وضعت (صيتة) يديها على وركيها متأملة جدية أعين الرج

أمامها: وجود سيد زوهري وحده أمر يكاد يكون مستحيلاً، ولك

أتحبرني أن فرداً من بني الحن والبن خليل له؟ هل أنت متيقن

تقوله؟

(حاتم): وهل جلبت لك شبكتي خبراً مغلوطاً قط؟ ها

الأخبار من مصادر موثوقة لدى المطهرين.

وضعت (صيتة) يدها على فمها بتفكر، فاسترسل (حاتم)

الحديث: أنصتي لي يا (صيتة)، إن تمكنت من هذه المهمة فستمكن

من توفير حياة كريمة لما تبقى لك من عمرك وعمر (هبالا) الصغير،

اشتبكت أعينها مع أعينه بمزيج من التفكير والقلق الموبق: قد

أنجو...

رد (حاتم): أم الذئبين تملك أفضل فرصة بيننا جميعًا، إن لم

تتمكني أنت فلن يتمكن أحد!

سألت (صيتة): وإن لم أفعل؟

وضع (حاتم) يده على صدره مطمئنًا: ف (هيللا) تحت رعايتي

وحماية المطهرين.

علا صوت أقدام تخطو باتجاههما فالتزم كلاهما الصمت بينما

دخلت عليهما فتاة تبلغ من العمر ١٦ عامًا، ذات شعر أسود طويل

يطغى على كتفيها بشكل جديلتين، ترتدي ثوبًا فضفاضًا وتحمل

بيلجها المتوجتين بالحناء دلوًا مملوءًا باللبن.

ما أن رأت (حاتم) أمامها حتى توقفت في خطاها ورحبت

بابتسامة عريضة: عم (حاتم)! لم أعلم بأنك هنا.

رد (حاتم) تلك الابتسامة: أهلاً وسهلاً بالأميرة (هيللا)،

اعذريني على زيارتي المفاجئة أردت فقط الحديث مع أختك.

تبادلت (هيللا) النظرات ما بين الاثنين: المصدرة، لم أقصد

المقاطعة.

لوح (حاتم) بيده: لا داعي لذلك، كنت راحلاً على أي حال.



شق (حاتم) طريقه حتى وقف عند مخرج الخيمة ليالتفت بهما،
وينحاطب (صيته): فكري بالأمر، أثق أنك تعلمين ما عليك فعله.

برقت نجوم السماء في ذلك الليل الحالك بينما هبت الرياح تجري
بين الحقول مارة بخصلات سوداء لتداعبها بلطف قبل أن تكمل
طريقها مبتعدة عن الشاب الذي تمقعد في بقعة على الأرض بين
الهضاب والسهول يتأمل النيران من أمامه، كانت نظراته شاردة،
وكأنه هنا وليس كذلك في آن واحد، ورغم أنه كان محاطًا بباقي
أفراد مجموعته إلا أنه كان في حالة من التخبط الداخلي.

ظلت بؤرتاه تحدقان بالشعلات المتراقصة من أمامه بينما ظل
يتفكر بما كان قد أقحم نفسه فيه، كل ما جال في باله كان عدم
استطاعته،

عدم استطاعته تقبل هذا الثقل الذي قيد نفسه بكتفيه، عدم
تقبل لروح أخرى عقدت بكيانه، ذلك الوجود المهيب والذي رغم
شناعة أفعاله لا يضمّر له إلا الخير.

ورغم حمايته له إلا أن ذلك لا يغير ما حدث في السابق، ولكنه
أيضًا لم يعلم عن سبب اختيار تلك الروح المضطربة له، هل انجذبت
له إثر اضطرابه هو؟



@ART_OF_BOOK

هل حن الدخيل لدخيل آخر؟

ألم يجد موطنًا عند أحدهم إلا إياه؟

هل كان ما يبغضه مجرد انعكاس له؟

ظن أنه قد يكون أكثر قربًا له مما تصور.

التفت السيد إلى خليله الذي وقف مكانه برتابة معتادة، تأمل في تفاصيله التي لم تبدُ مرعبة كما بدت في السابق، كانت عينه اليتيمة نعوم وحدها، تجول في الأرجاء وكأنها تبحث عن شيءٍ ما، شيءٍ لن تجده يومًا.

ملعونة بالمضي في طريقها تنقب عن كنز لا معالم له.

كان اثناهما تائهين في صحراء الحياة القاحلة.

لم يغب ذلك عن أعين (الليف) الشاقبة، لم تكن تعلم ما كان يجري برأس (غيث) ولكنها كانت تأمل بأنها قادرة على توجيهه:
ما الخطب؟

أفاق (غيث) من سكرته والتفت إلى الفتاة: أحاول تدارك ما يجري فحسب.

قهقهت (الليف): أتعتقد أنك أقحمت نفسك في مصيبة أنت في
غنى عنها؟

رفع (غيث) رأسه للسماء الحالكة: مصائب وليس مصيبة.

أومأت (الليف) برأسها: أعتقد ذلك حقًا؟

أعاد (غيث) رأسه لموضعه الطبيعي ونظر إلى الشابة: ماذا تعنين؟

هزت (الليف) كتفيها: مهما نظرت في الأمر، فمثلك لا ينتمي

إلى العالم المعتاد، أنت لم تتسع يومًا في القفص الذي تم فرضه عليك.

(غيث) بفضول: لأني زوهري؟

أومأت (الليف) برأسها: نعم، أنت ولدت هكذا، لم يكن لك

مقعدٌ في المعتاد يومًا مهما ظننت، طيف الحقيقة كان سيلاحتك

ليقض مضجعك.

سقط الصمت على المكان للحظات قبل أن ينطق (غيث): من

كان ليظن أن حكمة كتلك ستجد طريقها خارج شفتيك؟

عبست (الليف): أظننتني حمقاء أم ماذا؟

لوح (غيث) بيديه مبررًا: لا، لا، أبدًا! لكنني لم أتوقع ذلك

فحسب.

هربت قهقهة من بين شفتي (السعف) الذي وقف وراء (الليف)
مقطباً فده بكف يده، محاولاً التستر على نفسه ولكنه لم يفلح.
التفت كلٌّ من (الليف) و(غيث) إلى الخليل الذي لم يعِ تعالى
ضحكته فأخلى ما بحلقه بحمحة لينطق: المذرة، للحظة نسيت
أنت لست من هنا.

سأل (غيث) بفضول: ماذا تعني؟

هز (السعف) كتفيه: أعني أن سيدتي معروفة بفصاحة لسانها منذ
الصغر، فهي شاعرة ذات صيت خاص في المنطقة.
رسم الانبهار على أسارير (غيث): حقاً؟! ولم تحبئين هذه المواهب
عنا؟ هيا ألقينا شيئاً لنسمعه!

هزت (الليف) رأسها نفياً: أنت لا تستحق سماع ما بجعبتي.
حاول (غيث) استمالتها: أنا أسف لم أقصد إهانتك، ولكنك لن
تحرميننا من إبداعك أليس كذلك؟

دارت عينا (الليف) في محجريها مظهرة انزعاجها قبل أن تلتقط
أذناها أصوات قرع الطبول بمقربة منهم لتعقد حاجبيها متعجبة،

فهم كانوا في الخلاء، فمن أين تنبع هذه الاحتفالات؟

تبادلت هي و(غيث) النظرات المتعجبة مما جرى، فكانت
الأهازيج خافتة ولكنها مسموعة.

سأل (غيث) بحيرة: من عساه يحتفل في مكان كهذا؟
هزت (الليف) كتفيها في حيرة من أمرها.

قال (غيث) متفكرًا: أعتقدين أنهم قد يستضيفوننا؟
ردت (الليف): إنهم عرب، لا داعي للسؤال.

استقامت (الليف) من مكانها لتلتفت إلى خليلها الذي نطق: قد
يكونون مطهرين يا (ليف)، عندها سيحصل ما لا يحمد عقباه.

لوحث (الليف) بيدها مستنكرة: أشك في ذلك، فهم ليسوا
مسلمين لهذه الدرجة، وعلى أي حال سنتقصي أمرهم بالخفاء وإن
كانوا مطهرين فسنرحل دون أن يعلموا بأننا أتينا من الأساس.

نهض (غيث) من مكانه: ومن يكون هؤلاء المطهرون؟

نفضت (الليف) التراب من عليها: المطهرون شبكة مزعجة من
الصيادين.

(غيث): صيادين؟

أشارت (الليف) لـ (غيث) باتباعها ففعل ليتبعه (تولبا) لتشق
المجموعة طريقها خلال الخلاء لتسترسل (الليف) بالشرح:
المظهرون هم مجموعة من الناس الذين يقومون بصيد الخلان،
هم يؤمنون بأن علاقة الخليل والسيد محرمة تحل بالتوازن
المفروض علينا ويجب أن لا توجد، يعتقدون أن السيد مرغم وأن
الخليل لعنة وجدت لتعيق طريق السيد البشري.

هــ (غيث) كتفيه: ذلك صحيح إلى حدٍّ ما...

حدجته (الليف): فقط لأنك أحرق لا تعلم ما تفعله لا يعني أننا
جميعنا مجبرون، أنا لم أجبر على (سعف) بل عقدت به الدم طوعاً،
وكان ذلك أفضل ما فعلت.

زـم (غيث) شفّيته مدرّكاً ما قاله: ساحيني، لم أقصد...

ردت (الليف) بانزعاج: لا يهم، أمثالك هم من يقومون بتشويه
سمعة الأسياد، بسبب جهلك وجدت نفسك سيّداً بخليل دون
رغبة منك، هذا ليس خطأ الخليل بل خطأ السيد الذي استدعاه.

حك (غيث) رقبتة ملتزماً بالصمت، لم يكن يعلم ما عليه قوله.

رفعت (الليف) إصبعها أمام شفّيتها مشيرة له بالصمت
بينما اقتربوا من مصدر الضوضاء، فاختبئوا وراء إحدى التلال

المحيطة لتحاول (الليف) إلقاء نظرها على ذلك الاحتفال الذي
ضم جمهوراً غفيراً من الناس الذين تراقصوا على أنغام الموسيقى،
تنوعت أشكالهم لكنهم جميعهم ارتدوا ثياباً تقليدية لأهل المنطقة،
يتسامرون ويضحكون ويتراقصون بلا كلل ولا ملل، كانت صورة
مبهجة بعثت بعض الطمأنينة في صدورهم.

نظرت (الليف) إلى خليلها مطمئنة: قلت لك ليسوا بمطهرين!
ما أن نطقت حتى فاجأهم صوت غريب من خلفهم سائلاً: ماذا
تفعلان؟

شهق الجميع في فزع عندما التفتوا وراءهم ليراوا فتى ذا بشرة
داكنة، له ندبة كبيرة تمتد من أسفل وحنقه حتى رقبته، يرتدي عمامة
بيضاء يتدلى ذيلها من على كتفه وثوباً بكمين مشين حتى مرفقيه،
كان ينظر إليهم بتعجب طفولي.

رفعت (الليف) ذراعيها في الهواء مستسلمة: أبدأ، أطربنا طبلكم
وكنا نود الاستماع إليه عن قرب.

أمال الفتى رأسه في حيرة: ولم تقفان هنا إذا؟ هيا تفصلا، تفصلا!

تبادل الجميع النظرات المرتابة ولكنهم في وضعهم المكشوف لم يكن بإمكانهم رفض تلك الدعوة، خاصة وأنهم لا يملكون أي ميت آخر على أي حال، وبدا أن الفتى لم يستطع رؤية الكائنات الموحشة التي وقفت بجانب كلٍّ من الثنائي المرعوب، فازدردوا لعابهم وقرروا اتباعه على مضض بينما أشار لهم بالخروج من مخبئهم، فشقوا طريقهم خلال الاحتفال الصاخب ولم يبدؤا وكان أحدهم قد اتبعهم أو مانع وجودهم، فكان الجميع يتراقصون ويتمايلون على غير أكرات. قادهم الفتى حتى وصلوا جلسة أرضية طويلة تمعد عليها بعض الأشخاص الذين تبادلوا الضحك والأحاديث.

جلس الفتى أمام المجدوعة التي اتخذت موضعا على الجلسة بتوتر شديد، إلا أن أسلوب الفتى الودود كان يخفف من دقائق قلوبهم المتسارعة: جئتم في الوقت المناسب، سيتم تقديم العشاء في أي لحظة الآن!

رد (غيث) متنفسا الصعداء: شكرا على حسن ضيافتكم، فقد كنا في وضع لا نحسد عليه، أنا (غيث) وهذه (الليف)، وأنت؟

قال الفتى بابتهاج: أنا (أوس)، ولكن ماذا عن هذين الاثنين؟!
صمت كلٌّ من (غيث) و(الليف) بريية، كيف استطاع رؤيتهما؟
عرف (غيث) على الاثنين محاولاً التظاهر بالهدوء: هذا (تولبا)
والآخر (السعف).

أمال (أوس) رأسه وأضاق عينيه محدقاً بـ (السعف): هذا الاسم
مألوف، لكنك من أهل الرمال ما الذي أتى بك إلى هنا؟
حك (السعف) رقبته: قصة طويلة...

ابتسم (أوس) ابتسامة عريضة: رائع، احكِها لي بينما نتناول
الطعام!

تعالَت أصوات الأطباق المتخبطة بينما دار بعض الرجال لتوزيعها
على الجلسة، وما أن رأت المجموعة فحواها حتى ارتسم التقرز على
معالمهم، فما وقعت عليه أنظارهم كان أكواماً من العظام واللحم
البشري التّن.

سقط الصمت على المكان بشدة كفأس تقع على حزمة من الحطب
بينما تفحص (أوس) أعينهم بهدوء.

تنهد (أوس): آه، بشر.

ما أن نطق حتى اشرأبت الأعناق باتجاههم من كل صوب،
توقفت الأنغام والطبول كما توقف الناس عن التراقص، وقف
الجميع حيث كانوا وكان الزمن توقف بينما التصقت الأعين وكأنها
تخفر بظهور (غيث) و(الليف) بينما ظل الثنائي متيسين في مكانهما
غير قادرين على الحركة.

طقطق (أوس) لسانه: عقدما الدم بخلان فاختلطت روائحكما
على أنفي.

سأل (غيث) بتوتر يغزو نبرته: وهل يخسر الضيوف مكانتهم؟
استقام (أوس) من مكانه بنظرات متبدلة، فعوضاً عن البهجة
الطفولية التي لبسها قبل دقائق، ما ظهر على معاله كان نوعاً من
الغطرسية: لا، فالضيف ضيف، ولكن البشر عندنا لا يتم استضافتهم
إلا بمقابل.

بدأ الدم يضح بقوة في عروق الثنائي إثر الرعب الذي جرى في
أجسادهما مجرى الدم، إلا أن (السعف) حاول إسعاف الموقف: لا
داعي لهذا كله، فهما سيدان بخلان، هما يحملان من المقام ما نحمله
نحن.

حدج (أوس) تجاه (السعف): أتعلم ما كنية الخليل عندنا؟

الترزم (السعف) بالصمت.

أجاب (أوس) على نفسه: العبد.

هبت الرياح مارة من خلاهم وكأنها تؤكد على كلامه بينما أردف:
الخليل ليس إلا عبدًا لسيده، ليس للخليل مقام ما انفصل عن قبيلته
وانفرد بنفسه مع سيده، هكذا هي علوم شعوبنا.

أمال (تولبا) رأسه بينما وقف خلف سيده، وكأنه لا يدرك ما
يجري، بدأت الأفكار تتخبط في عقل (غيث)، فمهما بلغ خليفه من
قوة، فهو و(السعف) لا يملكان فرصة ضد ما بدا كقبيلة كاملة من
الأعداء، وإن حاول أحدهم إيذاء (غيث) فإن خليفه سيقوم بالدفاع
عنه وسيشتبك معهم حتى الممات، ولسبب ما، لم يرغب (غيث)
بحصول ذلك.

ظل (غيث) يعصر دماغه باحثًا عن حل، فما من الممكن تقديمه
لهؤلاء!؟

أنارت فكرة ما في عقله، فكرة أغبى مما يجب، ولكن كانت هذه
هي الطريقة الوحيدة التي استطاع التوصل إليها.

نطق (غيث): ... إن قدمنا شيئاً لكم فهل ستتركونا وشأننا؟

أوماً (أوس) برأسه: هذا الوعد، ووعد الحر دين.

نطق ينفث السم من لسانه، وكأنه يعني قول ذلك أمام الخلان.

رفع (غيث) رأسه والتصقت أعينه بأعين (أوس) لينطق:

سأعطيك ما أردت طالما لا يزهد روحى كزوهري.

حدقت (الليف) بفرع باتجاه (غيث) بينما علت موجة من الشهيق

خلال الجموع في عدم تصديق لما قاله للتو، إلا أن وجه (أوس) لم

يتغير بتاتاً، بل رفع يده للهواء مشيراً للجميع بالتزام الصمت.

قال (أوس) بملل: وما يعني لي ذلك؟ فلست بحاجة لأثر

زوهري لأتسلق الرتب، وعلى أي حال، فأترك ليس غالياً لنفسك،

حتى يحمل قيمة لي.

قال (غيث) في حيرة: ... ماذا تعني؟

رد (أوس) بينما أخرج إحدى أذنيه المديبتين من تحت عمامته بعدم

اكتراث: أعني أنك لا ترى قيمة ما تقدمه لي، وطالما لا ترى أنت

ذلك فأنا لا أراه أيضاً، ما أحتاجه هو شيء غالٍ على حامله، شيء لا

يُقدم بسهولة، ما يتم حبسه في الأنفاس من غلائه!

قاطعت (الليف): أنا لذي ما أقدمه!

التفت (أوس) إليها: وما يكون ذلك؟

أجابت (الليف) بثقة: أشعاري.

حدق (أوس) في عينيها متأملاً جديتها، وما أن رأى تلك النظرة

التي لبستها حتى توسعت حدقتا (أوس) وارتسمت ابتسامة عريضة

على شفتيه كشرت عن أنيابه: نعم، نعم! هذا كنز ثمين وصعب

المنال! لك ما أردت، حريتك مقابل أبياتك.

اشرأبت الأعناق لـ (الليف) الآن بينما أشار لها (أوس)

بالنهوض: لتقفي، يجب أن لا يقدم ما هو غالٍ على الأرض هكذا!

استعادت (الليف) توازنها لتقف على رجليها وسط أنظار

الجميع، كانت مرعوبة من تلك الأعين العديدة التي تأهبت لما

كانت على وشك إلقائه، دقائق قلبها كانت متخبطة ومتسارعة

ولكنها حاولت استجماع نفسها وحممت لتخلي ما بحلقها قبل

النطق، اشتبكت أعينها مع أعين (غيث) المتضاربة في اللون قبل أن

تأخذ نفساً عميقاً، ثم نطقت بثقة وصوت جهوري أمام الكل:

صليب الصوارم يصدي، يقولون إن النزاع باسم هيامك
شطر القوم شتان.

شديد العزم في أمري فلا في الأمر تراجع، ولا الشجن في
القلب هان.

وأنا على خيلي أخطو، يمينا ويسارا متباهيا أمام العيان.
أترنج بالنواصي وثابة، مقداما معلنا بأن الأوان حان.
نصلي تحت الشعاع وهاج، يطغى نوره على النيران.
فتي وصالك أضرمت شعلة، لا يطفئها حتى ماء الطغيان.
استقبلت الحرب مرحبا، وإن كنت على أرض النزاع فان.
فلا القتال مستوقف، وما كان لي يوما الجاه ميزان.

لم تفارق البسمة أسارير (أوس) الذي وقف في مكانه يصفق
بحرارة، مبهورا تماما من الكنز الذي تلقاه بينما كان البقية يتأملون
رد فعله بتوتر.

توقف (أوس) عن التصفيق: رائع! غالٍ وأصيل! مدفون ولا
يؤخذ بل يعطى! مبارك هو لسانك!

نظرت إليه (الليف) بطيف من الرعب: ... إذا؟

لوح (أوس) بيده مطمئنًا: هذا الوعد، أنتم ضيوف هنا حتى
مطلع النهار.

تنفست المجموعة الصعداء، وما أن فعلوا حتى دوى صوت
انفجار قوي مصاحبًا لرياح عاتية من ورائهم جعلهم يغطون
أوجهم وآذانهم.

التفت الكل لمصدر الضوضاء لتلقي أعينهم بالغبار المتطاير
من الأرض من أثر الاصطدام، وما أن تنازل للأرض مجددًا
حتى انكشفت معالم الدخيل، ذلك الشعر الأشقر الطويل، عيناه
الزرقاوان، وشبح (أم الدويس) السامق الذي وقف وراءه مهددًا.

رفع (أدريان) يده ملوحًا: نلتقي مجددًا.

توسعت حدقتا (غيث) من الفاجعة، وكل ما ينبض برأسه هو:
«لم الآن!؟»

وقف (أوس) بهدوء محققًا في الأشقر: ما عساك تقصد باقتحامك
هذا؟

أجاب (أدريان) بدون تردد: ما بحوزتك غالٍ أكثر مما تتوقع،
ولا أستطيع السماح لبني قطرب بالتهام جائرتي.

تبادل (أوس) النظرات ما بين هنا وهناك ثم سأل: من بغيت؟

رد (أدريان): الفتى.

نظر (أوس) إلى (غيث) ثم هز كتفيه بلا اكتراث: لا يهمني، أريد

الفتاة فحسب.

رسم الفرع على معالم (الليف) التي حاولت الاعتراض: مهلاً،

أنت قلت إننا كلنا ضيوف حتى مطلع النهار!

عقد (أوس) ذراعيه مهمهماً: لكنك لم تعطيني إلا ما يشفع لك.

شدت (ليف) على قبضتيها: سأعطيك غيرها، فقط إن تمكنت

من إيقائنا كلنا بأمان.

ارتسمت بسمه ماكرة على شفتي (أوس): من أجلك فقط.

ما أن قال ذلك حتى التصقت جميع أعين بني قطرب بهدفهم.

رفع (أوس) رأسه بغلو تجاه الدخيل ولحق شفتيه: في الحقيقة أنا

لم أستطع لحماً أجنبيّاً من قبل.

بدأ أفراد بني قطرب بالتشنج والتحرك بشكل غريب ليعلو

العويل والزججرة ليسقطوا للأرض أناساً وينهضوا مسوِّخاً حيوانية

ما بين البشر والذئاب ليحيطوا به (أدريان) من كل صوب. ازدرد
الأشقر لعبه بصعوبة، تكاد هذه المهمة أن تكون مهمة انتحارية
بالنسبة له، ولكنه لم يستطع الوقوف والمشاهدة بينما انتشل أحدهم
فريسته.

أدخل يده لأحد جيوب بنطاله ليتناول خنجرًا قذفه بسرعة
خاطفة باتجاه (غيث) ليتصدى له (تولبا) بحركة من جناحه أرسلته
بعيدًا، وما أن أعلن (أدريان) عداوته تجاه سيده حتى قفز (تولبا)
من مكانه محلًا تجاه (أدريان) مشتتًا أفراد بني قطرب الذين كانوا
على وشك نهش وجبتهم، فرقع (أدريان) أصبعيه حينها لتظفر (أم
الدويس) باتجاه (تولبا) ولكن عوضًا عن الاشتباك معه تفادته تمامًا
وطارت باتجاه سيده لتحمل (غيث) من حيث وقف لتحلق به هاربة
في الفضاء.

أطلق (تولبا) نعيًا فرعًا، ولكن بني قطرب لم يناسبهم تدخل
(تولبا) في صيدهم، فلم يلبث أن يحرك عضلة حتى وجد مسخين
يطبقان فكوكهما عليه، أحدهما يتمسك بكعبه والآخر التف من
ورائه ل يتمسك بكتفه، لم يستطع (تولبا) الوقوف ساكنًا فبدأ يتلفت
يمينًا ويسارًا ويقفز من مكانه بجنون محاولًا الإفلات من بين براثن

الوحوش ولكنه لم يستطع، حاول التحليق والانطلاق للسماء لكن
فردين من بني قطرب كانا كفيلين بإبقائه حيث كان.

صرخت (الليف) في (أوس) الذي وقف يشاهد بكل برودة:
(أوس)! افعل شيئاً!

أمر (أوس): اتركوا العبد لسيده.

أفلت الوحشان الخليل فوراً لينطلق محلقاً للسماء صارخاً بنعيق
حاد يصدح في الأرجاء يبحث عن سيده، أما (أدريان) فتببس مكانه
بينما تصبب العرق من جبينه عندما عادت إليه الأنظار، في كل بقعة
من أمامه كانت أعين مفزعة تلمع في ظلمة الليل، تفرسه نفسياً قبل
جسدياً.

تنازل (أوس) من مكانه ليخطو بملل باتجاه الرجل: خاطرت
بنفسك من أجل صيدك، ولكن ما خطتك الآن؟ أنت على دراية
مسبقة بأنك لن تفلت سليماً.

ابتسم (أدريان) متحدياً: سأخذ تلك المخاطرة.

في الواقع لم يهتم (أدريان) ما إن كان سيتعرض لإصابات أو يفقد
إصبعاً أو قدمًا، طالما نجا ونال مكافأته، فهو قادر على شراء طرف

جديد والتقاعد في الأرياف أو على سواحل البحر الأحمر، لم يتخذ قراره بعد، ولكن ستكون هذه هي مهمته الأخيرة، وذلك كان دافعاً كافياً له لأخذ مخاطرة بتلك الخطورة، إلا أنه في الآن ذاته كان يعلم بأنه لن يكون قادراً على الإطاحة بهذا العدد المهول من الأعداء، أخذ بثاني خيار متاح له، الهرب.

وفي السماء الحالكة، طارت (أم الدويس) بـ (غيث) بين ذراعيها بينما كاد قلبه أن يتوقف من ذلك العلو الشاهق الذي رآه تحت أقدامه، ورغم أنه سبق وأن استعان بخليله للطيران، إلا أنه لم يكن بذلك العلو بتاتاً.

لم يعلم (غيث) ما عليه فعله، فإن قاوم سقط لحتفه، وإن لم يفعل كان سيتم اختطافه بكل سهولة، ولسبب ما لم يستطع رؤية (تولبا) إلا أنه سمع نعيقه عندما انتشلت (أم الدويس) من مكانه، ظل يتبادل النظرات ما بين الخلاء الذي وقع من تحته وما بين خاطفته التي لم يستطع أن يرى منها إلا القليل، أعاد نظره للأراضي من تحته، لعل وعسى يتمكن من تمييز شيء أو آخر يساعده على التعرف على موقع على الأقل، ولكن لا فائدة، لم يستطع (غيث) تمييز شيء.

تنهد واستسلم للأمر الواقع غير مدركٍ لسبب تأخر (تولبا)
عنه، حتى سمع صيحته العالية في الهواء، علم حينها أنه في مكان ما
ولكنه لم يستطع إيجاده، و(أم الدويس) شعرت بذلك هي الأخرى
فأمرعت في طيرانها.

بدأ (غيث) يحاول تحرير ذراعيه من بين مرفقيها، فتارة يتحرك
يمينًا وتارة يتحرك يسارًا إلا أنها زادت ضغطًا عليه فبدأ يلوح
بساقيه متمايلًا للأمام والخلف ليخل بتوازنها، فسمعها تشتمه تحت
أنفاسها.

أخذ (غيث) نفسًا عميقًا يستجمع به طاقته ثم نادى بأعلى صوته:
«(تولبا)!»

شتمته (أم الدويس) مرة أخرى وجذبتة باتجاهها لتحاول
السيطرة عليه إلا أن صوت الصغير الذي تسلل لمسمعيها جعلها
تلتفت للوراء لثانية استغلها (غيث) بضم ذراعيه بعضها لبعض
ليحرر نفسه ويسقط متسارعًا للأرض.

نظرت (أم الدويس) في الشاب الذي استحوذت عليه الجاذبية
الأرضية وهمت لتحاول التقاطه مرة أخرى إلا أن الصغير الذي

اكتسح الهواء أصبح أكثر علوًا عندما مر جسد بسرعة خاطئة
ليتمسك بسيده ويخلق مبتعدًا.

ارتسمت ابتسامة عريضة على معالم (غيث) إلا أنها اختفت عندما
شعر بسائل دافئ يتدفق على كتفه، نظر (غيث) متخوفًا ليرى دماء
سوداء تقطر من قدم خليله، رفع (غيث) رأسه للأعلى ليتحصن
منقذه ليرى الدماء السوداء تغطي أحد كتفيه، ورغم أنه كان يخلق به
إلا أن (غيث) كان يستطيع رؤية أنه كان يبذل مجهودًا كبيرًا ليقف في
الهواء، حتى أن جسده بدأ يترنح قليلًا.

نظر (غيث) للوراء ليرى (أم الدويس) تخلق من خلفها تحاول
اللتحاق بهما، وبالعادة فإن (تولبا) له الكفة الغالبة في الهواء، ولكن
تلك الإصابات كانت بليغة أكثر مما ينبغي.

شتم (غيث) حظه تحت أنفاسه، فلم يكن هناك أي شيء بإمكانه
فعله للمساعدة، إلا التوجيه:

«(تولبا)، انطلق بأسرع ما يمكنك، لنعد إلى (الليف) والآخرين!»

أمر السيد خليله ليدعن الأخير لأمره ويزيد من سرعته رغم
إصاباته فكان يواجه صعوبات واضحة ولكنه أطلق العنان لجنائحه،
بينما ظلت (أم الدويس) على أثرهما.

«أسرع!»

أمر (غيث)، فحاول (تولبا) ولكنه لم يستطع فعل الكثير، وما أن رأى (غيث) أضواء الاحتفال من تحته حتى أمر: اهبط!

فما كان من خليفه إلا أن يغلف سيده بجناحيه وينطلق متسارعًا للأسفل مما حير (أم الدويس) التي كانت تلاحقها ليرتطم كلاهما بالأرض من تحتها مخلفين تطايرًا من الأتربة في الهواء لينتشر الضباب حول بني قطرب المتحولين.

تعالى سعال (غيث) الذي عانى حتى يقف على رجليه إثر ارتطامه ليلقي نظره على (تولبا) الذي ظل متمدّدًا على الأرض، صدره متهدّج للأعلى والأسفل بينما تنفس بصعوبة. كان (غيث) متفروّعًا فتدنى ليلقي بنظره على خليفه، ولأول مرة منذ ارتباطهما شعر بأنه يهتم لهذا الكائن، بأنه لا يريد مشاهدته يحتضر.

صرخ (غيث) في خليفه: لا تمث!

فتح (تولبا) عينه اليتيمة جزعًا، وكأنه متفاجئ من سماعه لتلك الكلمات، في هدم تصديق بأن سيده الذي كان يبغضه كان يأمره الآن بالبقاء على قيد الحياة.

وبينما كانوا على هذا الحال كان (أوس) يحدق بهم للحظة قبل أن
يقرر تجاهلهم ليلتفت إلى فريسته مرة أخرى، فريسته التي قررت
تسلق إحدى الأشجار السامقة لشراء الوقت، وعرضاً عن تركه
لبني جنسه، كان (أوس) قد أمرهم بتركه له.

نظر (أوس) للأعلى ببرود قبل أن يلامس جذع الشجرة بقبضة
يده بخفة لتتقسم في ذلك الموضع مقطوعة وتبدأ بالميلان لتسارع
للأرض. تمسك (أدريان) بقوة عندما ارتطمت الشجرة بالأرض
بقسوة، وقبل أن يتمكن من استجماع نفسه، وجد ظلاً يغطيه بينما
وقف (أوس) فوقه، يحدق به بملل، ولكنه سرعان ما التفت عندما
سمع صياح (أم الدويس) التي حلفت بأقصى سرعتها باتجاه سيدها.
رفع (أوس) إصبعين في الهواء ليقفز اثنان من المسوخ المستدبة
ليقبضا على (أم الدويس) بفكوكهما ليشبثاها أرضاً، ورغم محاولتهما
وصراخها المدوي لم تستطع الإفلات من براثنهما.

نظر (أوس) إلى (أدريان) قبل أن يقطع لسانه بملل: لا يمكنني
التمتع بوجبتي في هذا الجسد.

بدأت رقبته بالاهتزاز وصار رأسه يتلوح تارة يميناً وتارة يساراً،
بينما كبر جسده وطقطت عظامه، بدا وكأنه يسلخ جلد البشري من



عليه ليظهر فروُّ حالك السواد، لامعٌ تحت الضياء، لتتغير معالمه تمامًا
ليتحول إلى مستدب عملاقٍ كان فكه من ضخامته يستطيع ابتلاع
الأمريكان) بكل أريحية.

صير الجزع على معالم (أدريان) وتجمد في مكانه، فهو لم يرَ قطربًا
يفتلك الجيروت طوال ترحاله، وبينما شعر بأنفاسه الحارة على جسده
تشت صرخات (أم الدويس) خاصته تعلو بفزع وتوسل شديدين،
حاولت تحرير نفسها مرارًا وتكرارًا ولكن لم يجد الأمر بتاتًا.

انتظر!

قطع (غيث) ذلك المشهد، معترضًا لسبب لم يعلمه أحد،
ويكفه تجلد ورغم الزجرة التي كانت تصدر من أفراد القطيع إلا أنه
تخاسيم جميعًا حتى وصل إلى الأجنبي وشيخ بني قطرب.
نظر (أوس) تجاه الشاب بنظرة تطالب بتفسير، فنطق (غيث):
عجب عنه.

صرخت (اللين) من الجهة الأخرى: ما الذي تقوله يا أحمق؟!
دعه يأكله للتخلص منه!

هز (فيث) رأسه نفيًا: الحق واجب، لقد عفا عنك في السابق،
هنا جرد.

ظهر التعجب على معالم (الليف): ماذا!!؟ ما دخل ذلك بأبي شيء!؟

نظر (غيث) للفتاة بإصرار: هذه المرة فحسب، أما التي تليها فرأسه من نصيب من ابتغاه.

التفت (أوس) للشباب وصدر عنه صوت عميق مختلف تماماً عن صوته المعتاد: أنا لا أتلقى الأوامر منك.

حدق (غيث) بالفتاة: (الليف)، أرجوك...

صمت (الليف) متأملة رغبته بتعجب وحيرة من أمرها قبل أن تستسلم متنهدة: أرجوك يا (أوس).

خيم الصمت على المكان بينما ظل صدر (أدريان) متهدجاً للأعلى والأسفل، ظل المستدئب الأدهم مكانه محققاً بفريسته قبل أن ينطق: لأجلك فحسب.

كان آخر ما قاله قبل أن يتبدد ويتقلص مرة أخرى ليعود إلى هيئته البشرية ليشير لأفراده بإفلات (أم الدويس) لتحلق من حيث كانت لتلتقط سيدها وتختفي في ظلمات الليل.

نطقت (الليف) بانزعاج: احتراماً لرغبتك، ولكونه رجلاً ذا خلقٍ رفيع، لقد صفحت عنه هذه المرة.

أوماً (غيث) برأسه متشكراً إياها.

التفت (أوس) يتأمل ذلك الثنائي العجيب، محاولاً تشكيل أفكاره عنهما إلا أنهما كانا غير قابلين للتوقع، فكلُّ منهما أغرب من الثاني، ولكنه رغم ذلك الفوضى التي عمت في الأرجاء، ظن في نفسه أنه لم يحظَ بهذا الكم من المتعة منذ فترة طويلة جداً.

حك (أوس) رقبتَه متسائلاً: من أنتم؟

كانت حيرته في محلها، فلم كانا مستهدفين من صائد رؤوس؟ ولم عساه يحاظر بحياته هذه الدرجة؟

هز (غيث) كتفيه: أنا زوهري، ويبدو أن ذلك سبب كافٍ لاستهدافي.

هز (أوس) رأسه نقيّاً: الزوهريون مطلوبون لا شك في ذلك، لكن أن تصل لهذا المستوى؟ من يشتهي رأسك لهذه الدرجة؟

أجاب (غيث) بدون تردد: السفليون، أعتقد هذا اسمهم.

نيس (أوس): أنت مستهدف من أولئك المسوخ؟! وتجرؤ على توريط هذه الفتاة معك؟

حك (غيث) وجهه: أمها من طلبت منها مرافقتي...

أظهر (أوس) النفور: أمها!؟ والدتها نفسها!؟ لا بد أنها لا تعلم
عن حجم المصيبة التي أوقعت ابتتها فيها...

رد (غيث): أعتقد أن (أم السعف والليف) كانت ملحة بما
يحدث.

تخشب (أوس) تمامًا عند سماعه للاسم، فالتفت برأسه بصعوبة
محددًا بأعين مذعورة: (أم السعف والليف)؟ تلك الساحرة التي
تقطن الجنوب؟ (أم السعف والليف)؟

قالت (الليف) بينما أشارت لخليتها ومن ثم لنفسها: (السهف)،
(الليف).

بدأ رأس (أوس) يدور بينما وقف ثابتًا، لم يصدق ما كان يسمعه!
(أم السعف والليف)، الشخص الوحيد الذي كان (أوس)
يخشاه في هذه الأراضى.

تمسك بصدغيه متفكرًا: لا شك في ذلك، لا شك أنك ابتتها!
فقط هي من تستطيع ولادة امرأة مثلك!

تبادلت المجموعة النظرات المتعجبة والمستنفرة قبل أن يسهب
(أوس): تلك المرأة، هي السيدة الوحيدة التي أكن لها كل احترامي،

هي وخلانها رغماً عني، فمن غيرها يمتلك من الخلان أشدهم
وأرهبهم، شيوخ القبائل!

كانت (الليف) تتأب من الضجر، كانت سبق وأن سئمت من
تلك القصة نفسها، فأين الجديد؟

لم يصدق أحدهم أبداً أن والدتها امتلكت ٥ من الخلان من
الأصل، وكونهم شيوخ قبائلهم المستقلة؟ كان ذلك أمراً غير معتادٍ
البتة.

كان (غيث) متعجباً ومتفاجئاً كما كان شيخ بني قطرب، ولكن
(ليف) قاطعت ذلك المشهد: حسناً، وماذا إذا؟ هل ستركنا أم ماذا؟
هز (أوس) رأسه مستنقراً: لا أجرؤ على التعدي على (السعف)
و(الليف)، أنتم في عهدي حتى إنذار آخر.

أدبرت (ليف) يدها: لا، شكراً، نحن لسنا بحاجة لخدماتك،
كن على عهدك الذي اتفقنا عليه فحسب.

توسعت حدقتا (غيث) في عدم تصديق لما تفوهت به للتو، لكن
(أوس) خنع وتحدث: وماذا إن جرى مكروه لك؟ لا أستطيع تحمل
عاقبة والدتك إن علمت بأنني تركتك تذهبين رغم الخطر المحقق
باك!

أدارت (الليف) عينيها في محجريهما: وما دخلك بي؟ لم
بخليل لي!

امتقع وجه (أوس) من إجابتها، فالتزم الصمت لوهلة قبل
يقول: حتى مطلع الفجر.



@ART_OF_BOOK

أم الذئبين

استيقظت المجموعة في صباح اليوم التالي ليجدوا أن (أوس) قد اختفى تمامًا من الوجود، وكأنه تبخر، ما تبقى كان عددًا بسيطًا من أفراد بني قطرب، بدا وكأنهم ظلوا مستيقظين طوال الليل لحراستهم، وعندما سألوا عن شيخ قبيلتهم أخبروهم بأنه سبق وأن رحل منذ مدة.

ظنت (الليف) في نفسها أنه من الممكن أنه كان مستاءً مما تفوهت به بالأمس، فقرر الرحيل دون قول الوداع، ولكنها لم تهتم لأمره، فما هو إلا كبرياء الرجال المعتاد.

قامت هي ومن معها بتجهيز عدة السفر لينطلقوا مرة أخرى في الأراضي الواسعة دون هدف أو وجهة معينة، إلا أن أحد أفراد بني قطرب قام بنصحهم بالتوجه إلى قلعة رأس المرتضى العالي، فهناك يسكن رجل ذي علم يدعى الشيخ (تليلان)، وهو يخدم ملك الجان (شهروش)، والملقب بالملك الأخضر، وهو أحد أكابر ملوك الجان وهو الموكل بالمحاكم والقضاة، وبما أن الملك يسكن أراضي

المغرب، فكان السيد (غانم) ممثله في أراضي المملكة، وقد تمكن
من مساعدتهم أو على الأقل توفير ملجأ لهم حتى يتمكنوا من تغيير
حالهم.

انطلقت المجموعة في الأراضي التي تنوعت ما بين سهول
خضراء، وديان، وجبال، بينما كانت الشمس الساطعة في كبد السماء
ترسل أشعتها اللاذعة فوق رأس كل منهم.

كان الإرهاق واضحاً عليهم، وبالأصح الجوع، فهم لم يتمكنوا
من تناول أي شيء خلال بقائهم مع بني قطرب، سوء ضيافة غير
متوقع من جهتهم، ولكن الإبقاء على حيواتهم كان أهم من وجبة
ما.

ولكن بينما كانوا يشقون طريقهم مشياً ليصلوا لوجهتهم التالية،
كان (غيث) يتفكر في سرعة شفاء خليله الذي بدا على مشارف
الموت بالأمس، فكان اليوم يبدو طبيعياً جداً كما كان من قبل،
وعندما سأل (السعف) و(الليف) عن ذلك الأمر أخبراه بأن الخليل
يرتبط ارتباطاً وثيقاً بسيدته وقد يتمكن من فعل المستحيل إن تم أمره
بذلك، بالإضافة لذلك فإن قدرات الخليل ترتبط بسيدته، وكون

(غيث) زوهرًا يعطي (تولبا) نوعًا من الأفضلية سواء كان بسرعة
التعافي أو القدرات الجسدية على حد سواء.

«حسنًا، لا أستطيع تحمل الأمر، بدأت أفقد توازني!»

قالت (الليف) مستاءة من زقزقة معدتها.

تمسك (السعف) بيديها مسندًا إياها على جسده: لترتاحي هنا
إِذَا.

وضع (غيث) يده على صدره: فكرة سيّدة، سأقوم أنا و(تولبا)
بالبحث عن الطعام، لتبقي هنا برفقة (السعف).

لوحث (الليف) بيدها: أسرع قبل أن أتناول دجاجتك.

قال (غيث) متهمًا: تتناولين دجاجتي وأنتِ صاحبة الإبل؟

أضاعت (الليف) عينيها: فرق الثرى والثريا يا حديث السيادة،
هيا انصرف قبل أن أقضم رأسك أنتِ الآخر.

توسعت حدقتا (غيث) من تعليقها قبل أن يضحك ضحكًا
شديدًا ولكنه استجمع نفسه وانطلق في مهمته.

استقر كلُّ من (السعف) و(الليف) تحت ظلال إحدى أشجار
النخيل، حيث طوى (السعف) ساقيه الطويلتين ليتوسد الأرض،
لترمي (الليف) ظهرها على معدته الوبرية، متكئة برأسها على
سنامه، لتغلق عينيها في ارتياح، لا شيء على مرمى السمع إلا نسيم
الهواء الذي يلاعب شعرها الناعم وسعف النخيل، إلا أن انشغال
عقلها كان يفسد الهدوء على مسامعها.

نطقت (الليف) بدون أن تفتح عينيها: (سعف)، أعتقد أن أمي
بخير؟

رد (السعف) مستنكراً: أعتقد أن سؤالك ساذج، أعتقد أن
خلانها سيسمحون بحصول مكروه لها؟

هممت (الليف): أعلم، (صنديد) و(قدار) وحدهما قادران
على مسح تلك المجموعة التعيسة من الأسياد بخلائهم وأتباعهم،
أنا أعلم، ولكن القلق يلازمي. ماذا إن حصل ما لم يكن بالحسبان؟
ماذا إذاً؟

تنهد (السعف): أعتقد أنك لا تدركين من هي والدتنا.

تفرق رمشا (الليف) بعضهما عن بعض والتفت لتنظر لوجه خليلها: وما رأيك عن صاحب الدجاجة هذا؟

أطلق (السعف) نفسًا مهمومًا: لا أعلم، لكن طالما بقينا مع هذا الزوهرى، ستظل العقبات تتكاثر في السبيل، هذا أكيد.

أومأت (الليف) برأسها إيجابًا: أتفق معك، لذلك يجب أن يشتد عودنا ونصبح أكثر صلابة من ذي قبل!

تمكن الفضول من (السعف): وكيف تقترحين فعل ذلك؟

رفعت (الليف) يديها للسماء: يجب أن نتمكن من العلم القديم، كما فعلت الوالدة! الترحال، التمكن من تلك المحطات التي يدعي البعض وجودها، تكوين عشيرة تخلصنا، وأريد تعلم حمل السلاح أيضًا!

ارتسمت ابتسامة خفيفة على أسارير (السعف): لست موجودًا هنا للتعليمي حمل السلاح.

اعتذلت (الليف) في جلستها والتفت لتواجه خليلها: أود ذلك من باب الحيلة، أعلم بأنك بظهري، ولكنني لا أستطيع الوقوف مكتوفة اليدين بينما تعرض نفسك للخطر دائمًا، أريد الدفاع عن نفسي!

زم (السعف) شفتيه، لكنه سرعان ما أجال نظره عنها لبتابه
الفرع عندما رأى ما وقف على مسافة يسيرة خلف سيدته، تنبهت
(الليف) لذلك فالتفتت هي الأخرى لتلتقي أعينها بشخص ملثم
يقف على بعد عدة أمتار منهما، ولكن ما جعل الفرع يقبدها كان
الذئبين العريين اللذين اتفا حول ساقبي ذلك الشخص.

قال (السعف) لسيدته بنبرة يتخللها الرعب: ذئاب...

همست (الليف) لخليلها: اهدأ، قد يكون الملثم غير قادر على
رؤيتك، دعني أتصرف.

نهضت (الليف) من مكانها لتتفحص التراب من على ثوبها قبل أن
تخاطب ذلك الشخص المريب: أيمكنني مساعدتك؟

رفع الملثم يده وكأنه يحيي الفتاة ونطق بصوت أثوي على خلاف
مظهره: أبحث عن شخص ما، شاب يدعى (غيث)، أتعلمين أين
تقع أراضيه؟

صمتت (الليف) للحظة تحاول استيعاب الأمر، إذا امرأة هي.

هزت (الليف) رأسها نفياً: لا علم لي به.

عدلت (صيتة) لثامها: له عيان مختلفان في اللون، أتعرفين أي
شخص بهذه المواصفات؟

وضعت (الليف) إصبعها على ذقنها متظاهرة بالتفكير: للأسف،
لا علم لي به، ولا أعتقد أن شخصاً كذاك يحوم في هذه الأرض، فلو
فعل لعلمت عنه.

خيم الصمت على المكان للحظات بدت أكثر ثقلًا مما ينبغي،
قبل أن تنطق (صيتة): حسناً، سأصدقك، وكشكر على مساعدتك
دعيني أخلصك من الحمل على كاهلك.

توسعت حدقتا (الليف) في حيرة من أمرها قبل أن ينطق
(السعف) من ورائها: (الليف)، لا أستطيع الحراك...

تبادلت (الليف) النظرات بين خليلها وبين أحد الذئبين الذي
التصقت عيناه بموضع ساقي خليلها مثبتاً إياه على الأرض حيث
كان.

شتمت (الليف) تحت أنفاسها، فأكبر تهديد للجن هو الذئب،
فإذا وقعت عينه على جثي فلا يحيل ببصره عنه، بل يقوم بتثبيت نظره
عليه بشكل تام مما يمنع الكيان من الانصراف أو الحراك ما دام النظر

متعلقاً به، وإذا تمكنت الروح من الهروب بطريقة ما، فيقوم بالعدو
وراءها ملتزمًا بأثر خطاها مما يسمرها في مكانها، فيقوم باصطيادها
وتناولها، وهما كانا الآن مقيدين ليس بواحد، بل باثنين، ومطهرة
على رأسهما.

شدت (الليف) على فكها في ضيق: ... ما مبتغاك؟

ردت (صيتة) بتهكم: ظننت أنك لا تعلمين شيئاً؟

ردت (الليف) بجدية: فعلاً، لا علم لي بأراضيه، أقسم على
ذلك.

همهمت (صيتة): ... أنت صادقة في تلك، وكاذبة في غيرها.

ظلت الفتاتان تحدقان بعضهما ببعض بشدة، وكأن الهواء من
حولهما كان محملاً بالشحنات الكهربائية.

كانت (صيتة) تعلم من آثار الأقدام التي رأتها في طريقها بوجود
شاب ما برفقة هذه الفتاة، فكانت تعلم الحقيقة ولكنها أرادت رؤية
ما إن كانت ستتكسر تحت ضغط التهديد، ورغم أن أم الذئبين لم

تستهدف أحداً إلا الزوهرى وخليله، ولكن رؤيتها لشابة في مقتبل
العمر تحمل هم لعنة على ظهرها كان يؤرق تفكيرها، فأرادت
تحريرها من ذلك القيد الذي أعاق حركتها.

أطلقت (صيتة) صغيراً لينطلق أحد الذئبين بسرعة باتجاه
(السعف) و(الليف)، مما جعل الفزع يجري مجرى الدم في عروق
الآخيرة، فوقفت ما بين المفترس وفريسته، فاردة ذراعيها بجزع،
بينما وقف الذئب مزجراً وكاشراً عن أنيابه، يحاول الوصول لهدفه.

ظلت (الليف) تصرخ لتحاول إبعاد ذلك الذئب الضاري، إلا
أن عينيه كانتا متشبثتين بخليلها بشكل تام، لا تفارقانه أبداً.

نادت عليها (صيتة) بينما اقتربت منهم: ما بك تقاومين؟ إنني
أظهرك من لعنتك!

صاحت (الليف) بغضب: ما اللعنة إلا أنت وأمثالك! أنا لم
أطلب تحريري!

أدالت (صيتة) رأسها في حيرة من أمرها: جميعكم تقولون الشيء
نفسه، ولكن ما تقومون به غير طبيعي ولا صحيح ولا يرضي أحداً.

عقدت (الليف) حاجبيها: ومن أنت لتفرضي مفاهيمك على الآخرين؟!

تخسبت (صيته) في مكانها عند سماعها لذلك، لم تكن تستطيع يوماً تفهم علاقة السيد وخليله، فكانت تراها كأمر مريب وشاذ عن الطبيعة، وعندما تقوم بعمليات التطهير كانت دائماً ما ترى السيد يحاول الاعتراض، ولكنها لم تر يوماً فتاة كتلك تقوم برمي جسدها ما بين خادمها وحيوان مفترس، وكأنها لا تكثر لتعرضها للأذى طالما كان خليلها سالماً، كان ذلك يخالف صورة السيد والخادم النمطية التي طالما كانت محفورة في رأس (صيته).

قاطع حبل أفكارها زجرة ذئبتها (ميسرة) التي وقعت أعينها على خليل مجنح وقف خلف شاب ذي أعين فريدة، ارتسمت ابتسامة على معالم (صيته) عندما رآته، كانت أفكارها واضحة.

«وجدتك!»

كان (غيث) يقف في حيرة من أمره يحاول تدارك ما كان يجري أمامه، إلا أنه لم يضطر إلى التفكير كثيراً، فعندما رأى (الليف) بهذه

الحالة هم للتدخل فوراً، إلا أن ذئباً ما استوقفه ليقف مهدداً في طريقه، ولسببٍ كان يجهله، كان وجود ذلك الذئب ييث الرعب في بدن خليله، عقد (غيث) حاجبيه في عدم فهم، يحيل بنظره ما بين (تولبا) وذلك المفترس.

هربت ضحكة من شفتي (صيتة): لم تكن إشاعة إذاً، أنت فعلاً حديث!

حذق بها (غيث) بجدّة: ماذا تقصدين؟

ردت (صيتة) ساخرة: أعني أنك جاهل، ألا تعلم أن الذئب هو المخلوق الوحيد القادر على افتراس هذه الطفيليات؟

أمر (غيث) خليله ليتحقق من الأمر بنفسه: (تولبا)، اقلها.

ولكن (تولبا) لم يكن قادراً على الحراك، فلم يكن أمره مختلفاً عن (السعف) الذي تحشب في مكانه.

تعالت ضحكات (صيتة): لا تحاول، فهو مثبت في موضع التدمير، لن يستطيع أخذ خطوة أخرى.

سأل (غيث) بحنق واضح: ما مبتغاك؟

ردت (صيتة) بلا تردد: لا أريد أن أكون حاملة للأخبار السيئة،
لكن أنت وخليلك.

أخذ (غيث) نفسًا عميقًا: حسنًا، سأتي معك إن تركت هذين
الاثنين.

صاحت (الليف) بانفعال: يا أحمق ما الذي تقوله!؟

رسم التعجب على أعين (صيتة) عند سماعها لما كان بجعبته،
تبادلت النظرات ما بينه وما بين الفتاة في محاولة لفهم أمرهما، ولكنها
لم تستطع: لماذا تضحي بنفسك من أجل إنقاذهما؟

رد (غيث) بجدية: وكيف أكون رجلًا إن لم أحم فتاة؟

زاد رده حيرة (صيتة)، فلم تعلم لم كان يتصرف بهذا الشكل، فلم
ترَ أسياذًا يكونون علاقة وثيقة مع غيرهم من قبل، ولكنها هزت
كتفها مستسلمة: رغم احترامي لشجاعتك، إلا أن من واجبي
تطهير أي لعنة أراها.

لم يسع الوقت ليقوم (غيث) بتحريك عضلة واحدة حتى قبل أن
تلف (صيتة) رقبة (الليف) بخنجر جاد لتقيد حركتها تمامًا.

تبيست (الليف) في فزع بينما نطقت (صيتة): لديكم خياران:

إما أن يظهر ذئبي لعنة هذه الفتاة، أو تلقى حتفها على هذا السكين
لتلقى هي وخليتها حتفهما، ما هو اختياركم؟

لعن (غيث) حظه، فإن تحرك، التهم الذئب خليله، وإن ظل
مكانه فقد يخسر أحد رفيقيه أو كليهما.

نطق (السعف) بنبرة تخللها الاستسلام: لا بأس يا (ليف)،
ستكونين بخير.

جحظت (الليف) لتنظر إلى خليلها: ما الذي تقول؟ لا وألف
لا! لن أدع مكروها يصيبك بينما أتنفس!

قال (السعف): إما أنا، أو كلانا، وأنت تعلمين بأني طالما وددت
أن يأتي يومي قبل يومك.

امتقع وجه (الليف): لا، لا، لن يحصل! لا تفعل!

ارتسمت ابتسامة ضعيفة على شفتيه، ابتسامة وداع، جعلت
الدماء تتجمد في عروق (الليف)، ثم همس: الوداع يا (ليف).

لم يستطع عقل (الليف) تحمل ذلك، لم تقوَ على فراقه، تلك

الفكرة وحدها كانت موجهة، كان فقدان خليل أشبه بفقدان أحد أطرافك، فحتى إن تمكنت من النجاة، سيسيطر عليك شعور العجز دائماً، فطالما حييت سيكون هناك جزء مفقود منك.

وحينها فعلت (الليف) شيئاً لم تعلم عن عواقبه، ولكنها كانت على أتم الاستعداد لتحملها.

فقامت بحركة سريعة بفرك الخاتم الذي لبسته ليضيء بضوء ساطع لينطلق حقل طاقي قوي من حولها قام بإرسال كل ما حولها متطائراً، فعانق (السعف) النخلة التي كانت تظله، بينما أرسلت الرياح المطهرة في الهواء لكنها تمسكت بجذع إحدى الأشجار لتحاول تمالك نفسها بذراع، وبذراعها الأخرى ضمت ذئبها (ميمنة) لصدرها، أما ذئبتها (ميسرة) فتمسكت بصعوبة بالأرض من تحتها ولكنها لم تقوَ على ذلك من شدة الرياح العاتية، فاقتلعها التيار ليقذف بها لترتطم بإحدى الصخور التي وقعت على مقربة منهم، أما (غيث) فكاد أن يطير هو الآخر، إلا أن (تولبا) وقف خلفه مستنداً إياه بجسده.

ومن ثم وتحت أنظار الجميع، خرجت ذراع عملاقة عظيمة البنية من ذلك الخاتم المشع، تبعثها ذراع أخرى لثبت نفسها على

الأرض وتقوم بسحب بقية جسدها من داخل ذلك الحجر الضئيل،
فخرج رأس ذو شعر أسود طويل، من فوضويته غطى على معالم
صاحبه، ورغم ذلك كان الضوء الساطع من بؤرتيه واضحاً يشع
بلون أبيض مهيب، له قرن وحيد يتوسط جبهته، بأذنين طويلتين
مدببتين تكسوهما الحلي الذهبية، وأنف عريض يلبس حلقة ذهبية
كما الثور، له لحية طويلة تماشي لون خصلاته، تبع رأسه عنق غليظ
يلبس سلسالاً مختوماً بشكل مألوف.

توسعت حدقتا (الليف) وهي تجدد في ذلك المسخ العملاق
الذي فاق توقعاتها، وحينها بدأت تتسارع الأفكار في رأسها عندما
تذكرت اسمه والقصص التي كانت ترويها لها والدتها، (عوج بن
عنق)، العملاق الذي بلغ من القوة أنه كان يصيد بيده الحوت من
البحر ويرفعه لعين الشمس فيشويه فيها ثم يلتهمه، وأنه إذا أراد
الشرب استوقف السحاب فشرب منه، وكان مفسداً متباهياً بقوته
وجبروته، معمرًا طاغية استفرد الأرض ببأسه.

علمت حينها لم حذرتها (بهنس) من استعمال الخاتم، فكيان مثله
لن يخضع لأحد.

وقف الجميع متأملين في هول المنظر من أمامهم، حيث اكتمل

بنيانه رويدًا رويدًا، ليتجلى لهم كتفان ضخمان، تبعهما بنية عضلة مفتولة، بصدر عارٍ، وأقمشة مدولة من وسطه لتدب لتز عورته، بيده كان يحمل هراوة عظيمة بإحدى يديه، وعندما رفع قدمه على الأرض خارجًا من سجنه زلزلت الأرض زلزلة جعلتهم يتقاذفون كالنمل.

وقف (عوج بن عنق) مكانه متيسرًا للحظات قبل أن يأخذ نفا عميقًا وكأنها يملأ رئتيه لأول مرة منذ آلاف السنين، ثم التفت عنقه ببطء ليحدق بأَمِ الذئبين التي رفعت رأسها تجاهه لترى ما يجب الشمس وتجمدت مكانها من هول المنظر، وكأنها الدماء في جسدنا تجمدت غير قادرة على الجريان.

أرادت أن تنفذ بجلدها، أرادت أن تحاول على الأقل، أرادت الوقوف ولكنها عندما حاولت وقعت مجددًا لركبتها، لم تستطع رجالها الواهتان حملها، ظلت حيث كانت، تحدق بموتها الذي تجسد بهذا المخلوق الذي من عظمته كانت تعلم بأنها لن تقدر على مقاومة ضربته.

هل حقًا كانت ستلقى حتفها بهذه الطريقة البشعة؟ على يد كيان غير إنساني؟ بدون حتى أن تودع أختها؟

شعرت (صيته) بقوة تحاول سحبها لتلتفت إلى ذئبها (ميمينه)
الذي تمسك بقميصها محاولاً سحبها بعيداً يئأس ظاهر على معالمة،
كان بإمكانه النفاذ بجلده ولكنه رفض التخلي عنها، كان سيحاول
إنقاذ صاحبه وإن كان ذلك آخر ما تمكن من فعله.

أطبق فكيه عليها بقوة وظل يحاول شدّها ولكنها من هول
صدمتها لم تستطع القيام من موضعها، نظرت إليه ممتعة الوجه،
لتقع دمة صاهدة وحيدة على وجنتها.

«(هيلا).»

كان آخر ما تفوهت به قبل أن يضرب (عوج بن عنق) بكف يده
الجبارة على الأرض لتلقى مصرعها في تلك البقعة هي وذئبها.

كادت (الليف) أن تهوي للأرض لكن (السعف) ظهر من
ورائها ليسندها.

كانت (الليف) على أتم الاستعداد لفعل المستحيل لإنقاذ خليلها،
ولم تعتقد أنها ستندم على فعلتها، ولكنها لم تصدق هذا الجبروت
المطلق الذي أطلقت سراحه ليعيث في الأرض فساداً مرة أخرى بعد
كل هذه السنين.

(تولبا) بعيداً، يحدق في هذا المخلوق الذي بدا كخطيئة متشكلة، لم يكن من المفترض أن يخطو على سطح الأرض من الأساس.

تفحص (غيث) محيطاته باحثاً عن (السعف) و(الليف) ليراهما
يجريان في الاتجاه المعاكس، ولكنه رأى أيضاً كتلة سوداء عظيمة
نقوم بالجري للقاءهما بشكل يائس.



@ART_OF_BOOK

«(ليف)!»

نادى مستدئب أسود مألوف ليقف عند الثنائي.

صاحت (الليف): (أوس)! ما الذي تفعله هنا؟

رد (أوس) بعجلة: لن نستطيع هزيمة (عوج بن عنق) حتى لو
اتحدنا كلنا، فمثله يحتاج جيشاً لهزيمته!

سأل (السعف) منفعلاً: ما عسانا نفعل إذا؟

رد (أوس) بجدية تامة: اعقدي الدم بي.

استنشرت (الليف): هل جنت يا شيخ قطرب؟! أتود أن تصبح

خادماً؟

جرى (غيث) باتجاهها بينما تبعه خليله ليطمئن على حالها، ولكنها كانت مذعورة تمامًا مما استدعت، حينها التفت (عوج بن عنق) إلى المجموعة ببطء، وكأنها يتفحصهم باحثًا عن استدعاه.

حدقت فيه (الليف) بفزع ولكنها استجمعت نفسها وحاولت أمره: عد إلى الخاتم!

ولكن الرد لم يكن ما توقعته، حيث رفع (عوج بن عنق) عصاه للسماء لينزل سخطه عليهم، فتمسك (تولبا) بسيده ليحلق به، أما (السعف) فرمى بـ (الليف) لتمتطي ما بين سنامه وظهره البشري، وهرع يركض مطلقًا العنان لساقيه عندما ضرب سلاح العملاق بالأرض محدثًا زلازل هزت السطح من تحتهم مخلة بتوازنهم، لكن (السعف) تجلد وأكمل مسرعًا في الجري.

تمسكت (الليف) بخليها بذعر مما شاهدت بينما ركض بكل ما أوتي من قوة، فهزيمة هذا الشيء استحالة، أما إعادته لسجنه فاحتمال غير مرجح.

وبينما كانت على ذلك الحال كان (غيث) في الهواء بينما حلق به

أخذ (أوس) نفسًا عميقًا قبل أن ينطق: كان ذلك قبل أن أعلم
من تكونين، ولا تنسي أنك لا تزالين مدينة لي بأبياتك، فبنو قطرب
يستردون حقهم مهما كلف الأمر.

كان اقتراح (أوس) مخاطرة ذات عواقب وخيمة، فتكوين عشيرة
أمر ليس بسهل.

ارتباط السيد مع خليل واحد وتوافقهما للأبد أمر في غاية
الصعوبة، وكلما تعدد الخلان زادت المخاطر، فيجب على السيد
تكوين رابط وثيق مع كل فرد من أفراد عشيرته والعدل بينهم،
وليس كل سيد قادرًا على الارتباط بأكثر من خليل، فيعتمد ذلك
على القوة الروحانية للسيد، وقوة العشيرة تعتمد على قوة الأفراد،
من السيد حتى الخلان، فكلما زادت شدة الفرد وكان ذا نسل أو
مكانة عالية بين أقرانه ارتفع مستوى العشيرة.

عم الصمت وظلت الأنظار جميعها ملتصقة بـ (الليف) منتظرة
جوابًا بينما تخبط أفكارها في رأسها، ولكنها في خضم الأمر عزم
أمرها.

«أنا ابنة أُمِّي.»

قالت معتزة قبل أن تقضم على إحدى أصابعها حتى نزفت
ليفعل (أوس) المثل؛ وما أن وضع يدها على مخلبه لتختلط دماؤهما
حتى انفجر حقل طاقى من حولهما معلناً ارتباطهما بالحديد.

شعر (عوج بن عنق) بهذا التدفق الروحاني الحديد الذي كان
تهديدًا له من شدته، فالتفت إلى الثلاثي ورفع عصاه للسماء ليستعد
لضربهم مرة أخرى.

رفعت (الليف) رأسها ولكن هذه المرة كانت عيناها مختلفتين،
تلمعان ببريق غريب، فقد كانت الآن قادرة على الإبصار ولكن كما
كان يبصر (أوس)، فميزت على الفور ذلك الختم الذي تدلى من
عنق العملاق الغليظ.

نادت (الليف) بصوت عالٍ حتى يتمكن الزوهري من سماعها:
(غيث)، المسبحة!

لم يعلم (غيث) ما الذي يجري ولكنه لم يفكر بتأثراً، فأمر (تولبا)
بالتحليق باتجاههم، ليغوص بيده في جيبه مخرجاً مسبحة الكهرمان
المختومة ليقذفها في الهواء، رفعت (الليف) إصبعها ليقفز شيخ بني

قطرب في الهواء قفزة من علوها كان الناظر ليظن أنه قادر على التحليق،
ليلتقط المسبحة بين قواطعه ويجري بها تجاه سيدته الجديدة، ليلرح
برأسه ويرميها بالهواء هو الآخر خشية ضربة (عوج ابن علق) لها قبل
أن يصل هو، التقط (السعف) المسبحة ليناولها لسيدته بحركة خاطفة.

تمسكت (الليف) بالمسبحة بيدها التي لبست بها الخاتم لبضع
كلّ منهما قبل أن ترفعهما للسماء لتواجه العملاق الذي كانت
عصاه المديية تبعد عنها بضع لحظات ونطقت بنبرة متجبرة: باسمي
سيدتك (الليف بنت الباسقة)، أمرك بحكم الملك أبي محرز الأحمر،
عد إلى سباتك وإلا فستلقى سخطي إثر عنادك!

تيس (عوج بن علق) وكان الوقت توقف تمامًا، قبل أن تصرخ
فيه (ليف) مرة أخرى: عد!

بدأ جسد العملاق بالانزلاق وكأن ثقبًا أسود تجلى في الخاتم وبدأ
بامتصاصه لداخله مرة أخرى، كان يصرخ معترضًا ولكن الخاتم
قام بسحبه لداخله مرة أخرى رويدًا رويدًا حتى اختفى على الأنظار
تمامًا ليعود كما كان، مخلقًا وراءه آثار صراع عاتٍ وضحايا.

سرعان ما هبط (غيث) بجانب الثلاثي متفقدًا حالهم ولكن شيئًا
ما كان مختلفًا، لم يعلم ماهيته لكن حالتهم بدت... متناسقة بشكل
غير معتاد.

سأل (غيث) مخاطبًا (أوس): ما الذي أتى بك إلى هنا؟

تقلص المستدئب حتى عاد لهيئته البشرية وأشار لشاة مذبوحة
كان قد جلبها معه، ولكنه ألقى بها جانبًا عندما رأى ما حصل:
ذهبت لأصطاد لكم، أعلم بأنكم لم تتمكنوا من الأكل في استضافتي،
وليس من شيمي رد ضيفٍ جائعًا.

تقدم (غيث) منه وتمسك بكتفيه ليهزه: (أوس)، أنت رائع! أقيم
استضافتك هذه ٥ نجوم!

نظر (أوس) بالشاب متعجبًا:.. لا أعلم ما يعنيه ذلك، ولكن
حسنًا؟

سرعان ما التفت (غيث) إلى (الليف): كيف تمكنت من فعل
ذلك؟ كيف علمت ما عليك فعله؟

حكى (الليف) خدعها وكأنها تتساءل هي الأخرى: كيف... في
الحقيقة لا أعلم؟ كان الأمر غريزيًا أكثر من أي شيء آخر.

نطق (أوس): ذلك لأنك عقدت الدم بي، فما اختبرته هو حاسة
بني قطرب الخاصة، غريزة موجودة في بني جنسنا منذ آلاف
السنين، تقوم بتعزيز جميع حواسك الموجودة بالفعل وتسمح لك

برؤية الأمور من منظور مختلف والإحساس بالكيانات المختلفة
والطاقات الأثيرية ككل.

تبادل (غيث) النظرات المتعجبة ما بينهم قبل أن يضيء مصباح في
عقله: عقداً الدم؟! وكيف كان ذلك ممكناً؟!

نطق (السعف): إنشاء العشيرة ليس بأمر مستحيل، ولكنه صعب
الاستمرار، فقوة العشيرة ككل تنبع من شدة سيدها، نسله، وعزيمته
الروحانية، فالعشيرة تُبنى على ذلك الأساس كالقلب النابض، وأما
باقي أفرادها من الخلان فكالأطراف المنبثقة من جسد واحد.

هز (أوس) كتفيه: (الليف) لديها المقدرة على ذلك، فأمها
(الباسقة) هي المثال الحي الوحيد القادر على لعب مثل هذا الدور.

تأمل (غيث) معالم شيخ بني قطرب متعجباً من تصرفه: أأنت
أنت من قال إن الخليل عبد؟

حك (أوس) رقبتة متفادياً النظر إليه: بلى، لكن (الليف) ذات
شأن خاص، وخشيتي من سخط والدتها أعظم من أن أتركها
تذهب دون حماية.

حدجه (غيث): وأنا و(السعف) لسنا قادرين بشكل كافٍ أم
ماذا؟

تَنهَد (أوس) بصوت عالٍ قبل أن ينطق: وما أَلُمُّ إن كان في سبيل
الحبيب وما تلك الندبات إلا تذكُّارٌ ومقامٌ للفخر، فلا هيام مثل
هيام العرب رغم شحه، كالصحاري إن استقبلت زخات المطر.

«هيام!؟»

علا صوت كلٍّ من (غيث) و(السعف) في استنفار، ولكن
(أوس) كان يحدق بهما بأعين بريئة وكأنه كان يتحدث عن أمر
طبيعي للغاية.

- «اصمتوا وحضروا الطعام قبل أن ينفد صبري، و(السعف)،
ادفن الفتاة وذئبها.»

هددت (الليف) بشكل مهيب ليخيم الصمت على المكان ويخنع
الثلاثة لأمرها دون تعليقات جانبية.

الخل الوفي

جلست الفتاة ذات الجديلتين على كرسي خشبي صغير في الهواء
الطلق، تشتم رائحة نسيم الصباح بينما قامت بحلب المعزة المائلة،
أمامها، متلوية بين كل حين وآخر، ولكن (هيلا) كانت قد تمكنت
من مهام الرعي بشكل جيد، فلم يساعدها أحد في العناية بالأرض
والماشية قط، فأختها (صيتة) كانت سيئة للغاية حتى كانت تبعد كل
المزروعات بشكلٍ ما، وتقوم بالعراك مع الماشية وكأنهم أشخاص،
كانت فقط تنسجم مع الذئبين (ميمنة) و(ميسرة) اللذين ربتها منذ
الصغر.

ومنذ طفولتها، كان الذئبان يعتنيان بـ (هيلا) وكأنهما امتداد
لأختها، يقومان بحمايتها ورعايتها، ويلازمان أختها دائماً ويترحلان
معها في مهماتها الغريبة، تلك المهمات التي نهتها عنها أختها نهياً تاماً،
كانت تخبرها بأن واجبها يكمن في اعتنائها بأمور أرضهم المتواضعة
وأن تترك الأمور الجدية لأختها الكبيرة، ففعلت.

كانت تستمع لبعض القصص هنا وهناك، وتجمع من العلم ما

تستطيع، ولكنها لم تترحل مع أختها أبدًا، ولكن غيابها قد طال
وذلك ما أقض مضجع الفتاة، ولكنها حاولت استجماع نفسها كما
اعتادت وأكملت في واجباتها، ذلك حتى رأت الذئبة تعرج عائدة
لمنزلها.

نهضت (هيلا) فورًا وهمت لتتفقد أحوال الذئبة وإصاباتهما،
ولكن أختها لم تكن في الأرجاء، لا هي ولا الذئب (ميمنة).

بدأت أفكار (هيلا) تضخ في رأسها بخوف جسيم مما حصل،
ولكنها ألقت نظرة واحدة على بطن الذئبة وأدركت أن الوقت
حان، فقامت بقيادتها برفق لداخل الخيمة وهيات لها مكانًا مريحًا
حتى تتمكن من ولادتها.

ظلت (هيلا) تحقق بالذئبة بصمت، ورغم أنها كانت تعلم
بعقلها المنطقي النتيجة الراجحة، إلا أن مشاعرهما لم تستطع تحمل
ذلك، فهي كانت مدركة بخطورة المهام التي أخذتها أختها على
نفسها حتى تتمكن من توفير معيشة كريمة لهما، وكانت تعلم بأن
عودة الذئبة وحدها بهذا الشكل تعني أمرًا واحدًا.

لقد فشلت أختها في مهمتها، ولم تع ما إن كان ذلك يكمن في
إصابتها بمكروه أو إن لقيت حتفها.

وبينما كانت مشدوهة الفكر وكأنها تحاول تفكيك الحقائق الواقعة أمامها، تسلفت أصوات خطوات جامحة على مسامعها، خطوات آتية من الخارج ومتوجهة لدخل خيمتها.

لم تتردد (هيلا) وسرعان ما تناولت السلاح الوحيد الذي علمت طريقة حمله، بندقية الصيد التي لم تستغفها (صيتة)، فهي كانت تُفضل الأسلحة البيضاء ذات المجال القريب، وعلى خلاف أختها، كانت (هيلا) قناصة ماهرة للغاية، فهي لم تضع هدفاً قط.

فاستقامت من موضعها وصوبت سلاحها تجاه مصدر الصوت منتظرة ظهور صاحب الخطوات، ولكن سرعان ما ظهرت هيئة مألوفة، كان (حاتم) يقف عند مدخل خيمتها بأعين مذعورة وما أن رأى السلاح المصوب تجاهه حتى رفع يديه للسماء مستسلماً.

نطق (حاتم) بقلق وإضح: ويحك يا (هيلا)! أتصوبين سلاحك غاي؟!؟

قالت (هيلا) بنبرة متهمكة لم يعهدها: لا أعلم، ألسنت أنت من أرسل أختي في مهمة انتحارية؟

صمت (حاتم) للحظات قبل أن يسأل بحيرة: (هيلا)، ماذا تقولين؟ لم أرَ أختك منذ آخر اجتماع للمطهرين.

حدقت (هيلا) باتجاهه: تتظاهر بالجهل؟ لئلا ما إن كانت رصاصتي ستقوم بإنعاش ذاكرتك.

لوح (حاتم) يديه مدعورًا: مهلاً، مهلاً، أنا فعلاً لم أرَ (صيتة) منذ فترة، والله على ما أقوله شهيد.

صمتت (هيلا) للحظة قبل أن تنطق وكأنها تحاول تدارك الموقف: إذا... من الذي قام بزيارتنا لإعطائها المهمة؟

كان (حاتم) يحاول ربط الأحداث في رأسه قبل أن يتطرق: ... (هيلا)، لا بد أنه متشكك، أحد السفليين أو قرنائهم.

أنزلت (هيلا) سلاحها بصدمة تامة: و(صيتة)؟

ورغم أن لثمة (حاتم) لم تظهر إلا عينيه إلا أن ذلك كان كافياً لتعلم (هيلا) إجابة سؤالها، فهوت إلى ركبتيها لتفقد سلاحها بينما انهمر الدمع الصاهد من محجريها.



تعالَت أصوات الصفحات المتقلبة بينما مرر (فراس) أنامله ما
بينها، وكأنه يبحث بنهم عن شيء ما ولكن لا يجده بينما كان متمقعدًا
وحده على بقعة عشبية بأعلى إحدى التلال الخضراء المظلة على
مزرعة عائلة (غيث).

كانت الشمس تبصق آخر ما تبقى من أشعتها لتسلم الدور
إلى القمر ليختلي وحده بالسماء، ولكن (فراس) كان يقوم بتعديل
نظاراته بينما قفزت أعينه من على السطور بسرعة فائقة، وكأنه يود
الوصول إلى المعلومة قبل أن ينجم الظلام عليه.

«الطفل المبدل»

وضع إصبعه موضع العنوان لينهمر بالقراءة.
«الطفل المبدل، وهو طفل من الجان الذي يتم استبداله بطفل
إنسي.

وتوجد هذه العادة منذ الأزل، وقد يقوم الوالدان الإنسيان
بتبديل طفلها عنوة إن كان يعاني من أمراض أو إعاقات جسدية
حتى يستصح.

عقد (فراس) حاجبيه محاولاً استجماع أفكاره.

منه إلا، فهذا ما يحدث مع (غيث) على الهاتف، كان يخبره بأنه يعتقد
أنه طفل مبدل، فإذا كانت نظريته تلك صحيحة، إذا فهذا الشخص
الذي يدعى... ..

هو الطفل الإنسي الأصلي!

وقد عاد لوالديه وعائلته الشرعية، وهو مصاب بإعاقة جسدية
منذ الصغر ولذا يدرّ عمل عكازاً، ولكنه الآن يتظاهر بأنه تعرض
بإصابة ناتجة حتى يفسر الأمر للعائلة ليقنع أهله بأنه (غيث) الذي
تربى في كنفهم منذ الصغر.

ظل عقل (غراس) يدور بجنون بينما ظل جسده ساكناً، إذا كان
هذا المزيف ما هو إلا الطفل الإنسي الذي تم التخلي عنه، فما الحق
الذي يتركه في بغضه أو محاولة اقتلاعه من هذا الدور الذي أقحم
فعله فيه؟

فموضعه الآن هو موضعه الأصلي الذي كان يجب أن يكون عليه
منذ الصغر، لم يكن من المفترض أن يتم تبديله، ولم يكن من المفترض
أن يحظى شخص آخر بمكانه وعائلته وفرصه.

ولكنه رغم كل تلك الحقائق التي جعلت العدل يقف في صف
هذا الشبيه، إلا أن (غراس) لم يستطع أن يستسيغه هو أو فكرة فقدان
صديقه الذي ترعرع معه.

«ضمت وهلة بينما كان يقلب تلك الأفكار برأسه، ولكن عقله
ممكن من الوصول إلى استنتاج واحد.

هو لم يهتم بالعدل، الحق والباطل، أو الصحيح والخاطئ.
فقد أراد استعادة صديق طفولته وكان على أتم الاستعداد لفعل
ما لا يخطر على البال من أجل الإطاحة بشبحه وتشريعته في موضعه
السابق مرة أخرى.

كان ذلك هو الشخص الذي اهتم لأمره، ولم يعن له هذا المفرغ،
رغم أحقيته، أي شيء كان.

«ما الذي تفعله هنا؟»

نادى صوت ألفه ولكن لم يفعل في الآن ذاته.

التفت (فراس) ليلقي بنظره على شبيهه (غيث) الذي وقف وراءه
متكئاً على عكازه.

أغلق (فراس) الكتاب بيده وتظاهر بالهدوء: أتمتع بالهواء العليل
الذي لا يجري في المدينة.

ثم صمت للحظة قبل أن يسأل: كيف تمكنت من الصبر
بإصابتك؟

هز الشبيه كتفيه: حظيت ببعض المساعدة.

أوماً (فراس) برأسه متظاهراً بالتصديق: آه، نعم، لا بد أن
صديقك الخفي قام بمعاونتك.

همهم الشبيه: يمكنك قول ذلك.

قال قبل أن يشق طريقه ليقف بجانب (فراس) الذي لم يستطع
القيام بالنظر إليه حتى وتحشب مكانه بأعين ملتصقة بالأفق مر
أمامه.

سأل الشبيه متنهداً: هل حقاً أرقك القلق علي لهذه الدرجة
حتى تتكبد على نفسك مشقة المجيء إلى هنا؟

ازدرد (فراس) لعبابه بصعوبة: بالطبع، هذا ما يفعل أي خل وفي

هربت ضحكة من بين شفتي الشبيه: ما هذه إلا معجزة
معجزات الغرب.

رد (فراس) بجفاف: لا بد أنني خارق للطبيعة إذاً.

علت صرصرة صراصير الليل لتعلن استيلاء القمر على السماء
نمت ظلام حالك، لا تضيئه إلا بعض المصابيح التي زينت منزلاً
شعبياً يقع على إحدى التلال الخضراء في صدر (حسوة).

وداخل ذلك المنزل، كانت الأصوات عالية، يختلف بها الرأي ما
بين مساء، وقلق.

كانت حشودٌ غفيرة من الناس تتحاشر ما بين تلك الجدران
الصخرية، وسط المكان وقعت مائدة متواضعة جلس حولها عدة
أشخاص بشاب مختلفة، وكأنها تمثل مناطق المملكة.

كان الهمس يجري بين الحشود، والطين الناتج عن تراحم
الكلمات بدا مدوياً.

وقف رجل من مقعده على الطاولة، كان رجلاً متوسط الطول،
قوي البنية، في منتصف العمر، ذا أعين مكحلة بالاثمد، ولحية
سوداء قصيرة يغزوها الشيب، يلف شماغه حول رأسه كالعمامة،
يرتدي ثوباً وحزاماً يحمل خنجراً أو كما يدعونه جنيبة.

وضع الرجل إصبعيه في فمه ليطلق صفيراً عالياً أصممت الجميع،
فاشرأت إليه الأعناق بينما وقف مكانه محمّحاً قبل أن ينطق: يا أهل
الخير، لنحظ ببعض الهدوء حتى نتمكن من الحديث بشكل حسن،

ما حصل لـ (صبيّة) وكما يعرفها الكثير بأم الذئبين، ليس بأمر سهل.
فـ (صبيّة) كانت إحدى أعضائنا القيمين وخسارتها تثير الرهبة في
بدن الجميع، ولا شك أن ما واجهته من خصم كان متجبراً طاغياً،
فغير ذلك لن يتمكن منها، ولكن إن تمكن منا الغيظ فقد خسرنا
بالفعل. لا بد أن نتمسك برشدنا حتى نتمكن من خطة محكمة تمكننا
من أخذ ثأرنا.

استقام شاب ممتعض الوجه في مؤخرة الغرفة: يا (أبا كوثر)، لا
تعظنا في موتانا فوالله إننا نكاد أن نفجر من البغضاء!
رد (أبو كوثر) عليه بوقار: الموت ما هو إلا إحدى نتائج أعمالنا
واعتقاداتنا، أم الذئبين توفيت بسبب إيمانها الشديد بهدف المطهرين،
وما ذلك إلا وسام فخر.

رد عليه الشاب بانفعال: أنترك صاحب هذا الفعل الشنيع كما هو
ليسرح ويمرح في أراضينا يغيث فيها فساداً!؟

هز (أبو كوثر) رأسه نفياً: ما قصدت بحديثي ذلك، بل على
خلاف ما تعتقد، فصدري يحترق غلاً! وما يدور في صدري وصدرك
ليس إلا طيفاً مما حل بمن كانت ترعاها، فكيف تتمكن أختها ذات
الستة عشر عاماً من إكمال حياتها بعد ما حل عليها من مصيبة!؟

عض الشاب على لسانه وطأ رأسه أرضاً عندما أدرك صحة كلام زعيمه.

ولكن موت أم الذئبين كان بمثابة غيمة سوداء خيمت فوق رؤوس المطهرين أجمعهم، فإن لقيت مطهرة بمستواها حتفها، فلن يسلم أحد منهم.

رفع رجل ملثم ذراعه في الهواء بينما وقف في زاوية أخرى من الغرفة، مستأذناً بالحديث، فسمح له (أبو كوثر): تحدث يا (حاتم).

خطا (حاتم) للأمام ليتحدث: يا (أبا كوثر)، ما حل علينا الآن من أسنيد وخلان ليسوا كما عهدناهم في الزمن الغابر، فهذه المستويات المفزعة من الطغيان ليست بأمر معتاد بتاتاً، فمن ينشر الرعب في أراضينا الآن ثنائي متعطش للدماء، سيد زوهري وجيل من شعب الحن والبن.

تعالى الشهيد في الأرجاء متبوعاً بالكثير من الهنسات التي كانت تنتشر كالأمواج بين الحشد.

ضرب (أبو كوثر) على المائدة ليعم الهدوء مرة أخرى: (حاتم)، أنت تعلم أنني أثق بعلمك، ولكن ما تهرطق به الآن لا يصدقه الإنسان!

رد (حاتم) بجدية: بل حقيقة، وجماعة السفليين الملعونين
تستهدف رأسه بسبب طبيعته الزوهرية، والله على ما أقوله شهيد.

صمت (أبو كوثر) وكأنه يقوم بوزن الأمر في رأسه: وهل هو هذا
الزوهرى من قام بقتل أم الذئبين؟

هز (حاتم) رأسه نفياً وأردف: بل رفيقة له، سيدة من نسل قوي.
عقد (أبو كوثر) حاجبيه: ذات نسل قوي؟ لا يوجد في الوادي
إلا (أم السعف والليف).

رد (حاتم) مؤكداً: بل هما (السعف) و(الليف).

عادت الأنفاس تتصاعد بينما قفزت الهمسات من جهة لأخرى،
فضرب (أبو كوثر) المائدة مرة أخرى: أجننت؟! (أم السعف
والليف) تعهدت لنا بالسلام وعدم التعرض كَمَا فعلنا نحن لها!

طأطأ (حاتم) رأسه: لقد نقضت المعاهدة، فأم الذئبين حاولت
تطهير (السعف) من (الليف)، لم تكن على علم بهويتها.

قيد (أبو كوثر) جبينه بيديه من هول المصيبة التي أثقلت عليه:
ويحك! أحقُّ ما تقول؟!

أوماً (حاتم) برأسه ليؤكد مخاوف رئيسهم ليأخذ (أبو كوثر)
نفساً عميقاً وكأنه يحاول تهدئة أعصابه، وبينما كان على ذلك الحال

لغة السفليين المسموعة
على ما أقوله شبيبة

بها رأسه: وهل هو من

سيدة من نسل قوري
لا يوجد في الرواية

١٠.

من جهة أخرى

١١. (أم السعف

علنا نحن لها!

الذين حاولت

بتهما.

ب أثقلت عليه:

ن (أبو كوثر)

ذلك الحال

تخنت امرأة ما قبل أن تتحدث: إذا سمحت لي يا (أبا كوثر)،
نغم طبيعة (أم السعف والليف) المخالفة للطبيعة، فأنا امرأة تملك
من الحكمة ما يساوي الاسم! فإن حدثناها بما لدينا فقد نجد حلاً
بنيها ويرضينا.

نطق (أبو كوثر): يا (طرفة)، صدق من قال بأن لك من اسمك
شيئاً. أنحادث أمّا بمحاولة اغتيال ابنتها ونلومها على مآث
الغدي؟ بأي حق نحادثها؟

صمت (طرفة) غير قادرة على الرد قبل أن تنهض فتاة ما ترتدي
رداءً يغطي رأسها طامساً ملامحها: ماذا إذا؟ لا نأخذ بثأرنا؟

التفت (أبو كوثر) إليها: يا آنسة، نحن من أخل بوعدنا، ما الثأر
الذي تودين أخذه؟

نزع (هبل) القلنسوة من على رأسها لتظهر هويتها: يا خزياء!
أترعينا أي أردأ منكم! أهذا اتهاؤكم الذين تتحدثون عنه؟ ترقد
أنفي بغير مجهول الأرض وأنتم من كان بظهرها، ولا تقوون على
الحراك؟

حاول (أبو كوثر) تهدئتها: يا بنيتي، أنت لا تعلمين ما عواقب
حركتنا، وللأسف من وقع عليه الخطأ ليس إلا نحن.

أعلنت (هيلا) بصوت عالٍ: أنا (هيلا) أخت أم الذئبين، لن
يرتاح لي طرف ما دمت واقفة هنا مكبلة اليدين. لتشل أجسادكم
جميعاً، سأخذ ثأري بيدي!

صرخت في الأرجاء كصيحة حرب يائسة قبل أن تلتف على
قدمها لتخرج من المكان بخطوات غاضبة، وعلى أثرها جرى
(حاتم) من ورائها.



@ART_OF_BOOK

قلعة رأس المرتضي العالي

«لا أرى شيئاً!»

صاح (غيث) متذمراً عندما وصلوا لموقع قلعة رأس المرتضي العالي في ظلمات الليالي، فلم يجد أمامه إلا بعض النجوم التي زينت الأفق تعلي تلاً معشياً، فهمها حاول النظر فهو لم يكن قادراً على إحصاء شيء، بخلاف (الليف) التي وقفت تعين المكان، فرغم أن شريكها لم يكن قادراً على إحصاء المبنى الواقع أمامهم إلا أنها وبفضل ارتباطها الجديد مع شيخ بني قطرب كانت الأمور ظاهرة للعيان. أجالت بنظرها لتبادل النظرات مع خليلها الجديد، الذي أوماً برأسه مؤكداً صحة ما رأت.

وما وقف أمامها كانت قلعة صخرية بديعة، بأبراج سامقة من جميع الجهات، مزدانة بالفوانيس المضاءة المنقوشة بطلاسم غريبة، غالباً نقوش إخفاء ولكنها لم تفلح تحت أعين القطرب الثاقبة.

لوحث (الليف) لـ (غيث): اتبعني فحسب.

تعجب (غيث) ولكنه لم يشك في أمرها ونفذ ما طلبت منه،

ولكن (أوس) رفع ذراعه أمام سيدته مشيراً لها بالبقاء خلفه
ليكون هو في أمام المدفع، ففعلت، لتقف ما بين (أوس) من أمامها
و(السعف) من خلفها، و(غيث) و(تولبا) من ورائهم.

تقدم (أوس) وطرق على الباب الحديدي الضخم وثبت مكانه
لعدة لحظات منتظراً ردّاً، ولكنه لم يحصل عليه، لم يصبر ورفع يده
مرة أخرى لطرق الباب ولكن اهتزاز الأرض الناتج عن فتح
البوابات استوقفه.

بدأت دفقا الباب بالافتراق لتكشفاً جزءاً بسيطاً ممّا وراءه من
ساحة خضراء، مليئة بجميع أنواع الأزهار والنباتات غير المعتادة
على المنطقة، ومن بين ذلك الفراغ ما بين باب وآخر، ظهر من العدم
رجلٌ كبير السن، ذو رأس أصلع ولحية بيضاء طويلة، كان يرتدي
ثوباً مغربياً أخضر اللون ذا قلنسوة ترتاح على كتفيه، اتكأ على عكاز
خشبي بيد، ويده الأخرى حمل فانوساً منقوشاً مثل إخوته.

وقف الرجل مكانه متفحصاً إياهم قبل أن ينطق: (السعف)،
(الليف)، وشيخ بني قطرب، بالإضافة للزوهري وخليله، طال
انتظاري لكم، هيا تفضلوا.

تبادلت المجموعة النظرات التي ظهرت عليها بوادر الارتياب
ولكن (أوس) أشار لهم بأن المحيط آمن، فاتبعوا خطاه للدخول
ليقفوا وسط ساحة بديعة من الخضار، محاطة بما بدا كأروقة كثرت
على جدرانها الأبواب المنقوشة، بعضها بطلاسم غريبة، والأخرى
بأحرف عربية بدت موزعة بشكل عشوائي.

تأمل (غيث) في انبهار تام مما رأى، لدرجة أنه كاد أن يتيه عن
المجموعة عدة مرات بينما شقوا طريقهم خلال الدهاليز الممتدة،
التي بدت كمتاهة لمن لم يعهدها، حتى وصلوا لغرفة عالية السقف،
تضيئها بعض الشموع بدفء خافت، وتتوسطها مائدة طويلة
ازدانت بكل ما لذ وطاب من الأطعمة، المشروبات، وبعض الأواني
الطينية التي أخفت ما يباطنها.

أشار لهم الرجل العجوز بالجلوس: أتيتم في وقت مناسب، لقد
مضت مدة طويلة منذ أن تناولت الطعام برفقة أحدهم.

أخذ العجوز خطوات بطيئة حتى وصل لكرسيه ليتمتع على
رأس الطاولة، وتعجب عندما وجد المجموعة لا تزال متييسة
مكانها بصمت دون حراك قبل أن ينطق (أوس) بدون تردد: المعذرة
يا جدي، ولكن من أنت؟

ضربت (الليف) كتف شيخ قطرب مستنفرة أسلوبه ونبرته مع كبار السن، ولكن لم يبدُ كأن العجوز كان يمانع ذلك.

توسعت حدقتا العجوز عندما أدرك: أين ذهبت آدابي؟ المَعْدَرَة يا بني، لا أستضيف الضيوف بالعادة. أنا (تليلان)، أخدم الملك الأخضر (شمهروش). علمت عن أمركم منذ وهلة وتوقعت مجيئكم لطلب المشورة أو الملجأ. أرجوكم، تفضلوا، يمكننا الحديث على المائدة.

هز (أوس) كتفيه واتجه ليجلس على يد الشيخ اليسرى، ما بين (الليف) التي تمقعدت بجانب شيخ قطرب، أما (غيث) فجلس على يد الشيخ (تليلان) اليمنى مقابلاً (أوس) على المائدة، أما (تولبا) و(سغف) فرفضوا الجلوس وظلوا واقفين كالسهام المشدودة التي تنتظر إشارة للدفاع عن أسيادها، ولكن الشيخ (تليلان) لم يصبر عليهما، فهو كان متفهماً لإحساس المسؤولية الدائم الذي يجري في عروق الخليل لسيدته، وخاصة الخليل الأول.

لوح الشيخ (تليلان) بيده لتطفو أغطية الأواني الطينية في الهواء لتكشف عن كوم من العظام: عليكم بالصحة.

كان (غيث) فاغراً فاهه يشاهد ذلك المنظر، فسرعان ما تمكن منه الفضول وسأل: وكيف لك ذلك يا شيخ؟

حدق الشيخ (تليان) بالشباب متعجباً من انبهاره: هذه إحدى
ظواهر الطاقة الباراسيكولوجية، التحريك الذهني، وغيرها الكثير
من الأنواع.

سأل (غيث) بلهفة: أنواع؟ مثل ماذا!!؟

همهم الشيخ مفكراً ثم قال: مثل سليفة اليمامة التي مررتم عليها،
فهي تملك قدرة البصر، قدرة رؤية الشيء رغم ابتعاده عن مجال
الرؤية.

توسعت حدقتا (الليف) بتعجب: إذا (زرقاء اليمامة) كانت
تمتلك العلم القديم؟!!

أوماً الشيخ (تليان) برأسه: هذا صحيح.

سألت (الليف): وهل الأمر محصور على نسلهم فقط؟

نفي الشيخ (تليان): من الممكن أن تكون القدرات متوارثة
بسهولة، نعم، ولكن من الممكن تعلمها أيضاً، بناءً على قدرات كل
شخص وآخر بالطبع.

كاد (غيث) أن يقفز من الحماس: حقاً؟! تعني أنني أستطيع

تحريك الجمادات بذهني إن تعلمت؟!!

رد الشيخ (تليان): نعم، إن أتقنت المهارة وتمكنت من إدراك النفس، فلم لا؟

ارتسمت ابتسامة عريضة على معالم (غيث) لينظر إلى (الليف) وكأنه يتحقق من سماعها لما قال الشيخ له، وعندما رآها كانت تفيض بالحماس مثله لتسأل: وهل سأتمكن أنا يا شيخ؟

همهم الشيخ: بالعادة، تختلف طبيعة قدرات البشر من شخص لآخر، فكل روح تنجذب لمهارة معينة وقد تتمكن من إدراك واحدة ولا تتدارك أخوتها، فكل ذلك يعتمد على طاقة النفس، ولكنني لم أتول أمر زوهري ولا ذات نسل من قبل، فأنشأ للعين الثالثة مشعان للغاية، وقد يكون ذلك نعمة ونقمة.

سأل (غيث): العين الثالثة، تعني الإبصار الروحي؟

أوماً الشيخ (تليان) برأسه موافقاً: نعم، وكون ضيائكما وهاجاً بهذا الشكل نعمة لأنكما تمتلكان مقدرة تفوق التوقعات، ونقمة لأن هذا النور يجذب كل الكيانات الصالح والطالح، في حالة الشاب يطمعون في دم الزوهري، وفي حالة الأنسة يطمعون في طاقة الحياة.

أمال (غيث) رأسه متسائلاً: طاقة الحياة؟

سكت الشيخ بينما أخذ قبضة وديعة من طعامه، وكأنها كان يتدرب على آداب المائدة طول حياته، قبل أن يجيب: النساء بشكل

عامٍ يملك ترداد أعلى من الذكور، لذلك دائماً ما يمتلك
حساً خفياً قوياً وغالباً مصيباً، فالمرأة تحمل في باطنها بوابة للحياة
والتجسد، تنجذب إليها الكيانات ويألفونها ويتوددون إليها، لذلك
غالباً من يرأس العشيرة سيدة، وسيدة ذات نسل قوي مثل الأنسة
هنا محط أنظار إن صح التعبير.

قضم (أوس) عظمة كبيرة ليفرق صوت انقسامها في الأرجاء:
وأنا أشهد!

فتيقه الشيخ (تليان) من ذلك الرد: سمعتك تظلمك يا شيخ
تضرب، فما أسمع عنك إلا ما قسا من الأمور.

لم يحل (أوس) نظره عن وليمته ولكنه رد ما بين قضائته: ليست
بظالمة، ولكنني منذ أن التقيت بالآنسة غدوت مرهف الإحساس.

ابتسم الشيخ (تليان): وخير الخليل من تطبع بطبع الحبيب.

تجاهلت (الليف) موضوعها ودخلت في لب الموضوع: يا شيخ،
علي مصارحتك، فنحن مطاردون من مطهرين وسفليين، وغيرهم
مما نجهله، ولا علم لنا بطريق التخلص من تلك الشرور، ولكن
إن وددت طلبك في علم ما فطلبي أن تدل الزوهري على طريق
الوصال بينه وبين خليله.

همهم الشيخ بينما مرر أصابعه خلال لحيته وتأمل في الزوهرى
وخليله: ليسا بحاجة لعونى، فرباطهما وثيق بالفعل، رغم وجود
بعض الثغرات التي يمكننا تحسينها.

رمش (غيث) عدة مرات وكأنه صُدم من فِراسة الرجل، ولكنه
كان محققاً، رغم أن (غيث) لم يستطع الاعتراف لنفسه بصريح
العِبارة، إلا أنه قد تقبل وجود (تولبا) معه وله، كامتداد طرف،
طبيعى وحركته غريزية كردة فعل مجردة من أي نوايا خفية.

توسعت حدقتا (الليف) في تعجب، ولكن (غيث) أكد شكوكها:
أنت محق يا شيخ، فقلبي لان عليه عندما ألقى بنفسه في التهلكة من
أجل إنقاذي أنا، من ينكر وجوده. لم أستطع رفضه بعد ما نرف من
أجلي، ولكن يا شيخ لدي قلق من نوع آخر، ألا وهو أنه لا يزال
طفلاً صغيراً، لا يعي الحديث أو المنطق.

أوماً الشيخ برأسه: نعم، هذا أمر متعب بالفعل، ولكن نمو
الخليل يعتمد على سيده، فارعه وأحسن له، وما أن تنتهي من
دروسك هنا سيتم ذلك التأثير لخليلك.

تعالَت الأصوات المستاءة في ذلك المكان الموحش الذي لم تَضئه
إلا بعض الشمعات الموزعة بالأرجاء، وحول تلك الطاولة الدائرية
جلست مجموعة من السفليين يكادون أن يتدافعوا، ينهمرون
بالأسئلة على الشاب الأشقر الذي جلس على أحد المقاعد بحالة
يرثى لها، كدمات تغطي جسده، وأعينه مرهقة بهالات داكنة وكأنه
لم يتذوق طعم النوم منذ وهلة.

«وماذا إذا؟ أتقول بأنه سمح لك بالرحيل بعد ما كاد شيخ بني
قطرب أن ينهي أمرك!؟»
سأل أحد السفليين بصوت غليظ مستنكراً الحادثة.

أوماً (أدريان) برأسه بثقل: ذلك ما حصل.
تدخل سفلي آخر بصوت متحرج: وماذا إذا؟ ألن تقوم
باللحاق به؟

نظر (أدريان) إلى تلك المجموعة من السفليين، وإلى تلك
الظلمات التي سترت معالمهم، وبدأت عيناه تجولان في جدران ذلك
المكان البائس الذي كانوا به، وبدأ رأسه يعصف به.

لم كان هنا؟

لم قبل بهذا العرض؟

ما الذي أجبره على حياة كتلك؟

ولماذا ينجح لأوامر هؤلاء؟

أطلق (أدريان) تنهيدة متحسرة ونطق: ... أنا لا أريد فعل هذا
بعد اليوم.

سأل أحد السفليين بيغض: ماذا قلت؟

ولكن رد (أدريان) أتاهم على شكل صرة مال ثقيلة ألقاها
أمامهم على الطاولة قبل أن ينهض قائلاً: سأبقي على الأخرى،
بسبب إصابات العمل.

صرخ سفلي ثالث: أين تظن نفسك ذاهباً؟! عليك إكمال ما
بدأته!

رفع (أدريان) عينيه وكأنه ثاقب حفرة في رأس الرجل: أظن
أنني لن أمسك لأنك بين أقرانك؟ حاذر ما تقوله فأنا لست بعد
مأمور.

أصر الرجل بينما كان الغضب يملكه شيئاً فشيئاً: أنت خير من
بلم بأنك ما أن تدخل من هذا الباب، فخرجك استحالة!

توسعت حدقتا (أدريان) بغيظ قاتل: لقد سئمت منكم ومن
نوابينكم، سأفعل ما أشاء، وإن جرؤتم وتدخلتم في أمر ذلك
الصبي مرة أخرى فلأنزلن عليكم سخطاً لن تنسوه، ولن أمانع
الموت حينها.

صمت الثلاثي من السفليين متأملين جدية الرجل قبل أن يستدير
ليقابلهم ظهره بينما هم بشق طريقه خارجاً، وقبل أن يعترضوا
رجدوا ظلاً فارغاً، يتدثر بالسواد، ومن تحت خمارها الشفاف
ظهرت أعينها المتوهجة وابتسامتها المريبة التي كادت أن تمتد من
أذن لأذنها الأخرى، فتنبس السفليون غير قادرين على الحراك بسبب
فدرات (أم الدويس)، لتطفو بعيداً شيئاً فشيئاً حتى كان سيدها
بالخارج في مرمى الأمان.

ما أن دفع (أدريان) دفتي الباب حتى لامس وجهه ضوء الشمس
الدافئ، فرفع رأسه للسماء مستنشقاً نفساً عميقاً من حرية جديدة،
رغم أنه لطالما ظن أنه يمتلكها، إلا أنه لم يتذوق حلاوتها حتى تلك
اللحظة.

مضى الرجل الأشقر في طريقه بينما طفت بجانبه خيلته، تخاطبه
بقلق يتوارى خلف كلماتها: (أدريان)، ألا تظن أنك تسرعت في قرارك؟
لم تفارق أعين (أدريان) الأفق: بل وجب علي الخلاص منذ أمدٍ
طويل، ولكنني جعلت الطمع يتغلب علي.

ردت (أم الدويس): ولكن هذا الزوهرى، أيستحق من مثله
حياتك؟

رد (أدريان) بلا تردد: أوليس هو من توسط لنا وأنجانا بما فعلنا
بأنفسنا؟ نحن ندين له بحياتنا.

همهمت (أم الدويس): ذلك صحيح، ولكنني أخشى أن يمسك
الضرر من هؤلاء الطغاة.

توقف (أدريان) عن المشي والتفت لها: يا (دويس)، ألم نتعهد على
المضي في الطرق معاً؟ مهما كانت وعرة؟

أومأت (أم الدويس) برأسها: ذلك فعلنا.

سأل (أدريان) بجدية: أتموتين من أجلي؟

ارتسمت ابتسامة عذوف على معالمها: بل أحيًا من أجلك.

كان الهدوء يعم ذلك المنزل الشعبي، الذي رغم الأضرار التي
انهمرت عليه، إلا أنه كان قد عاد متجدداً كما لم يكن.

كانت صاحبة المنزل ذات العيون الزرقاء الثاقبة تجلس في غرفة
المعيشة متمقعة على إحدى الوسائد، تضم ركبتيها لصدرها بينما
استمعت لقزم رمادي من أمامها، كان يتحدث بصوت رفيع
وبكلمات غير مفهومة للمستمع، بينما لوح بيده في الهواء بحركات
مبالغ بها وكأنها يشرح لها حدثاً ما.

أومأت (فضة) برأسها مظهرة تفهمها: وماذا بعد؟

قام بالحديث مرة أخرى بلغة غريبة، ويتحرك بطريقة أغرب.

تنهدت (فضة): حسناً، إذا.

قاطع هذه المحادثة صوت طرق على الباب، طرق جذب انتباه
خليلة الفتاة لتخرج (بهنس) من حيث كانت لتقف وراء الباب
لتشكل هيئة امرأة كبيرة في السن تغطي وجهها بخمارها، ودفعت
بنفس الباب لتفترق دفتاه وما أن رأت ذلك الرجل أمامها حتى
موت لركبتيها.

وبينما كانوا على ذلك الحال، قامت (بهنس) من مكانها وعادت
بذبيبتها الأصلية لتجلس بجانب سيدتها، ليخاطبها الأمير (محرز):
يَفِّ حالك يا (بهنس)؟ أتنعمين بالنعيم مع سيدتك؟

حنت (بهنس) رأسها: خدمة السيدة شرف لي، مولاي.
همهم الأمير (محرز) وخاطب الفتاة: إذا؟ ما الذي حدث
بالضبط؟

سأل الأمير لتبدأ (فضة) تقص عليه تفاصيل ما حل عليهم بينما
التزم هو بالصمت وأنصت بتمعن، وما أن انتهت من رواية ما حل
عليهم حتى سأل: يجرؤون على التعدي عليك وأنت تحت حمايتنا؟!
لا بد أن رأسك ورأس الزوهري أغلى من أمنهم.

هزت (فضة) كتفيها: لا علم لي بما ينوون، ولكن إن أقدموا على
خطوة جريئة كتلك فلا شك بأن هناك أمراً أكثر خطورة يودون
الإقدام عليه.

وضحت الحيرة على الأمير (محرز): صدقت، وأين يقع هذا
الزوهري الآن؟

أجابت (فضة): مما فهمته من هذا الصغير، فهو في كنف الشيخ
(تليلان) في الوقت الحالي.

عقد الأمير (محرز) حاجبيه: خادماً الملك (شمهروش)؟ وما
الذي ذهب به إلى هناك؟

ردت (فضة): يطلب العلم، فعقد دمه مع خليله وضحت عليه
المصاعب، لعله أراد تحسين أموره.

أوماً الأمير (محرز) برأسه: وجب علينا شكره.

أمالت (فضة) رأسها: وما هي أخبار مولاي الملك الأحمر؟

أطلق الأمير (محرز) تنهيدة متحسرة: غضب غضباً شديداً حتى
اشتعل رأسه، أراد أن يبيد الزوهرى ومن معه لأنهم سبب وصول
السفليين لك، وأراد بعدها أن يسفك دماءهم هم أيضاً بسبب
جرأتهم، ومن ثم أراد لعن الأجنبي الذي عاون السفليين في أمرهم،
فنهيته عن الأمر وتحدثت معه وهدأت من روعه وتمكنت بأعجوبة
من إقناعه بإرسالى أنا عوضاً عن قيام هذه المجزرة.

ابتسمت (فضة): أحسنت.

تمكن الفضول من الأمير (محرز) بينما جلس، فسأل: ما الذي
جعلك تفتحين الحجاب الحاجز؟

ردت (فضة) بلطف: لم أستطع رد (السعف) و(الليف).

همهم الأمير (محرز): لا ألومك، فالإساءة لهما تعني الإساءة
لأُمِّهم سيدة في الوادي.

أومأت (فضة): لا خلاف على ذلك، ولكن (الباسقة) قبل أن
تُعرف ببأسها، عرفت بحنكتها وفقه لسانها الذي أورثته لابنتها،
ولا أخفي عليك، إن كان هناك أمر واحد لم توفِّ الشائعات حقه
في جمال الفتاة، فهي بديعة يا مولاي.

هز الأمير (محرز): لا بد أنها أخذت الأمر من والدتها، فلو لم
تجتمع في (الباسقة) صفات الكمال تلك، لما استطاعت أن تأخذ أبا
ابنتها.



@ART_OF_BOOK

ولكن فضوله لم يكن يشبع رغم كل ذلك، كان السؤال الذي دار في باله دائماً منذ صغره ملازمًا له حتى الآن:

«من أنا؟»

تغيرت حياته رأسًا عن عقب عندما أخبره أحد أتباعه بأن بديلاً له كان يعيش حياته، وبأن الجان قاموا بتبديله منذ الصغر بطفل من بني قومهم، فحال حاله هنا بينما كان بديله يعيش في جنات النعيم عوضاً عنه.

ومنذ ذلك اليوم، قام (غاوي) بكل شيء في استطاعته حتى يتمكن من استعادة ما كان له، حقه الشرعي.

فبدأ يحاول التسلط على بديله، فيرسل له من يضايقه ويؤذيه من بني الجان، ويقوم بتعريضه لأمر غير طبيعية، أي شيء يمكنه من أذيته وتشويه صورته المثالية أمام العائلة التي سرقها منه، حتى أتى اليوم الذي استسلم فيه (غيث) لبرائن فخاخه، فقام بطقوس الاستدعاء.

لم يصدق (غاوي) تلك الفرصة التي كشفت عن نفسها أمامه، ولكنه قبل أن يتمكن من فعل شيء، ظهر كيان غريب وغير مألوف في الصورة، كيان كان يجب أن يكون منقرضاً عن الأرض من قبل نزول بني آدم، فرد من قوم الحن والبن.

مر الوقت حتى أتى يوم حمل بجعبته ما لم يكن في الحسبان، فتم استدعاء ذلك الفتى الأعرج من قبل سيدة القصر، ملكة من ملوك الجان تدعى بـ (فاتنة)، ولكنها لم يكن لها من اسمها نصيب، فكانت شديدة البشاعة، شديدة التسلط، وفظة اللسان.

كان أمر الأعرج مثيراً لاهتمامها، ولما حضر لها أعجبت به وبمظهره وفطنته، فأمرته بالزواج بها.

لم يملك الأعرج خياراً، ولكنه تمكن من التملص حولها ليشترط عليها شيئاً واحداً فقط، أن تجعله شريكاً لها بالحكم في مملكتها الصغيرة.

لم تردد الملكة ووافقت فوراً حتى تتمكن من الزواج منه، فتم الأمر كما أراد.

أصبح الأعرج شريكاً في حكم الملكة (فاتنة) التي لم تفقه في أمور الحكم شيئاً، فكان دائماً ما يقوم بزرع أفكار معينة في رأسها بأسلوبه المتداعي، فتعتقد في نهاية اليوم أنها أفكارها هي، فتنفذها.

كانت تلك الفترة من أفضل الفترات التي مرت فيها الملكة بسبب حكمة الأعرج الذي على مر السنين لقبه الشعب بـ (غاوي) لأنه تمكن من إغواء الملكة.

وهكذا مرت السنوات، وفي كل ليلة كان (غاوي) ينتظر الملكة حتى تغط في نومها ليتجه هو لمكتبة القصر ليتمكن من جمع أكبر قدر يمكن من العلم من شدة ولعه، فهو كان يؤمن بأنه حتى وإن كانت حالته الجسدية تعيقه، إن تمكن من شحذ عقله بشكل كافٍ فيمكنه إعادة التوازن لنفسه، وخلال إبحاره بين أمواج العلم المتلاطمة، سقطت أعينه على مخطوطة ما، مخطوطة لم يكن يجب أن تكون ملقاة هكذا في وضوح النهار إلا أن استهتار الملكة كان غالباً السبب وراء ذلك.

وضع (غاوي) المخطوطة على الأرض، بين عدة شموع، قبل أن يرح يده لتتقط دماً ما أن تشربه الورق حتى أجدي مفعوله، فبين جميع الكينونات تمكن ذلك الأعرج من استدعاء أكثر المخلوقات رعباً، الأفعى التي كادت أن تبتلع الكون، (الفلك).

لم يحتج الأعرج لأكثر من تلك القوة العارمة بجانبه، فقتل الملكة وأخذ حكمها ومملكته ولم يضطر إلى إرهاب نفسه في إقناع شعبها لأنهم لم يرغبوا بها من الأصل.

لم يتوقف (غاوي) عن طلب العلم، حتى أصبح له أتباع يعظمونه، فذلك الذي تمكن من (الفلك) تمكن من الكون.

حاول (غاوي) التمكن من (غيث) بعدها ولكن في كل مرة
يحاول فيها يظهر ذلك المخلوق التتن الذي هز كل مخططاته، ولم تكن
طبيعته مثل ما اعتاد (غاوي)، فلم يستطع الوصول إليه وإغواءه
بنائاً.

ولكن اللعبة كانت قد بدأت للتو، فظل (غاوي) منتظراً في
الظلمات حتى عاد (غيث) بنفسه لأرضه، وحينها قام بشتى
المحاولات لاغتياله، ولكن ذلك اللعين كان أعند مما تصور، لم لم
يمكنه التدحرج والموت فحسب؟

لم لم يخف من الوجود حتى يتمكن (غاوي) من العودة إلى حيث
كان يتمي؟

كانت أفكار (غاوي) المتخبطة تضخ بقسوة في صدوع رأسه بينما
جلس متأملاً، ورغم أن أصوات مخلوقات الليل تصدح بالعادة
في تلك المزرعة، إلا أن وجود ذلك الشاب ذي الحضور المهيّب
كان كفيلاً بنفور جميع أشكال الحياة من تلك المنطقة، فكان ذلك
الشبيه يتمقعد على بقعة معشوشبة على تلك التلة نفسها التي سبق
وأن جلس عليها بجانب (فراس) يحرق في الأفق وكأنها يتأمل قطع

حياته الجديدة التي كان يجب أن يحظى بها منذ الصغر، لولا ذلك التدخل الذي طرأ من جدته قبل سنين طوال.

كل ذلك الوقت والجهد حتى يتمكن من العودة لمكانه المكتوب، كاد لا يصدق أنه استطاع الوصول لأهله، العائق الوحيد كان ذلك المبدل الذي أخذ مكانه بين عائلته، فوجب عليه التخلص منه بأي طريقة حتى لا يعود مطالباً بالرجوع لما اعتاده، ولكنه مهما حاول لم يفلح.

وبينما كان سارحاً تمكن همسٌ ما من أذنه:

- «سيدي».

همس رجل ما متدثرٌ بالسواد بهدوء شديد، وكأنه يخشى تعكير صفو الشاب.

لم يحل الشاب بنظره عن الأفق من أمامه ورد بجمود: ألم أخبرك بالأمرين وجهك قبل أن تتخلص من ذلك المبدل؟

طأ طأ الرجل رأسه خائفاً ذلك فعلت، ولكن صائد الرؤوس لم يفلح، والمطهرة كذلك، والآن فقد قام الزوهري باتخاذ ملجأ في

زادة رأس المرتضي العالي في كنف الشيخ (تليان)، ولن تتمكن من
انزاق حصن السيد (شمهروش) المنيع.

تنهد (غاوي) بضيق: وهل يقبّع حلٌّ ما وراء أعذارك الواهنة؟
نطق السفلي بتوتر ظاهر على نبرته: ن - نعم، هناك. فنخطط
الواقية السفليين لاقتناص الفرصة ما أن يخرج من القلعة ويعود
لأراضينا، فلن يتمكن من المكوث داخلها للأبد.

سأل (غاوي): وإن قام الشيخ (تليان) بتعليمه عن العلوم
القديمية؟ لأصبح ندًا صعبًا لكم، خاصة بسبب طبيعته الزوهرية.
حاول السفلي تدارك الموضوع: لا داعي للقلق سيدي، دع الأمر
لنا وعد لمكانك المرسوم.

قال (غاوي) بلا تردد: أنت تعلم ما ينتظرك إن لم تتمكن من إنهاء
الأمر، وعلى ذلك قم بما تشاء.

ازدرد السفلي لعبه بصعوبة: لن يحصل إلا ما يرضيك سيدي.
قام (غاوي) بالتلويح بيده مشيرًا للرجل بالرحيل، ورغم أنه
لنظر ذلك الأمر على أحر من جمر، إلا أن الطاقة الخبيثة التي بعثها
ذلك الخليل كانت كفيلة بالإطاحة بأشد المخلوقات، وكأن السيد

المتمكن من العلم القديم وحده لا يكفي، فخليلته التي وقفت وراءه، أو بالأصح، التفت حوله، كانت نذير شؤم واضح لكل من قرر عداوته، تلك الأفعى الخبيثة التي أشعت وكأنها تحبئ الحمم البركانية تحت حراشفها، كانت تلف بذيلها على سيدها المتمقعد، أما رأسها العملاق الذي كان منزلًا لأربع من الأعين التي أطلقت شرارًا بمجرد النظر إليها فكان يطفو كاشراً عن أنيابها بعلو أمتار عديدة، وكأن الفارق ما بين السيد و خليلته مقدار مبنئ.

نادى (غاوي) أمراً: اهدئي يا (فلك).

انصاعت الأفعى لأمر سيدها فوراً وهبطت برأسها على مقربة منه ليربت هو على حراشفها التي بدت للعين وكأنها مشتعلة، ولكنها لم تجرؤ على لسع سيدها.

مرت عدة أسابيع قضاها (غيث) برفقة (الليف) في قلعة رأس المرتضي العالي، يقومان بطلب العلم تحت يد الشيخ (تليان) الذي قام بأخذ دوره بشكل جدي ولكن تمتع في الآن ذاته، فكان شغوفاً، مولعاً بالعلوم بأنواعها، فكان يقوم بإعطائهما كل ما استطاع وبروح نضرة، ولكنه رفض تماماً التغيب عن دروسه وكان قاسياً من تلك

الناحية لا يقبل الأعذار بتاتاً، وكأنه يدفع كليهما حتى يصل إلى
حزهما.

كانت القلعة لا تخلو من الكيانات الأخرى، فبالإضافة إلى
الشيخ (تليلان) كان سكان القلعة العديد من الأرواح المختلفة
التي خدمت الغاية نفسها والسيد نفسه، الملك (شمهروش)، فلم
يكن غريباً أن يصطدما بجني أو اثنين خلال بقائهما في ذلك المكان،
وحتى أن (السعف) و(أوس) كانا يقومون بالحديث وأخذ العلم
من أقرانها من الكيانات، ولكن (تولبا) في الجهة الأخرى كان
يرفض رفضاً تاماً الاختلاط مع أي روح كانت، فمهمته الوحيدة
كانت البقاء بجانب سيده وحراسته على مدار الساعة، غير أنه بأي
شيء آخر، فبقي على مقربة دائمة من (غيث) بينما تلقى العلم وظل
كما هو.

وفي إحدى الليالي، كانت (الليف) تتقلب في فراشها عاجزة عن
النوم تماماً، لم تعلم عن السبب ولكنها ظنت أنها إن أطلقت رجلها
لبرهة قد يتمكن منها النعاس، ففعلت.

خرجت (الليف) من مضجعها في جنح الظلام تتجول في
الأرجاء، صوت خطواتها الطفيف كان الشيء الوحيد الذي تردد

على المسامع، حتى وقعت على أذنيها أصوات حركة خفيفة متبوعة
بتقليب في الأوراق.

توقفت (الليف) في خطاها وتفقدت مصدر الصوت، كانت
الضوضاء نابعة من باب في نهاية الرواق، فتمكن منها الفضول
وشقت طريقها لتلك الغرفة، وما أن دفعت مقبض الباب حتى
التقت عيناها بمكتبة ضخمة، بدا وكأن سقفها لا ينتهي من حجمها،
برفوف متراصة بالكتب التي اختلفت بالأشكال والألوان، وفي
الأرض انتشرت الطاولات الخشبية العتيقة تنتظر من يطلب العلم
بلهفة.

جال نظر (الليف) بالمكان حتى جذب انتباهها فتاة ما تقوم
بترتيب الكتب في إحدى الزوايا، لم تستطع (الليف) التمعن في
معالمها إذ لم ترَ إلا مؤخرة رأسها ولكنها انبهرت بقامتها الفارعة،
شعرها الأصهب الطويل، وقرنيها اللذين اخترقا تلك الخصلات.
كانت تلك أول مرة ترى فيها (الليف) هذه الجنية، رغم بقائها في
القلعة لفترة لا بأس بها، تمكن منها الفضول وخطت تجاهها منادية:
المعذرة...

التفت الصهباء إليها لتلتقي عيناها الزمرديتان بـ (الليف)، كانت
شديدة البياض، بنمش على أنفها ووجتيها، ترتدي زمامًا ذهبيًا

مترجماً بحجر كريم يماشي لون بؤرتيها، وما أن رأتها حتى ارتسمت
على معالمها ابتسامة ودود.

قالت الصهباء بصوت رنان: لا بد أنك (الليف)، تشرفت
بلفائك.

ردت (الليف) الابتسامة: الشرف لي، وأنت تكونين؟
عرفت الصهباء عن نفسها: أنا (عفراء بنت الأحمر)، ابنة الملك
أبي محرز الأحمر.

رمشت (الليف) وكأنها تحاول استيعاب الأمر قبل أن تحمر
وجتها: أعذريني مولاتي لم أتعرف عليك.

لوحت (عفراء) بيديها: لا بأس، لا بأس، لا أحب هذه الرسميات
من الأصل، وأرجوك لا تنادينني بمولاتي فأنا مولعة باسمي.

أمالت (الليف) رأسها: إذا... (عفراء)، ما الذي تفعلينه هنا؟

أجابت (عفراء): أمري كأمركم، أطلب العلم.

نطقت (الليف): ولكنك بعيدة عن أبيك؟

فهقهت (عفراء): هذا هو المغزى، لست معجبة بأمور الحكم،
فتركناها لكبيرنا، أخي (المحرز).

همهمت (الليف): أعتقد أننا جلبنا ما يكفي من المتاعب للملك
الأحمر.

ضحكت (عفراء): نعم، أبي كان مستاءً للغاية ولم أقوَ على
سخطه، وقررت أن هذا المكان أفضل مكان للهروب.

توسعت حدقتنا (الليف): إذا أنتِ على علم مسبق بما حصل؟
هزت (عفراء) كتفيها: لا تهمني أخبار البشر، وليس حتى من
تسيد منهم، إلا أن أمرًا مثل ذلك يجبر نفسه على آذاني.

تيسبت (الليف) في مكانها، حتى احمر وجهها تمامًا في إحراج
تام، لاحظت (عفراء) ذلك وحاولت تدارك الأمر: لا تشغلي بالك،
فإنقاذك لسليمة اليهامة معروف لا يرد، (بهنس) لا تزال تثني عليك
حتى يومنا هذا، ولكنني لم أتوقع أقل من ابنة (الباسقة)، فسمعتها
رنانة.

ارتسمت ابتسامة على معالم (الليف): أنت تعلمين عن أمي؟
أومأت (عفراء) بالإيجاب، فسألت (الليف) بلهفة: أتعلمين عن
أراضيها الآن؟ هل هي بخير؟

أطلقت (عفراء) نفسًا ثقیلاً: للأسف، لا علم لي بذلك، وإن
فعلت فسأفيدك.

وضح الهم على أسارير (الليف)، وكأن الدنيا عبست بوجهها.

لاحظت (عفراء) ذلك الأمر: ويحك، أتقلقين على (الباسقة)؟!؟

يجب عليك القلق على من وقع في عداوتها.

تفقهت (الليف): أنت محقة.

ساد الصمت لعدة لحظات قبل أن يتمكن الفضول من (عفراء):

(ليف)، هناك سؤال لطالما وددت معرفة إجابته، أتشبعين فضولي؟

ظهرت الحيرة على (الليف): ما هو؟

نطقت (عفراء): هل الأمر صحيح؟ هل أبوك من أصحاب

الخطوة؟

عقدت (الليف) حاجبيها: أتعنين رحالاً؟

هممت (عفراء): أنتم تدعونهم رحالة، أما نحن فنسميهم

بأصحاب الخطوة.

أومأت (الليف): نعم، أو على الأقل هذا ما أعلمه من أمي، فأنا

لم ألتقه من قبل ولا أعلم عن أراضيه شيئاً، وإن تمكن من الثبات فيها

من الأصل.

هممت (عفراء) قبل أن تنطق: من الصعب على رحال البقاء في

مكان واحد، فأرجلهم تأخذهم لأكوان لا نعلم عنها شيئاً، ولكن ذلك يفسر سر طاقتك الروحانية العالية.

سألت (الليف): ماذا تعنين؟

حاولت (عفراء) الشرح: كيف يمكنني تبسيط المعلومة؟ لدى والدتك طاقة روحانية عالية بالفعل تمكنها من تكوين عشيرة من شيوخ قبائل الجان، ووالدك رحال وصاحب خطوة، وذبذباته عالية هو الآخر، فالأمر مثل صراع الجبابرة، قوتان عارمتان أنجبتا وحدة مستقلة.

تنهدت (الليف): ما زلت بعيدة أشد البعد عن ذلك.

حدقت (عفراء) بالفتاة بتعجب: ألسنت سيدة عشيرة؟

أومأت (الليف) برأسها بالإيجاب لتردف (عفراء): إذا أنت على خطأ أملك بالفعل! أكملني فلا يأس مع السعي.

ارتسمت ابتسامة على شفاه (الليف) وأومأت برأسها، قبل أن تباغتها الأميرة (عفراء) بنظرة فضولية وسؤال جديد: حسناً، أعلم أنني كثيرة الأسئلة ولكنني لا أستطيع منع نفسي، فقد سمعت بأنك فصيحة اللسان وأن فصاحتك فازت بشيخ بني قطرب، هل ذلك صحيح؟

قالت (الليف) بقليل من الحرج: هذا إطراء منك، جلالتك.

لوححت الأميرة (عفراء) بيدها ناهية: توقفي عن التواضع!
براودني الفضول حول أبياتك، ألا تغدقين علي ببعضها؟

ترددت (الليف): أ- أعني هذا-

مسكت الأميرة (عفراء) بيدي الفتاة: أرجوك، أرجوك، طلبت
منك طلبًا!

تنهدت (الليف) بشكل مثقل قبل أن تومئ برأسها بالموافقة،
فارتسمت ابتسامة عريضة على معالم الأميرة (عفراء) وجلست
مكانها على كرسيها منتظرة، لتبدأ (الليف) بإلقاء الأبيات:

هذب الروح فإن استقامت فما من مهيب،

وسر في مسارك منفردًا وإن أتى النصيب،

وإن عليك أن تشحذ سيفك وتنزع عنك القناع العنيد،

واضرب ضربًا حاميًا وإن شئت أن تكسر الحديد،

كن صارمًا قاسيًا ضد من خالف الرأي وكن له مقاومًا شديد.

فإما تنساق إلى النعم أو بيديّ أمهد طريق المجد والمجيد.

وإني إن نطقت ليأخذ من لساني الوعيد،

بأنني أول من يقف وإن عاداني العديد،
فتنسب المسارات لرؤيتي وأذعن لما يكتب الرشيد.
فما من خير إلا ما سطر في كتابه الحميد.

جلست الأميرة (عفراء) مكانها فاعرة فاهها من شدة ذلك
يث، قبل أن يعلو الرضا معالمها: الآن علمت لم تجدون الحماية
الخلق، فيجب علينا المحافظة على أمثالكم من البشر.



كانت الشمس في كبد السماء تشاهد بقعة تتحرك خلال التلال
الخضراء بينما خطا رجل أشقر الشعر يشق طريقه بلا وجهة معينة،
بدا وكأنه تائهٌ بينما ظل يتراوح في مشيه بينما تعالت زقزقة معدته،
نظل يحول بنظره في الأرجاء أملاً بأن يلقى ما يمكنه ملء بطنه به،
ولعل وقت فراغه هذا قاده لتدافع شديد في أفكاره.

ظل يحتفظ ببعض الأموال التي قد تمكنه من تدبير حاله لو هله
بسيطة، ولكن عقله ظل تائهاً في ما فعل في نفسه، فلم يكن نادماً البتة
على قراره بالانسحاب من تلك المهمة التي كانت خطراً على حياته
وحياة خليلته، وبعد ما حصل مع ذلك الزوهرى، بدا وكأن الذنب
كان يغرز أنيابه في جسده، ولكن هذا العمل كان كل ما يعلم، فلم
يُجد شيئاً آخر، فكيف عساه يتمكن من لقمة العيش الآن؟

أطلق تنهيدة عميقة بينما تفكر في أمر نفسه، فهو رغب بالتقاعد
وريشدة، وهذه المهمة الانتحارية كانت تذكرته لحياته المسالمة
الجديدة، ولكن الأمر لم يحرك كما رغب، ولم يتوقع هو أنه سينحاز
لجانب هذا الزوهرى الغريب الذي تحلى بمروءة أكثر من اللازم،
مروءة جعلته يعيد التفكير في أخلاقياته وقراراته الحياتية، وما أرادته
لنفسه ولخليلته.

من الصعب أن يتخلى الشخص عما اعتاده، حتى وإن كان مغلوطة
من جميع النواحي، فبعض الأحيان يحتاج الإنسان لنداء يقظة ينتشله
من العذاب الذي تأقلم عليه.

الآن وبعد كل هذه السنين، قرر تحطيم كل ما علمه، والتعلم من
جديد.

بدا شاردًا في هواجسه ولم يخف ذلك على خليلته التي كانت
تشاهده بصمت طوال هذا الوقت، ولكنها قررت قطع حبل
أفكاره: (أدريان)، هل أنت بخير؟

همهم (أدريان): أنا بخير.

بدا رده مقتضبًا للغاية، ولم يشبع ذلك فضولها فسألت: هل
ندمت على ما فعلته؟

هز (أدريان) رأسه نفيًا: أبدًا، ولكنني لا أعلم كيف ستنجو من
برائن السفليين، ومن برائن الفقر.

عبست (أم الدويس) وطأطأت رأسها لتأمل الأرض من
تحتها، وعندما فعلت رأت أثرًا ما، أثر أقدام لم تكن لسيدها. عقدت



حاجبها بتعجب وتبعت الأثر بعينها حتى ألقت بنظرها على فتاة
ما ملقاة على مقربة من إحدى الصخور، كانت متمددة على جانبها
ريدا عليها التعب والإرهاق.

ما أن أدركت (أم الدويس) أنها أنثى حتى ارتعدت وسارعت
لنخبئ وراء سيدها مما أثار تعجبه، ولكن ما أن رأى ما رآته حتى
أدرك الأمر.

سأل (أدريان): أعلم بأنك تخشين النساء، ولكنها فتاة صغيرة
فلم كل هذا؟

همست (أم الدويس) من ورائه: أنا لا أقوى على بنات حواء،
أنت تعلم ذلك، فلا أستطيع التأثير عليهن كما أبناء آدم!
تنهد (أدريان): ابق هنا إذا، سأفقد أمرها أنا.

ظلت (أم الدويس) مكانها بينما شاهدت سيدها يتقدم باتجاه
الفتاة خطوة تلو الأخرى، وما أن وصل لها حتى جثا على إحدى
ركبتيه واضعاً إصبعه أمام أنفها، فشعر بأنفاسها.

تنفس الصعداء ونادى على (أم الدويس): إنها حية.

ولكن الصمت خيم على المكان، فلم يسمع (أدريان) منها رداً،
فتعجب و التفت للوراء ليتفقد الأمر وحينها علا الذعر أساريره.
رأى (أدريان) ظهر خليلته متجمدة مكانها تماماً غير قادرة على
الحركة، وما يقيدها عينا ذئبة مزجرة ثبتتها في موضعها، وما أن أراد
القيام من حيث كان حتى سمع صوت تعبئة سلاح ناري، فالتفت
للفتاة مجدداً ولكن هذه المرة التقى نظره بأنبوب بندقية طويل
مصوب بين عينيه.

تحشب (أدريان) تماماً وظل يحرق بها في حيرة من أمره.
نطقت (هيلا): أرني يديك.

خضع (أدريان) ورفع ذراعيه للهواء مستسلماً: أتيت بسلام، لا
أريد إيذاءك.

قالت (هيلا) بسخرية: ولن تستطيع يا سيد الغرب.

سأل (أدريان) الفتاة: ماذا تريد مني؟

رفعت (هيلا) حاجبها: هل هناك سبب غير تصحيح الخطيئة؟

صمت (أدريان) للحظة، فهو لم يع ما كانت ترمي إليه، ولكنه لم

يود اختبار جديتها، ولكن الفضول تمكن منه: ماذا تعنين؟

فالت (هيلا) بصلف: أوليس عقدكما خطيئة؟

فطب (أدريان) حاجبيه: مطهرة أنت؟

حدجت (هيلا): وما أهمية ذلك؟

أخذ (أدريان) يتخبط بمئات الأفكار في رأسه، كونها في هذه الحالة السيئة في اللامكان، كونها وحدها، سنها الصغيرة، وإجاباتها البهيمه قادته لاستنتاج واحد، وهو أنها فتاة تحاول النجاة، كما كان يفعل هو بالضبط.

زفر (أدريان): افعلي ما شئت، لن أمس فتاة أبداً، أفضل أن أموت ها هنا إذا.

همهمت (هيلا): مروءة عالية لأجنبي، وماذا عن خليلتك المسكينة؟

أجاب (أدريان) بلا تردد: أنا أسف يا (دويس)، يبدو أن أواني ندحان.

صمتت (أم الدويس) بوجه ممتعض، فلم تستطع أن تلتفت لئلا ترى حتى ولو كانت مرة أخيرة، ولكنها علمت من نبرة صوته وحدها بأنه كان جدياً تماماً في قراره، ولم تكن لتجادله في أمره، فهي ختمت نهايتها بنهايته منذ سنين طوال.



صدمت (هيللا) في تفكير قبل أن تسأل: من أخدم؟

أجاب (أدريان): نفسي ولا أحد آخر.

ردت (هيللا): أنا كذلك.

حدق بها (أدريان) في حيرة من أمره: إذا لست مطهرة؟

بدا الاستياء في نبرة (هيللا): خسرثوا وخابوا، لن أخدم ضعيفي
البأس ولو لقيت المنية!

نخر (أدريان) قبل أن ينطق بتهكم: ما غايتك إذا؟

سئلت (هيللا) باستياء: وما يخصك أنت يا أشقر؟

مد (أدريان) شفاهه متحسراً لتردف (هيللا): ولكن غايتي أكبر
منك ومن خليلتك، لذا ما رأيك بأن تعطيني ما لديك من مؤونة
وأطلق سراحكما؟

نخر (أدريان) ضاحكاً: إذا وجدت لدي ما تريدين فدليني عليه،
أتصور جوعاً أنا الآخر.

طقطقت (هيللا) لسانها بانزعاج: أتظنني حمقاء؟ لا بد أنك
تملك شيئاً، أي شيء!

هز (أدريان) رأسه نفيًا: للأسف، ليس لدي إلا صرة قليلة المال.

طلبت (هيللا): اتني بها إذا.

صمت (أدريان) للحظة قبل أن يدخل يده في جيبه ليخرج الصرة ويلقي بها بجانب قدميها لتتناولها هي بسرعة لتضعها في أحد جيوب ردائها قبل أن تستقيم من مكانها ولكنها ظلت توجه البندقية تجاهه رغم حركتها: كريم أنت يا سيد الغرب.

كان آخر ما قالت قبل أن تلوذ بالفرار برفقة ذئبتها في أحد الاتجاهات، وهكذا أطلقت ساقها وظلت تركض حتى قطعت مسافة لا بأس بها، ورغم اختفاء الأجنبي وخليته من الأنظار إلا أنها ظلت تشعر بأعين تحديق في مؤخرة رأسها، لم تستطع تحمل الأمر، فالتفت على كعبها لتلقي بنظرها من ورائها لتتوسع حدقتها في تعجب شديد، فكما شعرت كان سيد الغرب فعلاً يخطو وراءها على مسافة يسيرة بهدوء شديد، وكأنه لا يعني إخفاء وجوده، ولكنه لا يود بث الذعر في بدنها أيضاً.

التفت بجسدها كاملاً وصوبت سلاحها تجاهه مرة أخرى
رصرخت: ما غايتك؟! لم تتبعني؟!

حدق بها (أدريان) قاطباً حاجبيه: لا بد أنك معتوهة إن ظننت أنني ساعد طفلة ما ترحل وحدها في البراري دون شخص بالغ

يشرف على أمرها، ماذا إن حصل لك مكروهٌ ما؟ سيقض الأمر
مضجعي!

توسعت حدقتا (هيلا) في عدم تصديق: هل جنت؟ لقد سرقتك
للتو! وعلى أي حال، فأنا لست بحاجة لحمايتك!

طقطق (أدريان) بلسانه مبدئاً انزعاجه: هذا أول دليل على أنك
طفلة لا تعلمين مصلحتك! هيا سيري من أمامي لنذهب، هناك
قرية قريبة من هنا يمكننا الأكل فيها.



@ART_OF_BOOK

مواجهة

مضت فترة من الزمن قضاها كلٌّ من (غيث) و(الليف) في طلب العلم، لا يعلمان أي شيء عن العالم الخارجي بتاتاً، بل ظلا يكرسان أنفسهما للتمكن من العلم القديم في عزلة كُنُساك في صومعة نحسب، يصومان عن ملذات الدنيا وغيرها من الملهيّات ويصبان جل تركيزهما في إدراك علوم لم يحلما بها من قبل.

وفي أحد تلك الأيام، علت زقزقة العصافير معلنة عن إتيان الصباح بينما رمت الشمس بخيوطها الذهبية على الفناء الداخلي بين جدران قلعة رأس المرتضي العالي، في ذلك الفناء وقف (غيث) محققاً بتركيز شديد في حفنة من الحطب التي وضعها الشيخ (تليان) بترتيب هرمي على منضدة وقعت على مسافة يسيرة من الشاب.

أخذ (غيث) نفساً عميقاً قبل أن يرفع ذراعه من أمامه وظل محققاً بهدفه قبل أن يحرك يده وكأنها يدفع الهواء من أمامه لتطير القطع الخشبية في انفجار وكأنها قام حقل طاقي خفي بالاصطدام بها بقسوة مطيحاً بأجزائها في الأرجاء، وما أن حصل ذلك حتى

ارتسمت ابتسامة عريضة على معالم (غيث) ليلتفت إلى الشيخ
(تليلان) الذي قابله بابتسامة لطيفة بدا عليها الفخر من تعليمه، وما
أن حصل الشاب على ردة الفعل تلك حتى غمرته السعادة بشكل
لا يوصف وبدأ يقفز في مكانه وكأن الحماس لا يسع جسده، حتى
وصل لأحد الأعمدة الصخرية ولكمه بحركة طائشة سريعة وكأنه
يعلن انتصاره، ولكنه ما أن استعاد ذراعه إلى جانبه حتى رأى الدماء
تقطر من قبضته، ورغم عدم إحساسه بالألم، إلا أنه أدرك بأنه سيندم
على ذلك الفعل ما أن يزول تأثير الأدرينالين عن جسده.

«ماذا تفعل يا معتوه؟»

نادت (الليف) من ورائه بأعين دارت في محاجرهما.

التفت إليها (غيث) زامًا شفثيه بإحراج لتخطو (الليف) تجاهه
وترفع كف يدها بمقربة من إصابته لتضيء يدها بشعاع غريب،
التأم أثره ذلك الجرح، ورغم أن يديهما لم تتلامسا حتى إلا أن وجعتي
(غيث) تشربتا باللون الأحمر إثر استحيائه، وكان حينها يحمد ربه
على طوله الفارع الذي جعل رؤية وجهه صعبة لـ (الليف) التي كان
رأسها يصل لصدره فحسب، ولكن ما فضحه كان صوت ضحك

على جبل في الأنحاء بينما أمسك شيخ بني قطرب ببطنه بيد وأشار
بوجه الأخرى تجاه الثنائي، وما بين ضحكاته صرخ: لا أصدق، لا
أصدق، انظر لوجه ذلك الأبله!

ثم وقع أرضاً مكماً في نوبته الهسترية من الضحك ليتلقى ركلة
من ماق جبل أسكتته وجعلته ينشغل بالسعال عوضاً عن السخرية،
ولكن (الليف) لم تدرك ما كان يدور من حولها فرفعت رأسها لتلتقي
عينها بعيني (غيث) الذي أحال بنظره عنها على الفور، وما أن فعل
حتى نخرت ضاحكة بسخرية ليزول الخجل عن وجه (غيث) تماماً
ويعقد حاجبيه في استغراب.

أعاد (غيث) نظره إليها على الفور: أتسخرين مني؟
غطت (الليف) فاهها بيدها وتفادت النظر إليه: لا... أنت تتخيل
الأمر.

وجه (غيث) إصبعه تجاهها: بلى، تسخرين مني، أستطيع رؤية
بسمتك من عينيك!

لطمت (الليف) يده بكم ثوبها الطويل: أزح أصابعك التي تشبه
النفائق هذه عني!

ما أن فعلت حتى رفع (تولبا) مخالبه عن الأرض فوراً، وكأنها يود
الحراك باتجاههما، وقبل أن يتمكن من الحراك من مكانه تفاجأ بقوة

عارمة حين وجد كلاً من (السعف) و(أوس) يظهران أمامه من
العدم ليقوم كلٌ منهما بالتشبث بأحد كتفيه ليطيحا به أرضاً ويثبتاه
على ظهره كالمسامير.

حصل الأمر بسرعة خارقة لدرجة أن الثنائي لم يعيا ما حصل
حتى سمعا صوت ارتطام عنيف عندما اصطدم (تولبا) بالأرض
من تحته.

تفاجأ (غيث) ولكنه سرعان ما لوح بيده مشيراً لـ (تولبا): لتهدأ
يا صاحبي، لا تعني إيدائي.

استرخى جسد (تولبا) تماماً ليطلق الخليلان سراحه على مضض
ليشاهداه يستعيد توازنه على أرجله ليعود لطوله السامق مجدداً قبل
أن يهز ريشه لينفض الغبار من عليه.

ارتسمت ابتسامة رضا على شفتي الشيخ (تليان): يا له من
توازن رائع حققناه!

التفت الجميع إلى الشيخ الذي أكمل في حديثه: لقد تمكن
كلٌ منكما من مهارة من مهارات العلم القديم المختلفة، وصنعتما
بسيادتكما بجانب بعضكما بعضاً ديناميكية فريدة! فرغم تسرع
خليل فهناك خليلان يتمكنان منه، وسيد قادر على أمره.

رد (غيث) مبتهجا: كل ذلك بفضل تعليمك يا شيخ، فلولاك لما
وصلنا لما نحن عليه الآن.

مشط الشيخ (تليان) لحيته بأصابعه المتغضنة: هذا يعود إلى
ندراتكم وإصراركم على طلب العلم رغم المصاعب، وهكذا أعتقد
أن رحلتكم في كنفني قد انتهت، فلا يمكنني تعليمكم أكثر مما فعلت
ربما تبقى من الرحلة فقايم على أكتافكم.

خيم الصمت على المكان بينما تأمل الثنائي جدية الشيخ (تليان)،
ولسبب ما خلال أيامهما هنا ظنا أن جميع مشكلات العالم الخارجي
كانت ستختفي من الوجود، كان الأمان الذي أحاطا نفسيهما به مزيفاً
مؤقتاً، ورغم أنهما كانا يعلمان بأن الوقت سيحين حين يجب عليهما
التخليق من هذا العش، إلا أنهما لم يكونا مستعدين لذلك الفراق.

ما كان ينتظرهما في العالم الخارجي كان ظلاماً دامساً من الجهل،
الطمس التام لهوية قديمة، والتجرد من جميع ما كان يقيدهما، إلا
أن الأحاسيس التي اكتسحتها كانت عارمة، والأهم تقوم بتشويش
رؤيتهما، كانت هذه هي المشاعر التي انتمت للتجربة الإنسانية، لا
نجدى إلا في إعاقة التقدم.

منذ أن التقى قدر سيد الغرب بتلك الفتاة التائهة رفض سلك
طريق ليس بطريقها، لم يعلم لم ولكن قلبه لم يسمح له بالرحيل،
فكان يرى في (هيلا) الكثير من نفسه، فكل الصفات التي كونتها
كانت أيضًا تخامر تركيبته، مثل الإصرار، العناد، والوحدة.

كانت نسخة مصغرة منه، وكان يعتقد في قرارة نفسه أنه لو قام
بالزواج في سن أصغر قليلًا لكان تمكن من إنجاب فتاة بعمرها،
وكلما تفكر في الأمر بشكل أكبر تغلغل الحزن في جسده.

فتاة صغيرة مثلها تنغمس في هذه الحياة الخطرة، لم يكن (أدريان)
معجبًا بتلك الفكرة بتاتا، فكان الأمر يؤرقه ويقض مضجعه، رغم
أنها رفضت البوح بدوافعها، إلا أنه لم يستطع الحراك من جانبها.
أما هي فرفضت وجوده تمامًا في بادئ الأمر، إلا أنها بدأت تتقبله
مع الوقت، فرغم أنها لم تحبذ فكرة وجوده معها إلا أنها ظنت أن
مرافقة سيد وخليلته لها كانت سترسل رسالة قوية للمطهرين الذين
رفضوا الحراك من أجل قضيتها، والأهم كانت ستجعلهم يتركونها
وشأنها.

استقبلت (هيلا) الأجنبي وخليلته في منزلها المتواضع رغم
وجود الجراء الذين كانوا يسرحون ويمرحون في الأنحاء، إلا أن

(هيللا) كانت تحثهم على ترك (أم الدويس) وشأنها، وكثيراً ما كانت
الحليلة تسكن جسد سيدها دون الخروج منه إلا عندما كانا وحدهما
تماماً، لأن بنات حواء كنّ أمراً صعباً بالنسبة لها، وإضافة الذئاب
للعادلة كانت تزيد الطين بلة.

وكان (أدريان) يحترم ذلك الأمر، ولا يدعوها خلال اليوم أو
خلال وجود (هيللا)، فإن أرادت الظهور لظهرت.

أما (هيللا) فكانت تعتقد أن وجود (أدريان) هنا هو أمر لا جدوى
من جداله، فرغم محاولاتها العديدة كان رافضاً تماماً للحراك.

«مثل البغل!»

صرخت به في أحد الأيام، ولكنه انهار ضاحكاً ثم قال: ما
استقمت من عندك أبداً.

ولذا قامت بتغيير أهدافها من التخلص منه إلى استغلاله، فهي
كانت بحاجة للمساعدة وهو كان بحاجة للمسكن، فغدا هو يقوم
بالصيد ليعاونها في توفير الطعام لها وللجراء، ويقوم بالاعتناء
بالزروع والماشية، وخلال الأيام تمكنت من استجماع شجاعته
نظمت منه أن يقوم بتعليمها طرق القتال والدفاع عن النفس،
لنصاع لأمرها وقام بتدريبها وتعليمها كل ما استطاع.

ومرت الأيام وهما على ذلك الحال، بينما كبرت الجراء وضارت
أكثر مقدرة من ذي قبل، كان السلام الصغير الذي صنعوه لأنفسهم
جديرًا بتخفيف وطء الواقع عن رقابهم، أو ذلك ما ظنه الجميع.

كانت الشمس تبصق أشعتها الأخيرة قبل أن تستريح لليوم،
تلامس جدائل (هيلا) بلطف التي وقفت في الخارج تشتم الهواء
العليل قبل أن تصوب بندقيتها تجاه الفزاعة التي صنعها لها (أدريان)
لأجل التدريب بينما وقف معقود الذراعين ينتظر تقييم تصويبها،
وقبل أن يدرك انطلقت رصاصة خاطفة لتخترق رأس الفزاعة.

ارتسمت ابتسامة انتصار على معالم (هيلا): ألم أقل لك؟ لم يكن
عليك أن تتحداني في التصويب!

زم (أدريان) شفتيه: ولم تكون فتاة مثلك بارعة باستعمال
الأسلحة النارية!؟

أمالت (هيلا) رأسها: لا أريد سماع أي شيء آخر، لقد خسرت
التحدي! الآن حضر للمتصرة وجبة العشاء بلا تذمر.

وبينما كانا هكذا يمازحان بعضهما بعضاً تسلل لمسامعهما صوت
منزوات تقترّب منهما، التفت اثناهما لمصدر الصوت بينما صوبت
(هيللا) بندقيتها في ذلك الاتجاه على الفور ليقفا هكذا في حالة من
توتر التام بينما انتظر كلاهما صاحب الخطوات.

ومن بين الشجيرات ظهرت هيئة مألوفة لـ (هيللا)، رجل ملثم
يترجم على حياء، ولكن (هيللا) لم تنتظر وسرعان ما أطلقت رصاصة
في بركة مقاربة لموضع قدمه ليقفز الرجل في مكانه.

صرخ (حاتم): ويحك يا (هيللا)! أتصوبين سلاحك باتجاهي؟!
ولكن (هيللا) لم تعره اهتماماً، بل قامت بإعادة تعبئة الرصاص في
سلاحها: غادر، لا تشاق أرضي لخطاك.

رفع (حاتم) يديه في الهواء: يا (هيللا)، أرجوك لا تعاتبيني بما لا
حول لي فيه، أنت تعلمين بأن الأمر ليس بيدي!

صوبت (هيللا) بندقيتها باتجاهه: أعلم، ولكنني لا أجد لك
السماح في قلبي.

رد (حاتم) بتهكم: وهكذا الأمر إذا؟ بعث القضية التي ماتت
بأجلها أختك واعتنقت أحد هؤلاء المسوخ!

ابتسمت (هيلا) بسخرية من وراء زنادها: وماذا تود أن أفعل؟
أنتظر حتى أموت أنا أيضًا؟ بؤسًا عليكم وعلى عجزكم! ليس لكم
شيء عندي!

صرخ (حاتم): انتظري! أعلم بأنك لا تودين رؤيتي، وأعلم
بأنك ترغبين بموتي اليوم قبل الغد، ولكنني لا أضمر لك إلا كل
خير يا بنيتي أنا أقسم على ذلك، ورغم أنني على بينة بأن مساهمتي لا
تمحي أخطائي، إلا أنني قد أحمل لك من العلم شيئًا ذا قيمة.
قالت (هيلا) بجلف: انطق ولا تطل.

أجاب (حاتم): من تريدن تختبئ حيث لا يطال إنسي أو جان،
لا يمكنك التوغل لذلك الحصن، ولكن يمكنك التمكن منها ما أن
خرجت.

ردت (هيلا) باقتضاب: اشرح.

أردف (حاتم): قامت هي وذلك الزوهرى باللجوء لخدم الملك
(شمهروش) واحتما خلف جدران حصنه المنيع، ولكن القمر قد
غدا بدرًا مرتين في السماء، وعندما يحين البدر الثالث ينقضي بقاؤهما
في القلعة.

أضأت عينا (أدريان) ما أن سمع ذكر الزوهرى ولكنه التزم
بالصمت وأنصت منتظرًا، ولكن (أم الدويس) كان لها رأيٌ مختلفٌ

في الأمر، فانبعثت كالضباب الكثيف لتشكل معالمها وتقف بهيئتها
الهيبة لتواجه ذلك الرجل المثلث ونطقت بفحيح كما تفعل الأفعى:
نجرؤ على الكذب يا إنسي؟

عقد (حاتم) حاجبيه ممتعضاً: لا توجد مغالطات في علمي.
نطقت (أم الدويس) بسم يقطر من كلماتها: وماذا إن أخبرتك
بأن الزوهري حيٌّ يرزق في مزرعة لا تبعد عنا بالكثير؟
كاد توازن (حاتم) أن يخل في مكانه وتبادل النظرات المرتاعة ما
بين الخلية وما بين (هيلا) ثم نطق: معلوماً لي ليست بمغلوبة، وإن
رددت، لذهبت لتفقد وتأكد الأمر بنفسي.

خيم الصمت على المكان بينما حالت (هيلا) بنظرها ما بين
(حاتم)، (أم الدويس)، و(أدريان)، ثم قالت بثقل: لا، سأذهب
بنفسي.

توسعت حدقتا (حاتم): ألا تثقين بي؟

حدقت (هيلا) به: ألم تثق بك (صيتة)؟

ازدرد (حاتم) لعابه بصعوبة وطاقاً رأسه للأرض مستسلاً: كما
نرغبين.

استدار (حاتم) على كعبه وغادر دون أن ينبس ببنت شفة أكثر مما فعل بالفعل، فكان حقد (هيلا) واضحاً يشع من عينيها، غضب ينتمي لشخص لا يملك شيئاً ليخسره، فلم يجادلها ورحل.

ما أن فعل نادت (هيلا): (أم الدويس)، هل أنت متيقنة مما قلت؟ تفادت (أم الدويس) النظر للفتاة ولكنها أجابت: هناك من الجان الموثوق من نقل إلى هذا العلم، فعندما سمعت تلك الحرطقة خشيت أن يكون الأمر فخاً يوقعنا فيه.

همهمت (هيلا): حسناً، إن دلنا موقع الزوهري على من معه فمن الأفضل أن نؤكد ذلك الأمر بأنفسنا.

أحالت (هيلا) بنظرها لـ (أدريان) الذي وقف مكانه كما كان: نحن معك حيثما تذهيبين.

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي (هيله): شكراً، وشكراً لك يا (أم الدويس)، لولاك لما اكتشفنا خداع ذلك اللعين. ردت (أم الدويس) باستحياء: لا شكر على واجب.

استدارت (هيلا) على كعبها واتجهت للخيمة لترك السيد وخليلته: لنجهز متاع السفر إذاً، ونخرج صباح الغد.

ما أن كانت الفتاة خارج مرمى السمع حتى نطق (أدريان) مخاطبًا
بخليلته: لم ساعدتها؟ ظننتك لا تطيقين بنات حواء؟

انتقلت (أم الدويس) من مكانها لتشكّل أمامه: لم أطق رؤية
خدع ذلك الرجل! وما دمت أنت مولعًا بالاعتناء بها فهي مسؤوليتنا
نحن الاثنين.

نخر (أدريان) ضاحكًا: لطالما أقحمت كلينا في المصاعب،
سامحيني يا (دويس).

سألت (أم الدويس): ولكن هناك ما هو أهم، ما الذي تريده
(ميلا) برفيقة الزوهري؟

صمت (أدريان) للحظة متفكرًا قبل أن ينطق: لا أعلم، لم تخبرني
ولا أرغب بالضغط عليها.

قالت (أم الدويس) بتوجس: (أدريان)، أخشى أنها تشتهي
الانتقام.

رفع (أدريان) رأسه ليحذر بخليلته: أتعنين أن (السعف)
(الليف) هما من فتكا بأختها؟ لا، ذلك محال.

انطلق كلُّ من (هيلا) برفقة قطيعها من الذئاب الذي تكون من (ميسرة)، ذئبة أختها، وأربعة جراء يتسابقون بين بعضهم وبعض بالنمو، و(أدريان) وخليلته (أم الدويس) متوجهين لمزرعة وقعت بمقربة من منطقة رجال ألمع، كانوا قد سمعوا بأنها مزرعة الزوهرى وأهله. وبعد مدة من الترحل وطئت أرجلهم وجهتهم في عصر أحد الأيام، فكانت أكثر إبهارًا مما توقعوا، مزرعة واسعة خضراء اللون، تزدان بأشجار النخيل وغيرها، بحقول مزروعة ومنزل كبير الحجم ليتوسط هذا النعيم.

وقف (أدريان) بجانب (هيلا) التي بدت متوترة بشكل ملحوظ، فكانت قد حملت سلاحها في حقيبة تخفي طبيعته العدائية على مقربة منها، وكأنها تخشى أن تضطر لاستعماله ها هنا ولكن (أدريان) حاول تهدئتها قائلاً: سأطرق أنا.

أومأت (هيلا) برأسها على مضض واختبأت وراءه بينما وقف هو أمام الباب وكأنه يزن قراراته في رأسه قبل أن يفعل ما كان على وشك أن يفعله، ولكنه أخذ نفساً عميقاً وتجلد ورفع رأسه ليضغط الجرس الذي علا صوته في أرجاء المنزل.

كانت قطرات العرق تتصبب من جبينه، لم يعلم ما كان عليه

نوله، أو فعله، إن التقى بالزوهري مرة أخرى، فهو حاول اختطافه
أكثر من مرة، وبعد عطاء (غيث) معه كان مُخرجًا مما فعل، وبينما
كانت الأفكار تتخبط في رأسه افترقت دفقا الباب بعضهما عن بعض
لتظهر من بينهما أجمل امرأة رآها (أدريان) في حياته، رغم أنه لمحها
للحظة، إلا أنه كان متيقنًا أنها بديعة الخلق.

ما أن أدركت المرأة أن رجلاً غريبًا وقف على عتبة المنزل حتى
نراجعت للوراء على الفور لتختبئ وراء الباب: المصدرة، ظنتك
أخي!

بالكاد فاق (أدريان) من سر حانه: آه، أسف، أعتذر عن إزعاجك
في هذه الساعة.

صمت (هنا) للحظة متعجبة من نطقه: أنت أجنبي،
وتحدث العربية؟

تنحج (أدريان): نعم، تعلمت اللغة وعشت سنين طويلاً في
البلد.

لم يستطع (أدريان) رؤية وجهها، ولكنه استطاع استطعام البسمة
بصوتها عندما قالت بشرة منبهة: مشير للإعجاب! إذا ما غايتك
منا؟ أضعت طريقك؟

لطمت (هيلا) ذراعه وكأنه تحاول شده من تيهانه ليستجمع
نفسه ويقول: ن- نعم، أعتقد أن (غيث) هو أخوك؟

سمع قهقهة خفيفة من وراء الباب قبل أن تعطيه إجابته: (غيث)
ابن أخي، ولكنه هنا، أناديه لك؟

رد (أدريان): نعم، من فضلك.

قالت (هناء): انتظر لحظة.

اختفت الأصوات جميعها وظل (أدريان) يقف متصلاً بينا كاد
قلب (هيلا) أن يقفز خارج قفصها الصدري، تعالت خطوات
خافتة، ولكن غريبة وكأنها غير طبيعية المشي، كانت تعلو أكثر
وأكثر، ولكن حضوراً مهيباً كان يتبعها، كان يشعر (أدريان) بذلك
ولكنه لم يستطع تحديد السبب.

وقف صاحب الخطوات عند الباب محدقاً بهما بأعين غير مكرثة
البتة، وما أن التقت عيناه بعيني (أدريان) حتى توقف قلب الأخير
عن النبض، كان هناك شيءٌ مفرع في ذلك الشاب الواقف أمامه،
وكانه يحمل حوله هالة تسبب لمن حوله الاختناق، لم يخف ذلك على
(هيلا) التي شدت قبضتها على سلاحها بينما زحزحت ذئابها الواقعة

وراءها، ولكن ما أن أحال ذلك الشخص نظره إليهم حتى بدؤوا
بالأئين بضعف.

أمال (غاوي) رأسه متسائلاً: ومن تكونون أنتم؟

كاد (أدريان) أن يهوي لركبتيه ولكنه أدرك أن (هيلا) تقف وراءه
مستعينة به، ولم يستطع تخيب ظنها، كان عليه حمايتها.

نطق (أدريان) بنبرة ممازحة: أهلاً بـ (غيث)، نأسف لإزعاجك،
رددت فقط أن أتفقد أحوالك، ويبدو من عكازك أن الأمور كانت
أسوأ مما توقعت.

نظر إليه (غاوي) بغلو وابتسامة خبيثة على شفتيه: ولم يتفقد
أحوالي سيد الغرب؟

ازدرد (أدريان) لعابه بصعوبة: تعلم، بعد ما حصل، شعرت بأنه
من الواجب علي التحقق من أنك بخير شخصياً.

لم تفارق تلك البسمة المريبة معالمه: شكراً على اهتمامك، والآن
ارحل ولا ترني وجهك مرة أخرى، وإلا فسيحصل ما لا يحمد
عقباه، فهمت؟

حاول (أدريان) الحديث: ولكن...

تنهد (غاوي): لا بد أن الحظ حليفك، لأنه كما ترى، عمّتي
(هنا) لطيفة للغاية ولن تحمل تلطيخي للفناء بدمائكما، ولا أريد
أن أضايقها كما تعلم، فقد توبخني!

فقدت (هيلا) أعصابها وسارعت لتحاول إخراج سلاحها من
مخبئه ولكن (أدريان) قبض على معصمها بيد واحدة شلت حركتها،
أجفلت (هيلا) لتنظر إليه ولكنه لم يحل بنظره عن الشاب أمامه
وقال بنبرة ساخرة: لطالما كان حسك الفكاهي غريبًا، ولكن حسنًا
كما تريد، سنرحل.

لوح (غاوي) بيده مودعًا بينما لبس ابتسامة تصطنع البراءة على
معالمه.

سحب (أدريان) الفتاة من يدها رغم اعتراضاتها ليعدا عن
ذلك المنزل وتلك المزرعة تمامًا، وكلما حاولت (هيلا) السؤال أو
الاعتراض أسكتها (أدريان) حتى خرجا من نطاق رؤية (غاوي).
ما أن فعلا حتى أفلت (أدريان) ذراعها لتلتفت إليه بانفعال: ما
خطبك؟! لم فعلت ذلك!؟

صرخ (أدريان) في وجهها: كنت ستقتلينا جميعًا!

توسعت حدقتا (هيلا) بفزع من صياحه المفاجئ، حتى بدأ
الدخان الأسود يتسرب من جسده لتتشكل (أم الدويس) ما بينها
لتنطق بهدوء: (أدريان)...

رفع (أدريان) كف يده في وجه خليلته: أعلم، أعلم أنه ليس هو.
عقدت (هيلا) حاجبيها: ما الذي تقولانه؟ أليس ذلك هو
الزوهري؟

وضع (أدريان) يديه على وركيه مطأطئا رأسه: استحالة أن يكون
ذلك (غيث) الذي أعرفه، هذا الشخص يشابهه في الشكل نعم،
ولكنها ليسا الشخص نفسه ذلك أكيد، أستطيع الشعور بذلك.
هزت (هيلا) كتفيها: إذا مبتغاي ليس هنا، يبدو أن العم (حاتم)
كان على حق.

رفع (أدريان) رأسه: (هيلا)، ما مبتغاك برفيقة الزوهري؟

حدقت (هيلا) به: وما دخلك أنت؟

زفر (أدريان): (هيلا)، أجيبني سؤالي.

تمسكت (هيلا) بسلاحها: ما الذي تظنه أنت؟

فهم (أدريان) مقصدها على الفور: (السعف) و(الليف) هما من

نتلا أختك؟

التزمت (هيلا) الصمت، فلم تود البوح بأي شيء آخر.

سأل (أدريان) في عدم تصديق: أتظنين أن بإمكانك اغتيال
(السعف) و(الليف)؟ هل أنت جادة!؟

قالت (هيلا) بجلف: لا تقف في طريقي يا سيد الغرب وإلا
وقعت ضحية الشباك.

تقدم (أدريان) منها ولكنها أجفلت وخطت للوراء مبتعدة
عنه، فتوقف في خطاه: (هيلا)، لا يمكنك فعل ذلك، فـ (السعف)
و(الليف) لن يتعرضا لأحد إن لم يتعرض أحدهما، تلك هي المعاهدة،
فإن حاولت أختك تطهيرهما بعضهما عن بعض فحقك زائل!

بدأت (هيلا) بالصراخ بغضب: اصمت! لا تذكر أختي على
لسانك وإلا قطعته لك، أتفهم!؟

كانت (أم الدويس) تلبس تعبيراً قلقاً بينما جال نظرها بين
الاثنين، أما (أدريان) فوقف متيسباً، يعلم ما عليه قوله ولكن يعلم
بأنها لن تتقبله.

سأل (أدريان) بصوت منخفض: إن حاول أحدهم المساس بك
لقفز قطيعك من الذئب ليقطعهم إرباً إرباً، هل تقع الملامة على
الخليل إذا دافع عن نفسه وعن سيده؟

بدأت رؤية (هيلا) تضمحل إثر تجمع الدموع المحبوسة:
وانركهما يا (أدريان)؟! أترك قاتل أختي حرًا طليقًا؟! ليس لدي ما
أعيش من أجله من بعدها!

لم يعلم (أدريان) ما يمكنه قوله للتخفيف من هول الموقف،
وعلم بأنه لن يستطيع حتى إن تحدث، ولكنه ظل يحاول: أقصى ما
يمكنك الوصول إليه هو الموت في محاولة الانتقام، أتظنين أن أختك
كانت ستود ذلك؟

صمت (هيلا)، وكأنها تخشى أن تنطق ويظهر ضعف صوتها.
أكمل (أدريان) في محاولاته: اتركي مهمة الانتقام، لنكمل حياتنا
أنا وأنت كما كنا، سنسافر لمكان ما ونتظاهر بأننا أب وابنته ما رأيك؟
توسعت حدقتا (هيلا): هل جنت؟! أتظن نفسك بمثابة أبي؟!
خسئت!

وقع الصمت على المكان كفأس على كومة من الحطب، قاطعًا
رحامي الضربة.

تمتم (أدريان) بصوت خافت: ... أنت محقة، أنا لا أستحق أن
أعطى بابنة مثلك.

ذرفت (هيللا) الدمع الصاهد من بين عينين كانتا تجملان في
بؤرتيهما الكثير من الألم الذي لم يجد مهرباً خلال السنين، ولكنها لم
تترحزح، فعنادها وكبرياؤها لم يسمحا لها بفعل ذلك.

قال (أدريان) بينما تجنب النظر لأعينها: سأرافقك في طريقك
للعودة، ثم سأذهب لقلعة رأس المرتضي العالي.

قالت (هيللا) بضيق: وما غايتك؟

أجاب (أدريان): أنا في دين أبدي للزوهري، وإن كانت رغبته
هي حماية (السعف) و(الليف)، فسوف ألبى طلبه أيضاً.



@ART_OF_BOOK

البدر الثالث

أشع البدر الثالث في حلقة السماء، متفرداً ومهيماً على الأفق.
ضياؤه يلامس جدران تلك القلعة بنعومة، وكأنه يخشى تحطيم
الصخر بنوره الوضاح.

في تلك الليلة الساكنة التي اعتاد عليها سكان القصر، حصل
شيء تعجب منه الجميع، شيء لم يسبق حدوثه منذ أن سكنوا ذلك
المكان.

تعالى صوت طرق على الباب.

طرق صريح العبارة أصدى من على الجدران ليوقظ النيام.
استقام كلٌّ من مضجعه لترشدهم أقدامهم للخارج، لذلك
الفناء البديع حيث وقف كلٌّ من (غيث)، (الليف)، وخلان كلِّ
سهما، والشيخ (تليلان) الذي كان يحاول الإبقاء على أعصابه.

تبادلوا نظرات متعجبة بين بعضهم وبعض ولكن الشيخ
(تليلان) طمأنهم: لا يستطيع مخلوق المرور إن لم أدعُه للدخل.

أوماً (غيث) برأسه على مضض: نحن بظهرك.

أوماً الشيخ برأسه هو الآخر، والتفت على كعبه ليتجه للباب بينما تأمل كلاً من تلميذيه بقلق.

وقف الشيخ أمام الباب ودفع دفتيه ليكشف عن هوية الطارق، وما أن التقت عيناه به حتى تيسر في مكانه ونطق بتوتر: المعذرة، تفضل تفضل.

تعجب كلٌّ من (غيث) و(الليف) من ذلك التصرف وظلا يحذقان حتى دخل عليهم رجلٌ ذو شعر أصهب، عينين زمرديتين، وقرنين قرمزيين.

رجل كان يبدو مألوفاً أكثر من اللازم لـ (الليف)، ولكن كونها استيقظت للتو، لم تستطع إدراك أين رأتَه من قبل.

ما أن خطا لداخل القلعة حتى وقعت عيناه على الثنائي اللذين كانا في حيرة من أمرهما، أما (السيف) و(أوس) فسرعان ما تنازلا لركبهما مطأطين رأسيهما خنوعاً، كلٌّ منهما يجثو بجانب سيده، أما (تولبا) فظل واقفاً كما هو بجانب سيده.

نطق الشيخ (تليان): مولاي، ما شرف زيارتك لنا اليوم؟

التفت الأمير (محرز) إلى الشيخ: اعذرني على إزعاجك يا شيخ،
ولكن كما تعلم فأنت تحبى بين جدرانك أعجوبتين من عجائب
أرض العرب.

تصبب العرق من جبينه: نعم، هما تلميذان لذي، هل تسببا بأمر
لا يسر الخاطر؟

ارتسمت ابتسامة على شفتي الأمير (محرز): الجنوب برمته يبحث
عنهما، وقد خان وقت إطلاقهما أليس كذلك؟

رد الشيخ (تليان): بلى، أنت فذ الملاحظة كالعادة مولاي.

قاطعت (الليف) محادثتهما: لسنا في عجلة من أمرنا يا شيخ.

التفت كلٌّ من الشيخ والأمير (محرز) إليها ليخاطبها الأخير:
(الليف بنت الباسقة)، وابن الرمال بجانبك هو (السعف)، و...
من هذا الثالث؟

رفع (أوس) رأسه: شيخ بني قطرب، (أوس).

همهم الأمير (محرز): لم أعلم بأنك اتخذت خطا أمك بالفعل.

سألت (الليف) فوراً: أتعلم أين تكون أُمي؟ هل هي بخير؟

ارتسمت على شفثيه ابتسامة اعتذارية: لا علم لي بذلك للأسف.

تدخل (غيث): المعذرة، وأنت تكون؟

حذق الأمير (محرز) به للحظة قبل أن يدرك الأمر: اعذروا سوء خلقي، لم أحظ بالكثير من الراحة منذ حادثكم مع (فضة البهامة). أنا الأمير (محرز)، ابن الملك الأحمر، تشرفت بلقائكم.

تحشب كل من (غيث) و(الليف) عندما أدركا ما حل عليهما من مصيبة، لا بد أنه كان هنا لمحاسبتها على الضرر الذي تسببا به.

لاحظ الأمير (محرز) ذلك التوتر ولوح بيده مهدئا إياهما: لا تقلقا، لن يمسكما شيء ما دمت أنا من يشرف على الأمر، أما إن تدخل الوالد في الموضوع فالرحمة عليكم مقدما.

قال (غيث) بتهكم: شكرا على هذه البشارة، ولكن ما غايتك بنا على أي حال؟

رد الأمير (محرز) بلا تردد: أرافقكما بالطبع، أتعلمان عن كمية الكينونات المتعطشة لرأسيكما بالخارج؟

رد (غيث): كما قالت الأنسة، فلسنا في عجلة من أمرنا.

أحال الأمير (محرز) بنظره إلى الشيخ (تليان) الذي كان يفرك يديه معًا بتوتر: ألم تخبرهما عن الشروط يا شيخ؟

تمم الشيخ (تليلان) بين قهقهة: لا بد أنني نسيت...

لم يعلم الثنائي ما كانا يتحدثان عنه بتاتا، فبدأ الأمير (محرز) بالشرح: قلعة رأس المرتضي العالي تكون ملجأ للإنس لمدة ٣ بدور فقط، وإن لم تخرج منها خلال هذا اليوم، فسوف تبتلعكم القلعة للأبد لتصبحا من سكانها الدائمين، مثل الشيخ هنا.

صرخ اثناهما في آن واحد: ماذا!؟

حك الأمير (محرز) رقبتة: يخالجنني شعورٌ يخبرني بأنني لم أكن من المفترض أن أخبركما بذلك، ولكن على أي حال، عليكم جمع متاعكما الآن والرحيل معي إن كنتم تودان العودة.

انفعلت (الليف): لم لم تخبرنا بهذا الأمر يا شيخ!؟

تهدد الشيخ (تليلان): كنت سأفعل في صباح الغد، وكما تعلمان، فأنا حبيس القلعة ولا يمكنني الخروج منها أبداً، فكنت أود الاستمتاع برفقتكما لبضع ساعات أخيرة.

صمت (الليف) تماماً عندما سمعت تبريره وبدأ الذنب يغرز أنبابه في جسدها، فتغلغل الدمع في عينيها: أنا أعتذر عن قلة تهذيبي يا شيخنا، لعلّي توترت أكثر من اللازم، ولكنتي ممتنة لكل لحظة قضيناها معك ولكل مجهودك المبذول في تعليمنا، ذلك فضل لن أنساه طالما حييت.

حَدَّقَ بِهَا الشَّيْخَ (تَلِيلَانَ) مَشْدُوهُمَا قَبْلَ أَنْ تَرْتَسِمَ ابْتِسَامَةُ عَرِيضَةٍ
عَلَى مَعَالِمِهِ: كُنْتُمَا أَفْضَلُ مِنْ حَظِيَّتِي بِهِ حَتَّى الْآنَ.

لَمْ يَسْتَطِعْ (غَيْثٌ) التَّحْمِيلَ وَخَطَا تَجَاهَ الشَّيْخِ لِيَعْتَصِرَهُ فِي عُنَاقٍ
عَنِيفٍ: شُكْرًا يَا شَيْخُنَا، شُكْرًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ!

سَعَلَ الشَّيْخَ (تَلِيلَانَ): حَسَنًا، حَسَنًا، سَتَقْتُلْنِي!

ضَحِكَ الْأَمِيرُ (مُحَرِّزٌ) عِنْدَ رُؤْيَيْهِ لَذَلِكَ الْمَنْظَرِ: مَرَهْفُ الْإِحْسَاسِ
أَنْتَ يَا شَيْخَ، وَلَكِنْ أَقْتَرِحُ أَنْ تَذْهَبَا لَجْمَعِ مُتَاعِكُمَا، فَعَلَيْنَا الذَّهَابَ.

وَعَلَى ذَلِكَ انْطَلَقَ كُلُّهُمَا مِنْ (غَيْثٍ)، وَ(الْلَيْفِ) لَتَنْفِذِ ذَلِكَ الْأَمْرِ
بَيْنَمَا انْتَظَرَهُمَا الْأَمِيرُ (مُحَرِّزٌ) بِرَفَقَةِ الشَّيْخِ (تَلِيلَانَ).

نَظَرَ الشَّيْخَ (تَلِيلَانَ) إِلَى الْأَمِيرِ وَنَطَقَ: ... أَبُوكَ يَرْغَبُ بِرَأْسَيْهِمَا
أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

لَمْ تَتَغَيَّرْ مَعَالِمُ الْأَمِيرِ (مُحَرِّزٍ) بَيْنَمَا حَدَّقَ بِإِحْدَى الْأَزْهَارِ الْحُمْرَاءِ فِي
الْحَدِيقَةِ: وَلَنْ يَحْصِلَ عَلَيَّ مَبْتَغَاهُ إِنْ تَمَكَّنْتَ مِنْ تَهْرِيبِهِمَا.

تَنَهَّدَ الشَّيْخَ (تَلِيلَانَ) بِحُزْنٍ: يَبْقَى أَبُوكَ كَمَا عَهْدَتُهُ.

أَحَالَ الْأَمِيرُ (مُحَرِّزٌ) بِنَظَرِهِ لِلشَّيْخِ: فِي الْحَقِيقَةِ، هُنَاكَ أَمْرٌ وَدَدْتُ
طَلْبَهُ مِنْكَ.

سأل الشيخ: أنا مصغ...

قال الأمير (محرز) بجدية: تحدث مع الملك (شمهروش)، ليطلب
الصفح من الوالد.

ظل الشيخ مشدوهاً للحظة: سأحاول، ولكن أنت أدري بطبع
أيك، سيطلب مقابلهما رأسين.

رفع الأمير (محرز) أصبعه أمام الشيخ: بل رأسًا واحدًا، فـ
(الليف) قامت بإنقاذ فضة، فلن يمسها الضرر، أما الزوهري
ورخليه؟ فلا علم لي بما يخبئه القدر لهما.

وبينما كانا على ذلك الحال خرج كلٌّ من (غيث) و(الليف) بما
هملا من متاع شحيح، ابتسم الأمير (محرز) لهما بينما تقدما منه ليقفوا
جميعهم أمام ذلك الباب الموصد.

تقدم الشيخ (تليان) ليدفع دفتي الباب بعضهما عن بعض،
ليجهز طريق خروجهم، ولكن الباب ارتطم بشيء ما ليعلو أنين متألم
سبب تعجب الجميع، وما أن فُتح الباب على مصراعيه حتى وقعت
أنظار الجميع على رجل أشقر الشعر، يتمسك بجبينه متأوهاً من الألم.

قفز (غيث) في مكانه: أنت المذبلج! ما الذي تفعله هنا؟

رفع (أدريان) رأسه ببطء: نعم، سعيد برؤيتك مرة أخرى.

تدخلت (الليف): انس الأمر يا أشقر، فنحن تحت حماية الأمير
(محرز)!

أحال (أدريان) بنظره إلى العجوز والرجل الأصهب قبل أن
ينحاطب الأخير: أعتقد أن ذلك هو أنت، تشرفت برؤيتك سعادتك.

ابتسم الأمير (محرز): الشرف لي يا سيد الغرب.

وضع (أدريان) يده على صدره: الأمير يعلم عني؟ يا له من
إطراء.

نطقت (الليف): لا تكثر الحديث، ماذا تريد؟

رفع (أدريان) يديه في الهواء: أنا آتٍ بسلام، لا أنوي شيئاً سيئاً
أعدك، فالزوهري أنقذ حياتي من...

صمت (أدريان) قبل أن تقع عيناه على (أوس) الذي لبس أكبر
وأخبث ابتسامة يمكن للإنسان تخيلها.

امتعض وجه (أدريان) وأردف: مثير للاشمئزاز، ولكن أعتقد
أن وجوده هنا يعني أنه بجانبنا.

كل ما بُنيت عليه حياته كانت أكلوبة متقنة مخلوقة لإبقائه
جهل تام لأصله وكيانه.

فبأي حق يطالب بالعودة؟

نادت (الليف) لتوقظه من سكرته: (غيث)، أنت بخير؟
همهم (غيث) قبل أن ينطق: إذا عاد الابن لأهله فلا دخل لي
بأمرهم.

توسعت حدقتا (الليف): ماذا؟ ما الذي تقوله؟
نطق (غيث) بنبرة منكسرة: أعني أنه الابن الحقيقي الإنسي لمن
دعوتهم أهلي طيلة حياتي، أنا الدخيل وليس هو.
تدخل الشيخ (تليان): يا بني، أترك حياتك بأجمعها هكذا
لتعطيها لشخص آخر؟

تنهد (غيث) بثقل: بل أنا من اقتلعها منه منذ الولادة، ومهما
تخبطت المشاعر في صدري فأنا لست بأعمى، حقي زائل.

تدخل (أدريان) وتطق بجدية تامة: يا زوهري، تلك ليست
بفكرة سديدة. لو كان بشرياً عادياً لكان من الممكن أن أتفق معك،

سأل (غيث) مستنكرًا: جانبنا؟

أوما (أدريان) برأسه: أنا أدين لك بحياتي، وولائي لك قلبًا
والبا، وحتى أثبت لك ذلك فقد أتيت لك بعلم يهملك.

أمر (غيث): هات ما عندك.

أجاب (أدريان) بجديّة تامّة: هناك من يتظاهر بأنه أنت، يسكن
نمت سقف أهلك وبينهم.

صرخ (غيث): ماذا!؟

أكمل (أدريان): وليس ذلك فحسب، بل هو خطر للغاية،
نلك الهالة من حوله... كفيّلة بالإطاحة بأعتى المردة.

تيس (غيث) مكانه من هول الصدمة، عقله يضخ الأفكار في
رأسه بسرعة شديدة: إنه... إنه الابن الشرعي!

خيم الصمت على المكان، وكأن الوقت برمته توقف عندما وصل
لذلك الاستنتاج.

فكيف عساه أن يعود لمكان ليس بمكانه؟

فلا الأهل أهله، ولا الدور دوره، ولا الحق حقه.

ولكنه لا يملك شعرة صالحة في جسده. ذلك الرجل يجسد كل ما
يرغبه على الكوكب، ولو قابلته لفهمت ما أقصد. أهلك ليسوا
بأمان كما تعتقد.

وضحت الصدمة على معالم (غيث): وكيف تعلم كل ذلك؟
جرت القشعريرة أسفل ظهر (أدريان) من ذكرى لقائه: أنا أشعر
بذلك، موقن بالأمر، ولكن إن لم تصدقني أقدم لك شهادة تحمل
مصادقية أكبر.

قال ثم نادى: يا (دويس).

بدأ الضباب الأسود بالنفاذ من جسد الأشقر لتتشكل خيلته
بجانبه، وما أن فعلت أمرها: أخبرني هذا الأخ ما حدث بالضبط،
ولا تتفادي أي تفصيل.

بدأت (أم الدويس) بالجديث بنبرة تحمل القليل من الحرج: ...
كما قال (أدريان)، ذلك الشخص الذي تود ترك أحبابك تحت رحمته
ليس بأي شخص، فكل ما فيه ينبض بنخيت غير مريح، وأنا...
أعتقد أنه يتسيد كيانا عظيماً وشديد البأس، فلقد لمحت للحظة طيفاً
عابراً، جزءاً من ذلك الشيء... ذيلًا بدا وكأن جراثيفه تحبى الحمم.

كادت أعين الشيخ (تليان) تسقط من مكانها من شدة الجحوظ

ليلتفت بسرعة إلى الأمير (محرز) الذي بادله النظر وأطلق نفسًا ثقیلاً بدوره.

التفت (أوس) ناظرًا لهما ذهابًا وإيابًا بسرعة: ماذا؟ ماذا؟ ما الأمر؟ هيا انطلقا!

قال (السعف) متحسرًا: أعتقد أننا في كربٍ عظيم.

أمر (أوس) منفعلاً: لتخبرنا إذا!

نطق الشيخ (تليان) بإرهاق: يبدو أن موضوعكم أكثر تعقيدًا مما ظننت، فما رأيته لم يكن إلا مبتلع الكوكب، (فلك)، كنت أعلم أنها تم تسيدها ولكن الطامة الكبرى هي في هوية سيدها.

(الليف) بقلق: ومن يكون سيدها؟

أجاب الأمير (محرز): أخطر رجل في المملكة، أعظم السفليين ورئيسهم الذي علمهم طرقهم الملتوية، وكما عُرف (غاوي).

قطب (غيث) حاجبيه: أتقصد أن الطفل الحقيقي الشرعي هو من خلق كل هذه الفتن؟ هو من كان يحاول اغتياي طوال هذا الوقت؟!؟

زم (أدريان) شفتيه: لا يمكن لمستشار أسري حل هذا النوع من المشكلات، ذلك أكيد.

رد (أوس): أهذا وقت لإلقاء النكات يا أبله!؟ سنموت جميعنا!

تجاهل الأمير (محرز) ذلك التبادل وأحال بنظره لـ (غيث) الذي
ليس تعبيراً مفزوعاً تماماً، وكان المصائب كانت تتكاثف عليه لتوقف
بحري نفسه.

أشفق الأمير على حاله وسأل: ما قرارك يا (غيث)؟

حذق (غيث) في الأمير بحدة: وما هذا السؤال؟ أنا ذاهب
لأهلي!

أردف الأمير (محرز): أتعلم بأن فرص تجالك شحيحة للغاية؟
حتى إن أخذت العلم من الشيخ، فأنت تبعد سنين عن الإطاحة
بسيد (فلك).

رفع (غيث) رأسه وخطا مقرباً من الأمير بأعين كانت تنفث
شراراً: وما مبتغاك أنت؟ ليس لك أمرٌ علي يا صاحب الجلالة! إن
لقيت المنية في وقوفي فأنا لها مرحب!

التزم الأمير (محرز) الصمت وتبسم بخفة: كما تريد، أنا بظهرك.

وبينما كانوا على ذلك الحال مر طيف ما من خلاهم بسرعة
شديدة، طيف ينتمي لشيء ما استقر في صدر الشيخ (تليان).

جزع الشيخ بينما تمسك بعظمة مديبة الطرف، كانت قد اخترقت
بطنه ليصق دمًا على الفور قبل أن يرفع رأسه بأعين مستجدة ليجد
وجوه من حوله متييسة، وكأنها الزمن توقف عن الحراك.

«لقد أسأت التصويب...»

همس صوت مبحوح من وراء (أدريان)، من خارج القلعة وعلى
مسافة يسيرة من المدخل.

التفت الجميع لتقع أعينهم على دابة تدعى السيرانس، تمشي
على ٤ قوائم، لها فراء بني مبقع، وأذنان طويلتان ومديبتان ورأس
مسطح ممتد يحمل في جسر أنفه ١٢ قصبة هوائية من العظام الحادة،
يقذفها كيفما شاء من مسافات شاسعة كالقناص البارع.

ما أن حدث ذلك حتى تمسك الأمير (محرز) بقميص (غيث)
ليسحبه وراء إحدى دفتي الباب ليقيه من أي هجوم آخر، ولكن
(غيث) كان هائجًا وقام بضرب الأمير بمرفقه بشراسة ليفلت منه
ويدنو من الشيخ (تليان) الذي سقط أرضًا، وفي الجهة الأخرى
هوت (الليف) لركبتها في عدم تصديق لما كان يحدث ووضعت
يدها على صدر الشيخ حيث كانت إصابته لتشع يداها في محاولة
لشفائه، ولكنها لم تفلح.

هس الأمير (محرز): لقد فات الأوان...

تمسكت (الليف) بكتفي الشيخ لتتوسل: يا شيخ، يا شيخ! لا
نفارقنا فنحن هنا ننتظرك!

كان الشيخ مشدوه الوجه ولكنه تبسم بضعف وقال: شكرًا...
لكم.

قال آخر كلماته وتنفس بآخر أنفاسه، بعد ما أئتمنها على علم
علمها إياه، ودعها بشكرهما.

ما أن فارق الشيخ حياته حتى بدأت جدران القلعة تومض
لتظهر وتختفي مرارًا وتكرارًا حتى تجسدت تمامًا ووضحت للعيان،
لنسقط قلعة رأس المرتضي العالي وتصبح لقمة سائغة بعد ما كانت
حصنًا منيعًا لتتبع سيدها.

لم يصدق (غيث) ما كان يحدث وتيس مكانه، ولكن (الليف)
ذرفت دمعة يتيمة انزلقت من وجتها، دمعة كانت كفيلة بإشعال
الخصام.

وقف (السعف) من مكانه ليقف أمام سيدته بجانب (أوس)
الذي نادى على السيرانش بالخارج: يا قبيح، لقد جعلت سيدتي
نبكي!

أصدر السيرانس صوت صغير قبل أن يتحدث: وماذا ستفعل
حيال ذلك؟

بدأ تهديده فارغاً في البداية، حتى ظهرت تلك الأضواء المشعة
أزواجاً أزواجاً من ورائه.

أعين ترمض تحت جناح الظلام لقوات وجند من الإنس، السادة،
والخلان.

قال (أوس) لـ (السعف): احم السيدة.

رد (السعف): اذهب، سأدعمك.

تبسم (أوس) بينما بدأ جسده بالانتفاض: الأجنبي سيأتي
بالغرض.

التفت (أدريان) الذي ظل بالخارج حتى هذا الوقت بذعر:
ماذا!؟

نطق (أوس) بصوت متحشرج بينما اكتسح جسده الفراء
الأسود: ألا تقف بالخارج بالفعل؟ أعتقد أن مواهبك في الهجوم
أفضل من الركض؟

طقطق (أدريان) بلسانه منزعجًا قبل أن ينزع رداءه من عليه
وألقى به على الأرض متعصبًا: تبًا لك!

فتح (أوس) فكه الجبار ليتعالى البخار في الهواء وفي لحظة بدا
وكأنه من شدة سرعته قد اختفى من مكانه، منطلقًا للخارج
بسرعة وميض الضوء لينقض على ذلك السيرانس المزعج ليطبق
عليه بقواطعه كما لو كان دمية قماشية ليتدفق دمه الحار الذي سارع
بالتبخر كالشلالات من بين أسنان شيخ بني قطرب ليصبقه أرضًا
بعد ما أنهى أمره.

تحشبت أجساد السفليين الملتئمين من شدة اندهاشهم من سرعة
ذلك المستدب، ولكن سرعان ما صرخ أحدهم أمرًا خليله لشن
الهجوم لتبدأ الحرب ما بين قوات السفليين والذئب الذي ضح
الرعب في دمائهم.

لم يستطع (أدريان) الوقوف هكذا مكتوف الذراعين، فأرسل
أم الدويس التي كشفت عن مناجلها لتطفو بينهم كال موج لتخلف

أثراً من الجثث من ورائها، بينما وقف هو أمام باب القلعة متمسكاً
بخنجره متأهباً للدفاع عن المدخل.

قال الأمير (محرز) بهدوء: مهيا بلغا من القوة، فإن أعداد السفليين
تفوقهم بمراحل لا تعد ولا تحصى من الأسياد والخلان، لن يتمكنوا
منهم، و(السعف) و(تولبا) لا يمكن أن يهجرا أسيادهما فقد-

لم يتمكن الأمير من إنهاء كلامه قبل أن يرى جسماً متدفقاً
يتجاوزه ليطير باتجاه (غيث) الذي ظل جاثياً بجانب الشيخ، ولكن
(تولبا) تدخل بسرعة ليصدها لتسقط عظمة مديبة بجانب قدمي
سيده، ومن شدة غضب (تولبا) كان على وشك التحليق لاستهداف
المتسبب ولكن (غيث) أمر: (تولبا)، ابق هنا.

أصدر (تولبا) صوت عقعة خائفة مظهرًا حيرته، ولكنه بتلك
العين اليتيمة رأى أنامل سيده تمتد لتلك العظمة المديبة ليرفعها
ويحملها أمام عينه ناظرًا للأفق ليحكم التصويب، ومن ثم طوى
مرفقه للوراء ليفرد ذراعه مطلقاً إياها بسرعة عارمة باستعمال العلم
الذي تمكن منه لتحلق تلك القسيبة لتخترق جمجمة أحد السفليين
الذي وقع صريعاً على الفور ليختفي خليله الذي شن ذلك الهجوم
ويرحلا عن الكون معاً.

أقل من شخص مثلك، ولكني أنفهم وضعك، فحتى أنا أملك عائلة علي حمايتها.

لم ينفك أن يتحرك الأمير من مكانه حتى صدى صوت انفجار مدوّ من الخارج عندما هبط جنّي عملاق ذو أربع أذرع، يحمل على كتفيه امرأة ذات شعر أجعد فوضوي تتضارب ألوانه ما بين الأبيض والرمادي، ليهبطاً في وسط ساحة المعركة ما بين القصر وجمع السفليين المتراعدين.

- «لا يمكن!»

- «أليست تلك العجوز ميتة؟»

تعالّت الهمسات في الأرجاء بين بحر من السفليين الذين راقبوا بتوجس بينما اختفى الغبار كاشفاً عنها، أشد سيدة في الوادي، أم (السعف والليف)، (الباسقة).

لبست (الباسقة) ابتسامة خبيثة: اشتقتم لهذه العجوز المجنونة أليس كذلك؟

- «ما الذي يحدث؟!»

صرخ صوت أنثوي من خلف المجموعة لتخرج الأميرة (عفراء) لتلقي نظرها على هذا الدمار الشامل، ولكن سرعان ما وقعت أعينها على الشيخ الذي تمدد أرضاً بينما جلست (الليف) بجانبه في صدمة نامة من أمرها.

ارتسم الذعر على معالم الأميرة (عفراء) لتجلس بجانب (الليف) محتضنة إياها بينما كانت تحاول فهم الأحداث التي أوصلتهم لهذه النقطة.

التفت الأمير (محرز) لأخته: لا تتحركي من مكانك، أخشى أن الخطر المحقق بالخارج أسوأ مما ظننت.

عقدت الأميرة (عفراء) حاجبيها: ماذا تعني يا (محرز)؟! من المفترض أن يكون هذا القصر أكثر الأماكن أماناً!

حينها استقام (غيث) من مكانه ونطق بجدية تامة: أيها الأمير، لا وقت لدي لهذه الألاعيب، فمن كان تحت سقفي أكثر أهمية من هذا كله وعلي أن أذهب لعائلي، فهل ستقوم بمساعدتنا عوضاً عن الوقوف هنا بلا أي فائدة تذكر؟

حدق به الأمير متعجباً قبل أن يقهقه: يا لها من جرأة، لا أتوقع

ما أن وقع ذلك الصوت على مسامع (السعف) و(الليف) حتى
رفعا رأسيهما بأعين جاحظة تكاد تسقط من مكانها، لياقيا نظرهما
على والدتهما التي التفت إليهما: اشتقت إليكما يا ولديّ، ولكن
لنؤجل لحظات لم الشمل المؤثرة لدقيقتين.

جثا (صنديد) على إحدى ركبتيه لتنزل سيدته من عليه لتلامس
العشب البارد برجليها الخافيتين، لينطلق من تحت وطء قدمها ذيل
محرشف ذهبي اللون ليتشكل (قدار) من أمامها.

ومن ثم نطقت بكل هدوء: أبيداهم.

تبخر كلٌّ من خليليها أمامها على الفور لتتعالى صيحات
الاستنجاد من الجانب الآخر، فكان (صنديد) يحطم جماجم أربعة
من السفليين في آن واحد ليلقوا مصرعهم برفقة خلائهم ليختفي
نأماً قبل أن يتمكن أحدهم من وضع أصبع عليه ليظهر في بقعة
مخالفة ليعيد الكرة، وأما (قدار) فكان يقوم بتحطيم عظامهم
بذيله الجبار ليعيق حركتهم، وما تبقى من خلائهم فيلتف حولهم
لبغتصرهم حتى ينفجروا.

ابتسمت (أم السعف والليف) بينما شاهدت خليليها بكل فخر

ولكنها توقفا عن الحراك فجأة عندما وقعت أصوات صغير موسيقي
تشبه الناي على مسامعهم، التفتت لترى سيداً يركب على ظهر خيله
الذي كان يدعي بالشادهوار، كان مخلوقاً يشبه الغزال في الهيئة ولكنه
يحمل فوق رأسه قرناً عليه ٧٢ شعبة مجوفة، فعندما يريد، يُسمع له
تصويت عجيب تتمكن رناته من شل حركة أعتى الكينونات.

تعال ضحكات السيد المتصرة: وماذا الآن يا سيدة الوادي؟
فخليلاك لا حول لها ولا قوة!

حدقت به تلك السيدة العجوز لترفع ذراعها في الهواء لتضم
خنصرها وبنصرها وكأنها لتشكل أناملها على هيئة سلاح ناري
لتغلق إحدى عينيها وكأنها تحكم تصويبها لتنفجر طاقة من حول
يديها جعلتها تطوي ذراعها وكأنها أطلقت رصاصة لتحلق كتلة
هوائية صغيرة من الطاقة لتصدم بجبين ذلك السفلي لتخرج من
الجهة الأخرى ليقع على الأرض هو وخيله.

تفوهت (أم السعف والليف) بتهكم: أكثر ما أكرهه هو كثرة
حديثكم يا سفلينون.

لم يَطُلْ الأمر حتى تمكن كلُّ من (أوس)، (أم الدويس)،
(صنديد)، و(قدار) من مسح قوات السفليين عن بكرة أبيهم.

ما أن وقع آخر سفلي حتى عاد (أوس) لهيئته البشرية، وعادت
(أم الدويس) لتلازم صاحبها، وأما (أم السعف والليف) فألقت
نظرها على ولديها لتمد ذراعيها، وما أن فعلت ذلك حتى وجدتهما
يرتبان لأحضانها باندفاع ودمع صاهد.

ريبت الأم على رؤوسهما بحنان بينما وقف (أوس) يراقبهم من
بعد كجرو ضال، لم يخف ذلك على حدس الأم التي نادى: أنت
خليل لابتتي، مما يجعلك جزءاً من العائلة يا أحمق.

لم ينتظر (أوس) وقفز منضماً لذلك العناق الجماعي مزاحماً
(السعف) و(الليف) بابتسامته المعتادة.

سألت (الليف) بقلق: أين كنت يا أمي؟ لم يعلم أحد عن مكانك!
قالت (أم السعف والليف) ممزحة: ولذلك ظللت حية يا ذكية.

نأتأت (الليف): ولكن - ولكن!

تقدم (صنديد) و(قدار) ليقفأ خلف سيدهما، لينطق (صنديد)

بصوت غليظ: أنظنين أننا سنسمح للسيدة بالموت؟ لقد خاب قلبي
فيك يا فتاة.

نفوه (قدار) بصوت هادئ أعلى من الهمس بقليل: أنت تستهينين
بنا يا (ليف).

ثم صدرت أصوات رفيعة وغير مفهومة عندما ظهر ٣ أقزام
رماديين ليحيطوا بالمجموعة ويتقافزوا من حولها يمرح لتنهقه
(الليف) عندما رأتهم.

راقب كلٌّ من (غيث)، الأمير (محرز)، والأميرة (عفراء) لم
الشمل اللطيف ذاك، ولكن رغم دفء ذلك المنظر إلا أن (غيث) لم
يشعر بشيء، لم يشعر إلا برغبة جامحة تجبره على العودة لأهله.

خاطب (غيث) الوالدة: شكرًا لإنقاذك لنا يا (أم السعف
والليف)، أعذري سوء خلقي ولكنني مضطر إلى طلب أمر منك.
رفعت (أم السعف والليف) رأسها لتنظر إلى الشاب الذي
اختلفت ملامحه قليلًا عما تتذكر، كما وأنها أصبحت أكثر خشونة،

أكثر جودًا، ولكنها هزت تلك الأفكار من رأسها وردت عليها: ما
الأمري يا بني؟

نطق (غيث) بجدية تامة: علي أن أقتل أحدهم، وأحتاج
مساعداً.

توسعت حدقتا (أم السعف والليف) متعجبة: ومن يكون هذا
الشخص؟

أجاب (غيث): سيد السفليين.

خيم الصمت على المكان للحظة بينما تأملت (أم السعف والليف)
في جدية ملامحه، التي أخبرتها بأنه كان يعني كل كلمة يقولها.

التفت الأمير (محرز) إلى أخته: أعتقد أننا سنحتاج للعون...

نطق (غيث) بضعف: لندفن الشيخ أولاً.

أوماً الجميع برؤوسهم في اتفاق صامت، ولكن وميضاً من
الضوء الأخضر غطى أنظارهم للحظة ليتجسد مخلوقان فارعان
بالطول ويرتديان عباءات خضراء مثل التي ارتداها الشيخ لتغطي
بما لهما تماماً.

حذق الجميع بتعجب بينما عرفا عن أنفسهما: نحن خدم الملك
(شمهروش)، سنتولى مراسم مدفن أخينا.

نطق الأمير (محرز): أوصلوا عزاء الملك الأحمر وسلالته لجلالة
الملك (شمهروش)، تتوجع قلوبنا لفقدان الشيخ.

انحنى الخادمان احتراماً ثم رفعوا رأسيهما مجدداً لينطق أحدهما:
تحياتنا الطيبة يا أمير، اعذر عجلتنا فعلينا المثل أمام جلالته في أقرب
وقت ممكن.

أشار الأمير لهما بالسماح، فحملا الشيخ على أكتافهما ثم تبخرا
من الوجود.



@ART_OF_BOOK

لقاء

ههب نسيم الهواء بلطف يداعب العشب حول تلك المزرعة
الثرثرة بينما كان الأعرج يتمتع ببقعته على إحدى التلال المشرفة
على المنطقة كما كان يفعل حينما يتجاهل النوم أجفانه، ولكن بينما
كان يستمتع بصوت الخلاء تعالى على مسامعه صوت لشخص
ينادي عليه.

~ «لم تستطع النوم؟»

قال صوت ساخر من ورائه.

التفت الأعرج ليلقي بنظره على (فراس)، الذي وقف متضحكاً
بيديه على وسطه، وشعر فوضوي وكأنه قرر القفز من سريره على
عجالة.

لم يكن تفقد (فراس) لأحواله أمراً غريباً على الإطلاق، فقد اعتاد
(غاوي) على هذه الصداقة التي كانت مبنية على حقائق زائفة، ولكنه

بدأ يستلطفها ويستلطف (فراس) رغم كونه غريب الأطوار بعض الأحيان، إلا أنه كان صديقه، بالأصح أول صديق له.

تنهد الأعرج: أنت تعلم كيف هو الحال، يبدو أن نومي شحيح هذه الأيام، رغم أنني من المفترض أن أكون مرتاحاً للغاية هنا.

أمال (فراس) رأسه: ما الذي يورق مضجعتك؟

همهم الأعرج ثم نطق: لا أعلم، قد يكون قلقاً؟

تمتعد (فراس) بجانبه: من؟

تأمل الأعرج في الأفق: هل سبق وأن شعرت بعدم الانتماء رغم كونك حيث ينبغي أن تكون؟

نخر (فراس) ضاحكاً: أكثر مما ينبغي.

التفت الأعرج إليه بتعجب: حقاً؟

أوماً (فراس) برأسه: حقاً.

صمت الأعرج للحظة متأملاً في (فراس) الذي جلس بجانبه

محتضناً ركبتيه، لم يستطع أن يفهم كيف يمكن لمحض إنسي طبيعي

لم يمر بأي تجربة تقارن بتجاربه أن يشعر بهذا الشعور، شخص ولد
بين أحضان عائلته، يقوم بتأدية مهامه الإنسانية الطبيعية، لا يزال
بإمكانه الشعور بالانفصال التام عن محيطه.

لم كان ذلك؟ لم لم يكن مغدقاً عليه بالنعم؟

لم لم يجد راحة البال حتى في هذه الجنة؟

تمكن الفضول من الأعرج: لم ذلك؟ رغم أنك محاط بكل ما يورده
الشخص، لم لا تستشعر النعم من حولك؟

فهقه (فراس): أليست هذه طبيعة البشر؟ فمهما أخذوا لا
يشبعون ولا يرضون.

صمت الأعرج تماماً وكأنه فقد القدرة على الكلام.

طأطأ (غاوي) رأسه ليمرر يديه خلال الأعشاب التي نمت من
تحته بينما تفكر بثقل شديد.

ظن في نفسه الخاوية أنه قد وقع ضحية لفضول ظن أنه نجاته،
لضياء وهاج ينتظره في نهاية الممر، جعله يسعى ليطلق الغنان لرجليه
ويركض بكل ما أوتي من قوة، ولكن عند وصوله أدرك أن ذلك

الشعاع ما هو إلا مرآة مجردة، لا تقوى إلا على حمل الانعكاسات
الفارغة.

ما بدا كرحلة وعرة مليئة بالعقبات والمعاناة، كل ذلك لا يعني
شيئاً، فلن يتمكن من ردم فجوة صدره.

وضع (غاوي) يديه حيث كان قلبه، لوهلة شعر بأنه يتحقق بداخل
قفصه الصدري من شدة ضرباته.

لبس (فراس) تعبيراً متوجساً: هل أنت بخير؟

لم يُجِلْ (غاوي) بنظره عن الأرض المعشوشبة: ما الهدف من هذه
الحياة إذا؟ فحتى عندما ينال المرء مراده لا يرضى.

ضحك (فراس): وهل تظن نفسك في الجنة لترضى؟ حياة
الإنسان هي رحلة من الشقاء ولكن حتى هذا الشقاء نعمة.

حذق (غاوي) بهذا الشاب الذي كان رغم صغر سنه يملك في
جعبته كماً غريباً من الحكمة، كانت طريقة تفكيره مدهشة للغاية.

بدأ (غاوي) يتفكر في النعم التي يحظى بها، ولم تكن كثيرة.

فمنذ أن أتى للعالم كان جل ما يفعله هو النجاة، البقاء، الحفاظ
على حياته التي بالتأكيد كانت تخدم هدفًا أعظم مما كان يعلمه.

نعمه كانت شحيحة، وحتى جسده كان يصيبه الضرر، فعانى
الكثير حتى يصل إلى حيث كان الآن ورغم ذلك كله، لم يجد ما كان
يبحث عنه بتاتًا.

إلا... شيئًا واحدًا.

تأمل (غاوي) في (فراس) الذي لبس شبح ابتسامة، وحينها
أدرك شيئًا ما.

«حتى إن لم أرض عن مجرى حياتي، فأنا راضٍ بكون (فراس)
صديقًا لي.»

كانت تلك الفكرة التي طرأت في باله قبل أن يخلق جسد غريب
بسرعة ضوئية ليقبض عليه من كتفيه ويخلق بعيدًا.

توسعت حدقاته متفاجئًا بينما رأى (فراس) يتقلص بينما كبرت
المساحة ما بينهما، و(فلك) وهي ترتفع بجسدها الهائل تحاول
اللاحاق به.

استقامت (فلك) فوراً ولكن (صنديد) ظهر في الهواء ليضم قبضتيه معاً لينزل سخطه على رأسها الغليظ، ولكنها لم تتأثر بتأتا بل فتحت فكيها على مصاريعها لتطلق هسيساً في وجهه وأما (صنديد) فاخفى ليظهر خلف سيدته على مسافة يسيرة من تلك الأفعى العملاقة، بجانب بعض أشجار النخيل حيث لم تره، ورغم جمود معالمة إلا أنه كان يلوح بذراعيه في الهواء إثر احتراقهما جراء ملامسة (فلك)، وبسبب ذلك التدخل السريع، فقدت (فلك) سيدها تماماً، فلم تعد تراه أو تستشعره.

وأما في الجهة الأخرى فكانت (الليف) تركض باتجاه (صنديد) في خوف لتحاول شفاؤه ولكن أمها رفعت يدها لتهالها عن ذلك، وعندما أعادت (الليف) نظرها ليديه كانتا قد شفيتا بالفعل.

سألت (الليف): متى تمكنت من ذلك!؟

ردت (أم السعف والليف) بنبرة مأكرة: شفاء الخليل يعتمد على قدرات سيده، أنت تعلمين ذلك.

ضرب (صنديد) قبضتيه ببعضهما ببعض بحماس: أخيراً وجدنا ندًا يا سيده.

تدخل (قدار) بهدوئه المعتاد: وكيف عسانا نهزم هذه المتوحشة؟
مازح (صنديد): وجب عليك أن تعلم فأنتما من الفصيلة نفسها!
خطا (السعف) و(أوس) ليراقبا الأفعى العملاقة التي كانت
نحوم برأسها في الأرجاء غير مدركة لموقعهم، ولم يتطلب الأمر
الكثير من الوقت حتى نطق شيخ بني قطرب: نحتاج لهجمات غير
مباشرة، كما يفعل (السعف)، فإن لامسناها أصبحنا في عداد الموتى،
ولن تضيع هي وقتها هنا فهي ستذهب باحثة عن سيدها.
أشار (السعف) بأصبعه: وبالإضافة، أليس ذلك هو الإنسي
الذي أخبرنا عنه (غيث)؟

كان (فراس) يجلس حيث كان بوجه مذعور تمامًا، لم يستطع
رؤية أي شيء يحصل ولكنه رأى الشاب الذي كان يجلس بجانبه
قبل دقائق يُقتلع من مكانه ويخلق بعيدًا، فظل يلتفت يمينًا ويسارًا
باحثًا عن شيء لا يستطيع رؤيته.

تذمر (أوس): تَبَّأ، أنت محق. يجب علينا إنقاذه.

اقترح (السعف): يمكنني جلبه إلى هنا باستعمال عاصفة رملية ولكن موقعنا سيكشف.

قالت (أم السعف والليف) بجدية تامة: (سعف)، اجلبه إلى هنا. (صنديد) و(قذار) سيتمكنان من إلهاء (فلك) لوهلة.

أوماً (السعف) برأسه ووضع كفي يديه بعضهما على بعض ليتشكل إعصار رملي سرعان ما تحرك من مكانه باتجاه هدفه، ولم يخف ذلك على أنظار (فلك) التي لوت رأسها المحرشف في اتجاه المجموعة فوراً فانطلقت لتقضم عليهم ولكن (صنديد) قفز في الهواء وهذه المرة استهدف رأسها المسطح ليمسك بفتحات أنفها بإحدى أياديه، وينزل عليها بالضربات واللكمات بالأذرع الثلاث الأخرى بينما تضاحك متجبراً، ومن وطء رجله انزلق (قذار) بهدوء لينزل ملتفاً حول جسدها مخلقاً وراءه أثراً لزجاً أصفر اللون.

بدأت ترمي نفسها تارة يميناً وتارة يساراً متخططة بعنف محاولة التخلص من هذا الإزعاج، وبينما كانت في هذا التشتت انطلق الإعصار الرملي ليحمل (فراس) الذي لم يكن لديه أي فكرة عما كان يجري من حوله، اتجه الإعصار ليعط به حيث وقفت (أم السعف والليف) و(الليف)، أو على الأقل هذا ما رآه الشاب.

ما أن رفع رأسه حتى وضح التعجب على أساريره ليتبادل النظر
ما بين الأم وابنتها.

حاول (فراس) السؤال: ما الذي-

قاطع إصبع (أم السعف والليف) الذي لامس جبينه: بدأ عمك
يزعجني.

رمش (فراس) عدة مرات في حيرة من أمره عنما شعر بتدفق
عجيب من الطاقة حيث لامسته تلك العجوز، تبعه صداد شديد
جعله يغمض عينيه بقسوة قبل أن يحيط رأسه بكفيه صارخاً: ماذا
تفعلين!؟

أجابت (أم السعف والليف): أنقذك يا أحمق.

افترق جفنا (فراس) بعضهما عن بعض بصعوبة، وفي بادئ الأمر
كانت الرؤية ضبابية ومضمحلة ولكن عندما بدأت عيناه تعتادان
على محيطاته وقع نظره على رجل وفتى وقفا وراء الفتاة، فأجفل
أخذاً خطوة للوراء عندما سقط نظره على أقدام (السهف) المشابهة
للإبل لتتوسع حدقتاه في دعر، ولكنه بقي صامتاً، لم يصرخ ولم ينبس
بنت شفة.



سأل (فراس) بهدوء: من تكونون؟

أجابت (أم السعف والليف): نحن حلفاء صديقك (غيث).

تألأت عيناه بالأمل وسأل بحماس: (غيث)؟! أين هو؟

أجابت (الليف): إنه يتعامل مع شبيهه الذي كنت تتسكع معه للتو.

سكتت للحظة ثم ظهر التعجب على وجهها وسألت: مهلاً، أنت تعلم بأن من كنت معه للتو ليس (غيث) أليس كذلك؟

زفر (فراس): هل تمزحين يا آنسة؟ أنا قادر على تمييزه ولو أحاطه أشباهه الأربعون.

دوى صوت انفجار من وراء (فراس) عندما أطاحت (فلك) بجسدها العملاق على الأرض من تحتها لتتقلب بعنف في محاولات لتخليص نفسها من (صنديد) الذي كانت آثار الحروق تغطي جسده في هذه النقطة من الزمن، فتركها قافزاً من عليها ليحط عند سيدته لينزلق (قدار) ليقف بجانبه.

قال (قدار) بصوت يشبه الهسيس لسيدته: الآن ننتظر.

حدق (فراس) بهما بعينين تكادان تسقطان من محجريهما، فنظر

إليه (صنديد) وقال ساخرًا: ما بال هذا الأبله؟ ألم ير أخلاء من قبل؟

وحينها بدأت (فلك) تحاول الوقوف من حيث كانت ولكن جسدها كان يتمايل مترنحًا وكأنها تحت تأثير شيء ما، فكلما حاولت النهوض سقط عنقها أرضًا لتحاول رفع نفسها مجددًا بصعوبة.

همس (قدار): بدأ تأثير السم، ولكن علينا التصرف بسرعة فلن يدوم طويلًا في جسدها هذا.

التفت مخالب (تولبا) حول (غاوي) لينطلق في السماء السوداء بسرعة البرق، رمش (غاوي) عدة مرات محاولًا استيعاب الموقف قبل أن يرفع رأسه للأعلى لينظر إلى هوية مختطفه وما أن رآه حتى ارتسمت على شفاهه ابتسامة خبيثة وظل كما هو، دون أن يقوم بأي مجهود يذكر للمقاومة أو تخليص نفسه، وكأنه كان ذاهبًا طواعية.

حلق (تولبا) لمنطقة على مسافة يسيرة من المزرعة ليصلا إلى قمة هضبة مجاورة فرماه ليرتطم بعنف على الأرض، هسهس متألماً قبل أن ينهض على رجليه بصعوبة بسبب عدم وجود عكازه.

لثانية رأى أجنحة (تولبا) تغطي رؤيته بينما حلق من أمامه، وعندما رمش، ظهر أمامه ذلك الشخص الذي بدا كنسخة منه،

يشبهه في جميع تفاصيله، الفارق الوحيد كان أنه قادر على الوقوف
من تلقاء نفسه.

وقف (غيث) مقطب الحاجبين بينما وقف (تولبا) وراءه بأعين
متفحصة ليخيم الضمت على المكان لعدة لحظات قبل أن يكسره
(غاوي) وينطق بابتسامة مأكرة: نلتقي أخيراً يا سالب الحيات.

صمت (غيث) لثانية بينما أخذ نظرة مطولة على الرجل من رأسه
لأخص رجليه، وبينما كان على ذلك الحال ظهر قزم رمادي اللون
ليقف بجانب (غيث)، وما أن مد يديه القصيرتين أمامه حتى ظهر
عكاز (غاوي) على كفيه.

التقط (غيث) ذلك العكاز ورماه تجاه (غاوي): ألم يجد شخص
مثلك العلم الكافي لشفاء إعاقة جسدية بسيطة؟

نخر (غاوي) ضاحكاً: لم أجِدْ علم الشفاء بتاتاً، فهو يتطلب نقاء
قلب عظيمًا، وكما ترى فإنني أعاني من شح شديد من تلك الناحية.

شاهد (غيث) الأعرج بينما التقط عكازه واستند عليه ليرد: وهل
هناك شح في المعالجين؟

عقد (غاوي) حاجبيه مستنكراً: ألم ترَ حال العالم؟ لم يعد يوجد شخص تقي، نقي، طاهر القلب حتى يتقن تلك الحرفة من الأساس، يوجد فقط سارقون يقومون بالاستيلاء على كل ما يخصك.

أخذ (غيث) نفساً عميقاً قبل الحديث: أنت تعلم بأن الأمر لم يكن بإرادتي، فأنا وجدت نفسي على هذا الحال مثلما فعلت.

سأل (غاوي) بسخرية: وهل حاولت البحث عن الحقيقة؟ أم ظلت تتمتع بنعمة الجهل؟

ارتسمت الجدية على معالم (غيث): ... أنت محق، أنا لم أبحث عنك، وإذا أردت الحقيقة المطلقة فأنا لم أفكر بك من الأساس، كنت أحاول تقصي الحقيقة الخاصة بي أنا.

رد (غاوي) بشرة تنقظ سماً: نعم، هذا هو الإنسان، مخلوق أناني بطبعه. طالما نلت مبتغاك فلا تلتفت لمن قمعت في طريقك للهدف، أليس كذلك؟

قال (غيث) بهدوء: اسمع، أنا أعلم بأنني سلبت منك حقك، ولم أفعل ذلك بوعي أو إرادة مني، ولو كنت أي شخص إلا إياك لكان من الممكن أن أتوارى خلف الظلال لأدعك تعود لما كان مكتوباً لك، ولكنني لست قادراً على ترك سيد السفليين وعائلتي تحت السقف نفسه.

ما أن قال ذلك حتى ظهرت شرارة عدوانية في أعين (غاوي):
عائلتك؟ لا بد أنك بدأت بالهذيان. إنهم أهلي أنا، أنت من أخذهم
مني، أنت من أخذ كل شيء مني!

توسعت حدقتا (غيث) بينما حلق به متعجبًا: رأيت ما أعني؟
أنت مختل تمامًا، لا أستطيع استئمانك البتة!

أمال (غاوي) رأسه وتحدث ببغض شديد في نبرته: تجرؤ على
التفوه بكل هذا وأنت تعلم بأنك على غير حق؟ سرقت هويتي،
حياتي، عائلتي، أصدقائي، سلبت كل ما كان لي وغرقت بنعيمي،
وما زلت تحاول أخذ كل شيء مني مرة أخرى! ألا تفهم!؟ هذه
أمالكي أنا، وليس لك علي حق!

نطق (غيث) بانزعاج: اسمع يا مختل، لو كانت حياتك مكتوبة
لك لكنت حظيت بها، ولكن من الواضح أنك لست مؤهلًا لها، ولا
تظن للحظة أنني سأسمح لك بالزحف لتجلس بين أفراد عائلتي.
عندما قال تلك الجملة، بدا وكأن شيئًا ما قد اشتعل في رأس
(غاوي)، نار لم يستطع أحد إطفاءها.

استقام الأعرج في وقفته: شاهد إذا ما أنا فاعل بهم.
نطق الأعرج قبل أن يختفي من مكانه وكأنه لم يكن.

توسعت حدقتا (غيث) وقبل أن يتمكن من تحريك عضلة
واحدة نادى عليه صوت الأمير (محرز) من ورائه: انتظريا (غيث)،
ماذا إن كان فخاً؟

التفت إليه (غيث) لابساً نظرة غريبة لم يفهمها الأمير، نظرة
جعلت الأخير يرتاع قليلاً، ولكن الأمير حاول شرح وجهة نظره:
كان من المفترض أن نفرق ما بين السيد وخليلته، هذه أفضل فرصة
لنيل مبتغانا، إن عاد لـ (فلك) فقد يشكل الأمر مشكلة، علينا
إرغامه على العودة إلى هنا بطريقة أو بأخرى.

وقف (غيث) متصلاً بقبضتين مشدودتين، وكأنه يعد شعرة عن
الانفجار الكوني العظيم، وحدث بالأمير بأعين جاحظة: يا أمير، لا
تختبر أعصابي أكثر مما فعلت بالفعل.

لم ينبس الأمير ببنت شفة والتزم الصمت بينما شاهد الشاب
يلتف على كعبه ليتمسك بساق خليله لينطلقا لعنان السماء بتسارع
كجرم يخترق الفضاء.

وأما على التلال المعشوشبة التي أطلت على تلك المزرعة فكان
كلُّ من (صنديد)، و(السعف) ينزلان بسخطهما على (فلك) بكل

فوة، ولكن جلدها القاسي كان يحميها من كل هجماتهما،
كان يبطئ حركتها ولكن لم يَطُلِ الأمر حتى بدا وكأنها
من المناعة تجاهه، فعادت لحركتها الطبيعية وجل ما
هو الملاحظة حتى يتمكن (غيث) من التخلص من
نفي هي الأخرى.

يد) باللهات بينما عاد لموضع سيدته يشاهد الأفعى
رأسها للسماء وبدأت تطلق حفيًا مرعبًا، وأما
ت عليه آثار الإزهاق بينما حاول استجماع نفسه واقفًا
لتي كانت تحملق في (فلك) التي فقدت عقلها تمامًا،
بجسدها تارة يمينًا وتارة يسارًا، وفجأة توقفت تمامًا
كأنها تطلق نداءً ما.

ثوانٍ حتى ظهر السبب أمامهم، فرغم تلك المساحة
نهم إلا أنهم تمكنوا من رؤية هيئة رجل تشكل ليقف
رأسها المسطح، ومن ذلك العلو بدا لـ (غاوي)

محنة من فتيمة

وقف كلُّ من السيد وخليلته أمام المجموعة لينقر (غاوي)
بعكازه مرتين على رأس (الفلك) لتطلق سراح فكها وتفتحه على
مصراعيه وفي مؤخرة حنجرتها بدأ تدفق من ألسنة النيران بالتشكل.

ما أن أدرك أفراد المجموعة ما كان على وشك الحدوث حتى بدأ
الأخلاء التصرف، تناول (أوس) و(صنديد) سيدتيهما بين أذرعهما
ليحملا كلاً منهما ويقفزا بعيداً عن موضع تصويب (فلك)، أما
(فراس) فظهر ٣ أقزام رمادي اللون ليحملوه بعيداً عن الخطر،
لتطلق تلك الأفعى تياراً من اللهب الذي حول كل ما كان بطريقة
من أشجار وحجار إلى رماد يتطاير مع هبوب الريح.

هبطت المجموعة على بقعة مختلفة على أحد جوانب تلك الأفعى
العملاقة التي بدأت بتدمير كل شيء من حولها، فبدأت النيران
تنتقل بين سعف النخيل بسرعة مهولة.

وقفت المجموعة تشاهد بلا حول ولا قوة، في عدم مقدرة لفعل
أي شيء كان، وحينها صدح لسمع الجميع صوت نعيق عالٍ،
كنداء لإعلان حرب لم يشهدها العالم من قبل بين كيانين تداولتهما
الأساطير.

ظهر ذلك المجنح في السماء بينما تمسك سيده به، وكان هدفهما واضحًا للعيان، فانطلق (تولبا) متسارعًا تجاه (غاوي) كصقر يحاول اصطياد فريسة ما، ولكن ذيل (فلك) الصاهد قام بلطمهما بقوة مهولة أرسلتهما للأرض مرة أخرى، فقام (تولبا) بلف جناحيه حول سيده بينما تدحرجا بقسوة في الأرض الوعرة ليرتطبا بجذع نخلة بجانب المجموعة.

«(غيث)!»

صرخت (الليف) بينما جرت باتجاهه بتخوف شديد، ولكنه نهاها رافعًا يده في الهواء بينما نهض بصعوبة.

توقفت (الليف) في خطاها وشاهدت بينما استقام (غيث) على رجليه قبل أن يصدح صوت (غاوي) المتجبر: ولديك امرأة أيضًا؟ ويحك، ألا تكف عن التمرغ بنعمي؟

قطبت (الليف) حاجبيها والتفت إلى مصدر الصوت بأعين مستنكرة: أتتحدث عن البشر وكأنهم جمادات تنتمي للآخرين؟ لست متعجبة من عدم رغبة أهلك بك.

توسعت حدقتا (غاوي) قبل أن ينفجر ضاحكًا: جريئة للغاية،
رجيلة للغاية، لذلك سأتغاضى عما قلته للتو.

بصقت (الليف) على الأرض: مت.

استعاد (غيث) توازنه وخطا باتجاههم لتلتقي عيناه بـ (فراس)
الذي ارتسمت على معالمة ابتسامة عريضة تكاد تغمي الناظرين،
نيس (غيث) مكانه فورًا وكأنه رأى شبحًا.

شجع (فراس) صديقه: اقضِ عليه يا (غيث)!

رمش (غاوي) عدة مرات بينما حاول استيعاب المنظر أمامه:
آه، أخذتم (فراس) أيضًا؟ هذا ليس جيدًا، فـ (فراس) هو صديقي
الوحيد.

امتعض وجه (فراس) والتفت للأعرج ليصرخ: خست! لن
يقوم من هو مثلك باستبدال أخي أبدًا!

اهتز كيان (غاوي) من ذلك الحديث ونطق بضعف: ... حتى
أنت يا (فراس)؟ حسنًا، أعتقد أن علي قتلكم جميعًا والبدء من
جديد.

التفت (الليف) إلى (غيث) ليتبادلا النظرات المكيدة لتتلق
(الليف): قم بالاهتمام بالأعرج فحسب، اترك لنا الباقي.

فهم (غيث) ما كانت تقوله على الفور، فأومأ برأسه موافقاً بدون
أن ينبس ببنت شفة.

ما أن فعل حتى مسحت (الليف) على خاتمها ليشع بضوء وهاج
كاد أن يعمي الناظرين، ومن ذلك الحجر الضئيل خرجت ذراع
عظيمة، تبعثها أخرى، لتثبت نفسها على الأرض قبل أن تسحب
جسداً جباراً من ورائها، حتى وضع قدمه لتزلزل الأرض من تحتها
ليقف (عوج بن عنق) بهراوته بيده ليطلق صيحة تصم الآذان، وكأنه
يحاول إثبات هيمنته. كان حجم العملاق يوازي حجم (فلك) التي
كشرت عن أنيابها مهددة إياه.

«اقتلها!»

صرخت (الليف) حتى صار (عوج بن عنق) يلوح بهراوته وهم
لينفذ أمر سيده.

عندما رأى (غاوي) ما كان على وشك الحدوث قفز من على
رأس خليلته حتى لا يجد نفسه وسط ذلك الصراع، ولكنه بدلاً من
ذلك، وجد نفسه بين فكي شيخ بني قطرب الذي أطبق على جسده

مثل دمىة قماشية ليهبط على الأرض ماثلاً أمام (غيث) و(تولبا) بينما
وجه (عوج) ضربة مدوية لرأس (فلك).

ابتسم (غاوي) بخبث من بين قواطع المستدئب: وماذا الآن؟
نطق (غيث): اسمع، أعلم بأن الحياة لم تنصفك، ولكنتي لا
أستطيع الوقوف مكبل اليدين بينما تؤذي من أحب، فلا ترغمني
على قتلك.

نظر إليه (غاوي) بأعين غير مكترثة: هل انتهيت؟
صمت (غيث) شاداً على قبضتيه ليردف (غاوي): أنا أرى فراغ
تهديدك، أنت لا تبغضني، أنت تشفق علي. لعلك تشعر بالذنب
لسرقة حياتي مثي؟ ولكن لا تقلق، فأنا سأخذ كل شيء منك.
أجفل (غيث) عندما بدأ (غاوي) بتحرير نفسه من فكّي (أوس)
الذي ظهر عليه الارتباك هو الآخر وما أن استقام على رجلبيه مرة
أخرى حتى التفت للمستدئب ليسدد له ضربة بعكازه حملت قوة
عارمة لترسله محلقاً بعيداً ليصطدم ببعض الأشجار.

جحظ (غيث) ممّا رأى، ولكن (غاوي) كان بمتهى الهدوء:
حسناً، أين كنا؟ نعم، كنت سأخلص منك.

وقف (تولبا) رافعاً جناحيه أمام سيده ليحميه من ذلك التهديد
ولكن (غاوي) سدده ضربة على بدنه بعكازه لترسله طائراً هو الآخر.
نظر (غاوي) إلى (غيث) ببسمة لم تفارق محياه ولوح بعكازه:
عكاز مصنوع من نحاس، أليس اختراعاً رائعاً؟

رفع (غيث) قبضتيه للهواء وأخذ وضعية قتالية، رغم أنه كان
لا يزال يشعر بالذنب المخزي يتشرب في عروقه، إلا أنه لم يستطع
الوقوف هكذا، فهذا الشخص لا يحمل ذرة من الصلاح في بدنه، بل
يود تدمير كل ما في طريقه فحسب، كان يجب عليه التخلص منه،
ولكن كيف عساه يفعل ذلك؟!

شن (غيث) هجومه ليحاول لكم عدوه عدة مرات ولكن
(غاوي) كان يتفادى ضرباته بدون أي مجهود يذكر، وكأنه كان
يستطيع قراءة هدف كل لكمة، توسعت حدقتا (غيث) عندما أدرك.

رد عليه (غاوي): نعم، أستطيع قراءة أفكارك، يبدو أن ذلك
العجوز لم يؤدّ واجبه بشكل جيد.

عقد (غيث) حاجبه وتوصل لأمر واحد، إذا كان يستطيع قراءة
أفكاره، فهو لن يفكر بتاتاً.

ما أن أعاد (غيث) نظره لـ (غاوي) مرة أخرى حتى فقدته تمامًا،
وكانه تبخر.

بدأ يجول بنظره متفحصًا محيطاته بحذر باحثًا عنه حتى سمع
صوتًا ساخرًا ينادي عليه من بعد مسافة يسيرة، التف رأسه بسرعة
ليقع نظره على (غاوي) الذي ظل مبتسمًا، ولكنه كان يمسك بعكازه
بيد، وبيده الأخرى كان يمسك برقبة جدته المتغضنة.

كانت جدته تسعل بجدة وتحاول بضعف تمزيق يديه من عليها،
ولكن بلا فائدة.

كادت عينا (غيث) أن تسقطا من محجريهما عندما رأى ذلك
المنظر وصرخ: انتظر، لا تفعل!

نطق (غاوي) من بين فك مشدود: هذه العجوز الشمطاء هي
سبب معاناتي، لو لم تفعل ما فعلت لظللت بين أحضان أُمي مستمتعًا
بحياتي، ولكن بسبب كبريائها الفاسد لم تود أن يكون حفيدها أعرج
الخطأ، أوليس كذلك يا جدتي؟

لم تستطع الجدة أن تنبس ببنت شفة في ذلك الموضع، ولكن
(غاوي) لم يكف عن هز جسدها: لم فعلت ذلك يا جدتي؟ أم هل

قال (غاوي) ساخرًا: أعتقد أنك قادر على ذلك؟ لا يم-

هبطت لكمة ساخطة على وجنة (غاوي) الذي توسعت حدقاته
في تفاجؤ تام بينما تيبس للحظة استغلها (غيث) فوجه له ضربة
أخرى من أسفل ذقنه لترسل رأسه محققًا بالسما.

قال (غيث) بتهكم: ذاكرة عضلية، لا تحتاج للتفكير.

ضحك (غاوي) بينما نرف أنفه، كان مستمتعًا بهذا القتال، لأول
مرة منذ مدة طويلة كان مجرى الأمور مختلفًا ومثيرًا للاهتمام، ولكن
كل ذلك كان سينتهي قريبًا.

تعالّت أصوات الخطأ المدوية في الأرجاء بينما زحفت كتيبة من
السفليين، من الأسياد والأخلاء، من بين شجر النخيل المشتعل، وكأنهم
ظهروا من العدم، عدد مهول من الأفراد المتدثرين بالسواد التام.

ذلك الصوت المدوي أيقظ كلاً من (أوس) و(تولبا) من الألم
الذي اعتراهما وسرعان ما هرع كلٌّ منهما لسيدة، فأسرع (أوس)
لجانب (الليف) وهم (تولبا) عائداً لـ (غيث) ولكن (غيث) فرغ

من أعدادهم التي فاقتهم فالتفت لخليله: لا، اذهب وساعدهم!

وضحج التردد على (تولبا) لثوانٍ ولكن (غيث) أمر: اذهب!

فخنع واتجه لتنفيذ أمر سيده على مضض.

كان ذلك ما وجدت عليه آباءك وظللت تتبعين خطاهم على عماء؟
لم يستطع (غيث) الحراك، فإن تحرك ماتت جدته، وإن لم يفعل
فقد تلقى المصير نفسه على أي حال، فحاول المماثلة: لا تفعل، هي
لم تكن تعلم عن حقيقة ما كانت تفعله.

أمال (غاوي) رأسه: لا تستغفني يا مُبدل، كانت تعلم ما كانت
فعل وفعلته على أي حال، حتى لا يقول أحدهم بأن من يحمل اسم
عائلتها يعاني من خطبٍ ما، سلبتني كل حياتي بهذه الحجة الضعيفة!
أطبق (غاوي) أنامله على رقبتها بقوة، فبدأت تفقد وعيها، ولكنه
لم يتوقف بل شدد قبضته أكثر وأكثر بحق.

لم يستطع (غيث) التحمل وهم ليفعل أي شيء ولكن ما سبقه
كانت رصاصة خاطفة اخترقت ذراع (غاوي) ليفلت ضحيته
لتسقط أرضاً.

وضحت الصدمة على معالم كلٍّ من (غاوي) و(غيث) ليحبالا
بنظرهما لمصدر تلك الرصاصة لتقع أنظارهما على فتاة ذات جديلتين
جاثية على إحدى ركبتها بينما حملت بندقية بيدها، بجانبها وقف
رجل أشقر الشعر مبتسماً رافعاً إصبعيه من على جبينه بتحية ساخرة:
سرنا رؤيتك مرة أخرى.

زجر (غاوي) ورفع يده وكأنه على وشك فعل شيء ما ولكن
هيئة امرأة طويلة ظهرت أمامه، بخمار أسود شفاف ينسدل على
وجهها، إلا أن عينيها كانتا كفيلتين بشل حركته.

أمر (غيث): (تولبا)، خذ جدتي لمكان آمن!

اختفى (تولبا) على الفور لتنفيذ أمره، فحمل العجوز ليفلتها في
بقعة خالية على مقربة منهم، قبل أن يخلق عائداً لسيدته بسرعة البرق.
في تلك الأثناء، لاحظ بعض السفليين الخطر الذي واجهه سيدهم
فهموا بالتدخل، ولكن ما وقع على آذانهم دب الفرع في أبدانهم.

صاح عواء الذئاب من كل مكان، فتخشبت أجسادهم، وقبل
أن يدركوا ما جرى وجدوا قطيعاً من الذئاب العربية التي بدأت
تجري بين صفوفهم تقوم بالتهام أخلائهم، وعندما أراد الأسياد
ردعهم وجدوا قطيعاً من بني قطرب يطبقون بفكوكهم الفتاكة على
أبدانهم ليمزقوهم إرباً إرباً.

بدأ التوتري تسلل عبر أنامل (غاوي)، فهو لم يكن ليظن وفي مئات
السنين أنه سيرى منظرًا مثل ذلك.

اتحاد عدوين لدودين اشتعلت بينهما نيران هشيمة منذ مئات
السنين، للإطاحة به فحسب.

بدأت قهقهة مريبة تهرب من بين شفتيه، تبعثها ابتسامة عريضة.
كان مسرورًا من هذه الأحداث، مبهورًا مما كان قادرًا على فعله.
«فإن التحم العالم لصهري، فلا بد أنني من جبابرة الأرض!»
هذا ما ظنه في رأسه.

وبينما كان أزيز المعركة يتعالى، استغلت (فلك) الفرصة لتلتف
بجسدها الملهب حول (عوج بن عنق) ليصبح العملاق إثر الحروق
التي لسعت جلده، ولكنه لم يستطع الحراك قيد أنملة، إذ إنها قامت
بتقييده تمامًا حتى التصق كتفاه برقبتة إثر ذلك الضغط الشديد،
ولكن لم يستطع أحدهم فعل شيء.

فكان ذلك الصراع بين طاغية وآخر، ولم يكن لهم مكان فيه.
ضم (السعف) يديه بعضهما لبعض، وأرسل عواصف رملية
عديدة باتجاههما في محاولة للإخلال بالكفة الراححة، ولكن بلا فائدة.
لم تكن هجماته تؤثر بتاتًا بتلك المتوحشة.

شاهدت (الليف) ذلك الصراع مكبلة اليدين، ولكن والدتها
نطقت بكل هدوء: لن ينجو.

ظهر ذلك المجنح في السماء بينما تمسك سيده به، وكان هدفهما واضحًا للعيان، فانطلق (تولبا) متسارعًا تجاه (غاوي) كصقر يحاول اصطياد فريسة ما، ولكن ذيل (فلك) الصاهد قام بلطمهما بقوة مهولة أرسلتهما للأرض مرة أخرى، فقام (تولبا) بلف جناحيه حول سيده بينما تدحرجا بقسوة في الأرض الوعرة ليرتطبا بجذع نخلة بجانب المجموعة.

«(غيث)!»

صرخت (الليف) بينما جرت باتجاهه بتخوف شديد، ولكنه نهاها رافعًا يده في الهواء بينما نهض بصعوبة.

توقفت (الليف) في خطاها وشاهدت بينما استقام (غيث) على رجليه قبل أن يصدح صوت (غاوي) المتجبر: ولديك امرأة أيضًا؟ ويحك، ألا تكف عن التمرغ بنعمي؟

قطبت (الليف) حاجبيها والتفت إلى مصدر الصوت بأعين مستنكرة: أتتحدث عن البشر وكأنهم جمادات تنتمي للآخرين؟ لست متعجبة من عدم رغبة أهلك بك.

توسعت حدقتا (غاوي) قبل أن ينفجر ضاحكًا: جريئة للغاية،
رجيلة للغاية، لذلك سأتغاضى عما قلته للتو.

بصقت (الليف) على الأرض: مت.

استعاد (غيث) توازنه وخطا باتجاههم لتلتقي عيناه بـ (فراس)
الذي ارتسمت على معالمة ابتسامة عريضة تكاد تغمي الناظرين،
نيس (غيث) مكانه فورًا وكأنه رأى شبحًا.

شجع (فراس) صديقه: اقضِ عليه يا (غيث)!

رمش (غاوي) عدة مرات بينما حاول استيعاب المنظر أمامه:
آه، أخذتم (فراس) أيضًا؟ هذا ليس جيدًا، فـ (فراس) هو صديقي
الوحيد.

امتعض وجه (فراس) والتفت للأعرج ليصرخ: خسئت! لن
يقوم من هو مثلك باستبدال أخي أبدًا!

اهتز كيان (غاوي) من ذلك الحديث ونطق بضعف: ... حتى
أنت يا (فراس)؟ حسنًا، أعتقد أن علي قتلكم جميعًا والبدء من
جديد.

التفت (الليف) إلى (غيث) ليتبادلا النظرات المكيدة لتتلق
(الليف): قم بالاهتمام بالأعرج فحسب، اترك لنا الباقي.

فهم (غيث) ما كانت تقوله على الفور، فأومأ برأسه موافقاً بدون
أن ينبس ببنت شفة.

ما أن فعل حتى مسحت (الليف) على خاتمها ليشع بضوء وهاج
كاد أن يعمي الناظرين، ومن ذلك الحجر الضئيل خرجت ذراع
عظيمة، تبعثها أخرى، لتثبت نفسها على الأرض قبل أن تسحب
جسداً جباراً من ورائها، حتى وضع قدمه لتزلزل الأرض من تحتها
ليقف (عوج بن عنق) بهراوته بيده ليطلق صيحة تصم الآذان، وكأنه
يحاول إثبات هيمنته. كان حجم العملاق يوازي حجم (فلك) التي
كشرت عن أنيابها مهددة إياه.

«اقتلها!»

صرخت (الليف) حتى صار (عوج بن عنق) يلوح بهراوته وهم
لينفذ أمر سيده.

عندما رأى (غاوي) ما كان على وشك الحدوث قفز من على
رأس خليلته حتى لا يجد نفسه وسط ذلك الصراع، ولكنه بدلاً من
ذلك، وجد نفسه بين فكي شيخ بني قطرب الذي أطبق على جسده

مثل دمية قماشية ليهبط على الأرض ماثلاً أمام (غيث) و(تولبا) بينما
وجه (عوج) ضربة مدوية لرأس (فلك).

ابتسم (غاوي) بخبث من بين قواطع المستدئب: وماذا الآن؟
نطق (غيث): اسمع، أعلم بأن الحياة لم تنصفك، ولكنتي لا
أستطيع الوقوف مكبل اليدين بينما تؤذي من أحب، فلا ترغمني
على قتلك.

نظر إليه (غاوي) بأعين غير مكرثة: هل انتهيت؟
صمت (غيث) شاداً على قبضتيه ليردف (غاوي): أنا أرى فراغ
تهديدك، أنت لا تبغضني، أنت تشفق علي. لعلك تشعر بالذنب
لسرقة حياتي مثي؟ ولكن لا تقلق، فأنا سأخذ كل شيء منك.
أجفل (غيث) عندما بدأ (غاوي) بتحرير نفسه من فكّي (أوس)
الذي ظهر عليه الارتباك هو الآخر وما أن استقام على رجلبيه مرة
أخرى حتى التفت للمستدئب ليسدد له ضربة بعكازه حملت قوة
عارمة لترسله محلقاً بعيداً ليصطدم ببعض الأشجار.

جحظ (غيث) ممّا رأى، ولكن (غاوي) كان بمتهى الهدوء:
حسناً، أين كنا؟ نعم، كنت سأخلص منك.

وقف (تولبا) رافعاً جناحيه أمام سيده ليحميه من ذلك التهديد
ولكن (غاوي) سدده ضربة على بدنه بعكازه لترسله طائراً هو الآخر.
نظر (غاوي) إلى (غيث) ببسمة لم تفارق محياه ولوح بعكازه:
عكاز مصنوع من نحاس، أليس اختراعاً رائعاً؟

رفع (غيث) قبضتيه للهواء وأخذ وضعية قتالية، رغم أنه كان
لا يزال يشعر بالذنب المخزي يتشرب في عروقه، إلا أنه لم يستطع
الوقوف هكذا، فهذا الشخص لا يحمل ذرة من الصلاح في بدنه، بل
يود تدمير كل ما في طريقه فحسب، كان يجب عليه التخلص منه،
ولكن كيف عساه يفعل ذلك؟!

شن (غيث) هجومه ليحاول لكم عدوه عدة مرات ولكن
(غاوي) كان يتفادى ضرباته بدون أي مجهود يذكر، وكأنه كان
يستطيع قراءة هدف كل لكمة، توسعت حدقتا (غيث) عندما أدرك.

رد عليه (غاوي): نعم، أستطيع قراءة أفكارك، يبدو أن ذلك
العجوز لم يؤدّ واجبه بشكل جيد.

عقد (غيث) حاجبه وتوصل لأمر واحد، إذا كان يستطيع قراءة
أفكاره، فهو لن يفكر بتأتا.

ما أن أعاد (غيث) نظره لـ (غاوي) مرة أخرى حتى فقدته تمامًا،
وكانه تبخر.

بدأ يجول بنظره متفحصًا محيطاته بحذر باحثًا عنه حتى سمع
صوتًا ساخرًا ينادي عليه من بعد مسافة يسيرة، التف رأسه بسرعة
ليقع نظره على (غاوي) الذي ظل مبتسمًا، ولكنه كان يمسك بعكازه
بيد، وبيده الأخرى كان يمسك برقبة جدته المتغضنة.

كانت جدته تسعل بجدة وتحاول بضعف تمزيق يديه من عليها،
ولكن بلا فائدة.

كادت عينا (غيث) أن تسقطا من محجريهما عندما رأى ذلك
المنظر وصرخ: انتظر، لا تفعل!

نطق (غاوي) من بين فك مشدود: هذه العجوز الشمطاء هي
سبب معاناتي، لو لم تفعل ما فعلت لظللت بين أحضان أُمي مستمتعًا
بحياتي، ولكن بسبب كبريائها الفاسد لم تود أن يكون حفيدها أعرج
الخطأ، أوليس كذلك يا جدتي؟

لم تستطع الجدة أن تنبس ببنت شفة في ذلك الموضع، ولكن
(غاوي) لم يكف عن هز جسدها: لم فعلت ذلك يا جدتي؟ أم هل

قال (غاوي) ساخرًا: أعتقد أنك قادر على ذلك؟ لا يم-

هبطت لكمة ساخطة على وجنة (غاوي) الذي توسعت حدقاته
في تفاجؤ تام بينما تيبس للحظة استغلها (غيث) فوجه له ضربة
أخرى من أسفل ذقنه لترسل رأسه محققًا بالسما.

قال (غيث) بتهكم: ذاكرة عضلية، لا تحتاج للتفكير.

ضحك (غاوي) بينما نرف أنفه، كان مستمتعًا بهذا القتال، لأول
مرة منذ مدة طويلة كان مجرى الأمور مختلفًا ومثيرًا للاهتمام، ولكن
كل ذلك كان سينتهي قريبًا.

تعالّت أصوات الخطأ المدوية في الأرجاء بينما زحفت كتيبة من
السفليين، من الأسياد والأخلاء، من بين شجر النخيل المشتعل، وكأنهم
ظهروا من العدم، عدد مهول من الأفراد المتدثرين بالسواد التام.

ذلك الصوت المدوي أيقظ كلاً من (أوس) و(تولبا) من الألم
الذي اعتراهما وسرعان ما هرع كلٌّ منهما لسيدة، فأسرع (أوس)
لجانب (الليف) وهم (تولبا) عائداً لـ (غيث) ولكن (غيث) فرغ

من أعدادهم التي فاقتهم فالتفت لخليله: لا، اذهب وساعدهم!

وضحج التردد على (تولبا) لثوانٍ ولكن (غيث) أمر: اذهب!

فخنع واتجه لتنفيذ أمر سيده على مضض.

كان ذلك ما وجدت عليه آباءك وظللت تتبعين خطاهم على عماء؟
لم يستطع (غيث) الحراك، فإن تحرك ماتت جدته، وإن لم يفعل
فقد تلقى المصير نفسه على أي حال، فحاول المماثلة: لا تفعل، هي
لم تكن تعلم عن حقيقة ما كانت تفعله.

أمال (غاوي) رأسه: لا تستغفني يا مُبدل، كانت تعلم ما كانت
فعل وفعلته على أي حال، حتى لا يقول أحدهم بأن من يحمل اسم
عائلتها يعاني من خطبٍ ما، سلبتني كل حياتي بهذه الحجة الضعيفة!
أطبق (غاوي) أنامله على رقبتها بقوة، فبدأت تفقد وعيها، ولكنه
لم يتوقف بل شدد قبضته أكثر وأكثر بحق.

لم يستطع (غيث) التحمل وهم ليفعل أي شيء ولكن ما سبقه
كانت رصاصة خاطفة اخترقت ذراع (غاوي) ليفلت ضحيته
لتسقط أرضاً.

وضحت الصدمة على معالم كلٍّ من (غاوي) و(غيث) ليحبالا
بأنظرهما لمصدر تلك الرصاصة لتقع أنظارهما على فتاة ذات جديلتين
جاثية على إحدى ركبتها بينما حملت بندقية بيدها، بجانبها وقف
رجل أشقر الشعر مبتسماً رافعاً إصبعيه من على جبينه بتحية ساخرة:
سرنا رؤيتك مرة أخرى.

زجر (غاوي) ورفع يده وكأنه على وشك فعل شيء ما ولكن
هيئة امرأة طويلة ظهرت أمامه، بخمار أسود شفاف ينسدل على
وجهها، إلا أن عينيها كانتا كفيلتين بشل حركته.

أمر (غيث): (تولبا)، خذ جدتي لمكان آمن!

اختفى (تولبا) على الفور لتنفيذ أمره، فحمل العجوز ليفلتها في
بقعة خالية على مقربة منهم، قبل أن يخلق عائداً لسيدته بسرعة البرق.
في تلك الأثناء، لاحظ بعض السفليين الخطر الذي واجهه سيدهم
فهموا بالتدخل، ولكن ما وقع على آذانهم دب الفرع في أبدانهم.

صاح عواء الذئاب من كل مكان، فتخشبت أجسادهم، وقبل
أن يدركوا ما جرى وجدوا قطيعاً من الذئاب العربية التي بدأت
تجري بين صفوفهم تقوم بالتهام أخلائهم، وعندما أراد الأسياد
ردعهم وجدوا قطيعاً من بني قطرب يطبقون بفكوكهم الفتاكة على
أبدانهم ليمزقوهم إرباً إرباً.

بدأ التوتري تسلل عبر أنامل (غاوي)، فهو لم يكن ليظن وفي مئات
السنين أنه سيرى منظرًا مثل ذلك.

اتحاد عدوين لدودين اشتعلت بينهما نيران هشيمة منذ مئات
السنين، للإطاحة به فحسب.

بدأت قهقهة مريبة تهرب من بين شفتيه، تبعثها ابتسامة عريضة.
كان مسرورًا من هذه الأحداث، مبهورًا مما كان قادرًا على فعله.
«فإن التحم العالم لصهري، فلا بد أنني من جبابرة الأرض!»
هذا ما ظنه في رأسه.

وبينما كان أزيز المعركة يتعالى، استغلت (فلك) الفرصة لتلتف
بجسدها الملهب حول (عوج بن عنق) ليصبح العملاق إثر الحروق
التي لسعت جلده، ولكنه لم يستطع الحراك قيد أنملة، إذ إنها قامت
بتقييده تمامًا حتى التصق كتفاه برقبتة إثر ذلك الضغط الشديد،
ولكن لم يستطع أحدهم فعل شيء.

فكان ذلك الصراع بين طاغية وآخر، ولم يكن لهم مكان فيه.
ضم (السعف) يديه بعضهما لبعض، وأرسل عواصف رملية
عديدة باتجاههما في محاولة للإخلال بالكفة الراححة، ولكن بلا فائدة.
لم تكن هجماته تؤثر بتاتًا بتلك المتوحشة.

شاهدت (الليف) ذلك الصراع مكبلة اليدين، ولكن والدتها
نطقت بكل هدوء: لن ينجو.

التفت إليها (الليف) بذعر: لماذا؟!؟

هزت والدتها رأسها نفياً: إن طال الأمر، فستبيده هذه الحروق.

أحالت (الليف) نظرها لخليليها متفكرة، لن يتمكن أيُّ منهما من التغلب على (فلك)، وغالبًا هذا سبب سكون (صنديد) و(قدار) أيضًا، فهم يعلمون بأنها معركة خاسرة وأملها الوحيد كان يتلاشى من أمامهم، ولكنها بطبعها لم تتقبل خسارة كتلك.

أخذت نفسًا عميقًا قبل أن تنطق: (سعف)، (أوس)، استهدفا سيدها، ما أن تستشعر الخطر الواقع عليه ستترك (عوج) وتهرع لإنقاذه.

قاطع (أوس): ولكن يا آنسة، إن سيدها جبارٌ مثلها. قد نلقى حتفنا قبل أن تستشعر الخطر!

حدقت (الليف) باتجاهه ونطقت بصلف: وهل أطلبك يا (أوس)؟

خيم الصمت على المكان بينما لبس (أوس) الدهشة على معالمه.

وأما (السعف) فوضع يده على صدره ونطق: أمرك.

ارتسمت ابتسامة مأكرة على شفاه (أوس) بينما تأمل ذلك الجانب

الذي لم يعتده من سيدته: أنا لسيدتي كما أرادتني، فالمنية ولا الدنية.

أومأت (الليف) برأسها فهما لتنفيذ أمرها بينما تأملتها والدتها
بدهشة، فابنتها التي تعرفها من الاستحالة أن تقوم بأخذ خطوة
خطرة مثل تلك، ولكن من الواضح أنها وجدت شيئاً جديداً في
نفسها، فإما أنها بدأت تدرك قدرها، أو أنها وجدت ما كان نفسياً
ويستحق الحماية.

في هذه الأثناء كانت (أم الدويس) تحيم على (غاوي) بظلمها
الطويل، في ظن منها أنها بقدراتها تشل حركته تماماً.
ولكنه عوضاً عن الذعر كان يتضحك، مقهقهةً، بكل سخرية.
رفع رأسه ليحدق بها بأعين جاحظة وبسمة منفردة بجناحيها
على وجنتيه: لقد عاشرت آل ملككم، عيناك لا تؤثران بي طالما كان
فكرك مكشوفاً لي، أعلم بالذعر الذي يتغلغل تحت جلدك.
أجفلت (أم الدويس) وأخذت خطوة للوراء.

لاحظت (هيلا) ذلك الأمر وشتمته تحت أنفاسها، فهي في
الحقيقة لم تهتم للقتال في حربٍ ليست بحربها، ولم تنسَ ثأر أختها من
(الليف)، ولكنها عندما أتى لها (أدريان) طالباً منها مساعدته لم تستطع
رده، وقالت بأنها ستقتصن من أساء لها، ولكن بعد انتهائهم من هذه

المواجهة، ورغم أنها كانت على علم مسبق بأن التعرض لـ (غاوي) كان قد يعرضها لخطر أكبر لأنه سيتسبب بسخط خليلته، إلا أنها لم تستطع تقبل أنه من الممكن أن يقوم بلمس شعرة من (أم الدويس).

صوبت (هيلا) سلاحها مرة أخرى، هذه المرة لم يكن هدفها بمثل براءة رصاصتها الأولى: لتذهب للجحيم.

استغلت القناصة وقوفه في مكان واحد وأطلقت رصاصة سريعة اخترقت الهواء متجهة لجبينه، ولكن قبل أن تلتقي بهدفها تمكن من الحراك فاخرقت كتفه ليجتو أرضاً متمسكاً بمحل نزيفه. ما أن استشعرت (فلك) ذلك الألم حتى أفلتت (عوج بن عنق) تماماً من بين براثنها وسارعت زاحفة بسرعة مهولة زلزلت الأرض، ولكن ليس باتجاه سيدها، بل باتجاه الفتاة التي أصابته.

توقف كلٌّ من (السعف) و(أوس) عن الحراك عندما شاهدوا المشهد الذي كشف عن نفسه أمامهما بذهول، فقد انكسرت دواعي أوامرهما.

توسعت حدقتا (الليف) حتى صرخت بأعلى رئيتها: احميا الفتاة! سارع كلٌّ منهما باتجاه (هيلا) التي تبيست بينما شاهدت منظر الأفعى الملتهبة يقترب منها على عجلة، ولكنها قبل أن تدرك وجدت

(أوس) بهيئته المستدبة السوداء ينزل رأسه من تحتها ليرفعها على ظهره مرغماً إياها على امتطائه لتمسك هي بفروه على مضض ليطلق العنان لقدميه راكضاً.

أما (السعف) فوقف أمامهما وبجانبه سيد الغرب، (أدريان).
وقف (أدريان) مكانه ونادى على خليلته لتختفي من حيث كانت وتشكل مرة أخرى من تحت وطء قدمه وقال: نعيش معاً.
ردت (أم الدويس) وهي تكشف عن منجليها: ونموت معاً.

لوح (السعف) بذراعيه في الهواء ليرسل أعاصير رملية عاتية أبطأت حركة الأفعى، لتقفز (أم الدويس) باتجاهها لتزلق على حراشفها بمنجليها الحادين، ولكن جسد (الفلك) كان قاسياً، صعب الاختراق.

نادى (أدريان) على خليلته ليشير إليها بإصبعه، ففهمت بالضبط ما كان يقصد، فقامت بتغيير هدفها، فعامت بسرعة باتجاه رأس (الفلك) لتغرز منجليها في إحدى أعينها الأربع لتنفجر، وحينها أطلقت تلك المتوحشة فحيحاً عالياً مثلاً وبدأت تتقلب بجسدها نارة يميناً وتارة يساراً حتى أطاحت بـ (أم الدويس) من عليها.

في أثناء ذلك الصراع التفت (غيث) إلى (غاوي) الذي كان جاثيًا على ركبتيه، متضحكًا رغم تمسكه بكتفه الدامي، ولم يفكر كثيرًا في الأمر قبل أن يقرر تغيير هدف خليعة سيد السفليين، فرمى بنفسه على (غاوي) ليطرحه أرضًا وجلس على بطنه ليبدأ بلكمه بشراسة بكلتا يديه، ولكن قهقهة (غاوي) لم تتوقف، فاستفزت (غيث) أكثر وأكثر، فظل يوجه ضربة وراء الأخرى حتى نزل الدم من وجهه (غاوي).

التفت (فلك) برأسها بسرعة لتزحف باتجاه سيدها على عجلة، ولم يدرك (غيث) ما كان قد وضع نفسه فيه قبل أن يرى ظل الأفعى الذي خيم عليه من وراء ظهره، سرعان ما التفت (غيث) ليرى فكًا واسعًا توسع لاستقباله، ولكن خليعة المجنح هم لإنقاذه فشن هجومه على عين أخرى من أعينها، ليفقأها بمخالبه لتفقد بصرها في عينين من أعينها الأربع.

أطلقت الأفعى فحيحًا عاليًا ورفعت رأسها للسماء بألم، ولكن سرعان ما تبدل ذلك الألم إلى سحق شديد، وقبل أن يدرك أحدهم ما كان يجري وجدوا ذيلها الملهب يلتف حول جسد (تولبا) لتقبض عليه وتعتصره.

- «تولبا!»

صرخ (غيث) بذعر خشية على خليله.

ولكن (فلك) لم تكف عن اعتصاره والضغط على جسده الذي بدأ بالقرقرة في هذه النقطة من الزمن، توسعت حدقتا (غيث) بينما شاهد خليله غير قادر على فعل أي شيء كان، بل كان يحدق به بعينه اليئيمة فحسب، وكأنه طفل ينتظر النجدة، وفي كل لحظة تمر كان الضغط يزداد، إن بقي على هذا الحال لهلك.

التفت (غيث) إلى (غاوي) المستلقي على الأرض مغطى بدمائه: بأعرج، أخبرها بأن تتوقف! سأعطيك ما تريد، سأرحل، سأفعل أي شيء، ولكن مرها بالتوقف!

تعالق قهقهة (غاوي) على المسامع: ألم أخبرك بأنني سأسلبك كل شيء؟ هذه البداية فحسب.

سقطت أكتاف (غيث) يائساً عند سماعه لتلك الكلمات، شيء ما بداخله قد انطفأ ولم يعلم ما هو.

استدار على كعبه ليواجه وجه خليله المتألم مرة أخرى، كان صدره متهدجاً بأنفاس قاسية يحاول تخليص نفسه من حيث كان ولكن بلا فائدة، شعر (غيث) وكأن قلبه يتمزق حيث وقف، فلم يستطع تحمل ذلك المنظر البتة.

وبينما كاد خليله أن يفارقه، سمع همساً متحشراً جاً ينطق بصعوبة وكأنه لم يستسهل النطق بعد.

«غ- غيث.»

همس (تولبا) بصعوبة شديدة ولأول مرة على مسامع سيده.

اتسعت حدقتا (غيث) ووقف مكانه مشدوهاً تماماً.

لم يكن يصدق بأن أول كلمات خليله هي آخر كلماته، وليست كلمات فحسب، بل اسمه هو.

في تلك اللحظة، اشتعل شيء ما في صدره، دب في جسده شعور فتك بجميع حواسه الأخرى يجري مجرى الدم في البدن، وظهر ذلك على عينيه اللتين كانتا أكثر جموداً من ذي قبل.

التفت ليفحص (غاوي) الذي استلقى أرضاً بلا حركة تذكر إلا
التنفس، أخذ (غيث) عدة خطوات حتى وصل لعكازه النحاسي
الذي استلقى بجانبه ليتناوله ويسدد ضربة قاسية لجبين (غاوي)
جعلته يتلوى ألماً.

كشرت (فلك) عن أنيابها وكأنها على وشك الانقضاض على
(غيث) ولكنه رفع ذلك العكاز فوق صدر سيدها وصرخ: اتركي
خليلي وإلا لأقتلن سيدك ها هنا لتختفي معه!

زجرت (فلك) ولكن (غيث) قرب العكاز أكثر من صدر
(غاوي): سأخوزق سيدك بعكازه حيث استلقى، أسمعين!؟

هسهست (فلك)، ولكنها استشعرت جدية ذلك التهديد،
بدأت بإرخاء جسدها من حول (تولبا) ببطء، حتى تمكن من
الإفلات من برائنها ليقف بمقربة من سيده بصعوبة في الحراك.

وقفت (فلك) مكانها منتظرة بأن يوفي (غيث) بوعدده، ولكنه
قام بلف ذلك العكاز النحاسي وأرجع ذراعه للوراء ليطلقه بقوة
شديدة كالرمح المحمل بكل الكراهية التي حملها ليخترق العكاز
رأس الأفعى حاشراً نفسه ما بين أعينها الأربع.

تبيست (فلك) لثوان قبل أن تهوي للأرض بثقل زلزل الأرض
من تحتها مسببًا بفتنة صغيرة لجميع الواقفين.

لم يطل الأمر حتى بدأ البخار يتعالى من جسدها لتبدأ بالاختفاء
تدريجياً.

«حسنًا، أعتقد أن علي أخذه للوالد.»

صدر صوت من وراء (غيث) ليلتفت متفاجئًا ليجد الأمير
(محرز) جاثيًا بجانب (غاوي) الذي غاب عن الوعي في هذه النقطة
من الزمن. أحال الأمير بنظره إلى الحرائق التي اشتعلت في محيطاتهم
فرفع كفه المفرودة في الهواء وأغلقها لتتطفئ تلك الشعلات.

رمش (غيث) عدة مرات متسائلًا: ولم تأخذه للملك الأحمر؟
أجاب الأمير (محرز) بهدوء: رأسه عوضًا عن رأسك، والتشابه
الشديد ما بينكما إضافة رائعة لتلك الصفقة.

أضاق (غيث) عينيه: والملك الأحمر يطالب برأسي؟ لماذا؟
همهم الأمير (محرز): ما زال غاضبًا من حادثة (فضة)، والسبب
في مجيئي كله كان حتى أتمكن من تهريبك، ولكنني عقدت صفقة

افضل مع الوالد، بالأصح تمكنت (عفراء) من إقناعه، ولعلها
بالغت ببعض الحقائق عندما أخبرته بأنك ستقوم بالزواج من
(الليف) ولذلك لا يمكن أن نسيء لها بقتلك.

صاح (غيث) بينما اجمرت وجنتاه: ماذا!!؟

غمز الأمير (محرز): أعتقد أن عليك الإسراع في العملية، حتى
لا يتمكن الوالد من ضبطنا في كذبة كتلك، فإن فعل فقد نلقى حتفنا
جميعًا.

حاول (غيث) الحديث: ١- انتظر!

ولكن الأمير (محرز) حمل (غاوي) واختفى في الهواء وكأنه لم
يكن، تاركًا (غيث) غارقًا في تساؤلاته.

أضاق (غيث) عينيه عندما بدأت الشمس بإلقاء خيوطها الذهبية
على الأرض بلطف، ليبدأ الدفء بالتدفق في الكون.

- «هل أنت بخير؟ ماذا حصل؟»

صدر صوت لطيف من ورائه، ليلتف (غيث) على كعبه ليرى
(الليف) تخطو باتجاهه بقلق ظاهر على أساريرها.

لم يستطع (غيث) النظر باتجاهها، فظل ينظر للأرض: أنا بخير
ما دمت بخير.

وقفت (الليف) أمامه تتفحص جسده بعينيها باحثة عن إصابات
قد تتمكن من علاجها ولكنها لم تر شيئاً فتتنفس الصعداء قبل أن
تسأل: أين ذهب الأعرج؟

أجاب (غيث): أخذه الأمير (محرز)، سيذهب به لو والده.
عقدت (الليف) حاجبها في حيرة من أمرها ولكنها لوحت
بيديها: لا يهم طالما تخلصنا منه.

وبينما كانا على ذلك الحال ظهر المستدئب الحالك في السواد
بجانب سيدته بينما تمسكت (هيلا) بظهره، فانحنى بجسده حتى
استطاعت الفتاة رمي رجلها من عليه لتقف على الأرض مجدداً.
سرعان ما جرى (أدريان) باتجاههم سائلاً بقلق: (هيلا)! هل
أنت بخير!؟

أومأت (هيلا) برأسها حتى وقف (أدريان) بجانبها واضعاً يده
على صدره وكأنه يحاول تهدئة نفسه، ولكن (هيلا) لم تعطه الفرصة
للحديث، بل أحالت بنظرها مباشرة باتجاه (الليف) لتحقق بها

بهذوء بينما ظهر التعجب على أسارير الأخيرة، فبالنسبة لـ (الليف) بدت هذه الفتاة مألوفة ولكنها لم تعلم لماذا.

نطقت (هيلا) بجدية: سأخذ بثأري منك، ولكن ليس اليوم.
ثم التفت على كعبها وخطت بعيداً عنهم ليتبعها قطع من الذئاب ليحيط بها من جميع الاتجاهات، فوضعت (الليف) يدها على فمها عندما بدأت تضع قطع الأحجية بعضها على بعض.
تدخل (أدريان): أعذريها، لديها أسبابها.

طأطأت (الليف) رأسها: وهل كنت أنت من يعتني بها؟
هز (أدريان) كتفيه: أعتقد أنها هي من كانت تعتني بي.
تقدمت (أم السعف والليف) من المجموعة بخطاً وثقة: أتفهم أسبابها، ولكنها ستلقى حتفها على يدي إن أقدمت على شيء، فقم بأخذها بعيداً عن هنا.

أوماً (أدريان) برأسه: أمرك.

«(باسقة)! أهذه أنت؟!»

قاطعهم صوت امرأة مسنة ليلتفت الجميع إلى جدة (غيث)
التي تقدمت باتجاههم بصعوبة فسارع (غيث) باتجاهها ليعاونها
فاستندت على ذراعه.

ابتسمت (أم السعف والليف): أهلاً وسهلاً، ماذا تفعلين هنا؟
وضح التعجب على أسارير الجدة لتتطرق: في الحقيقة، لا أذكر ما
جاء بي إلى الخارج في هذا الوقت، بدأت ذكرياتي تضحل مع كبر
سني.

تبادل (غيث) النظرات مع باقي أفراد المجموعة فلاحظ غمزة
من (الباسقة) جعلته يدرك أن ذلك من فعلها، فردت الأخيرة:
جميعنا كبرنا، يجب على النساء بعمرنا التزام راحتنا وجعل صغار
السن يخدمونا.

تنهدت الجدة: نعم، أنت على حق. فلم يبقَ من عمري الكثير،
ووددت قبل مماتي رؤية أولاد حفيدي، وكم أود أن أحظى بفتيات
جميلات مثل ابنتك.

صرخ (غيث): جدتي!

قاطعها صوت (أدريان): اعذريني على التدخل يا جدة، ولكن
لعلي أسعدك بشيء آخر.

التفت الجدة إلى الأجنبي بتعجب ظاهر على أساريرها: ومن أنت

يا أشقر؟

ابتسم (أدريان) بلطف: اسمي (أدريان)، وأود طلب يد ابتك.

[illegible]

تعداد جمعیت در سال (۱۳۹۰) ۱۱۰۰۰۰۰۰ نفر و در سال ۱۳۸۵ ۱۰۰۰۰۰۰۰ نفر

الشيخ: لمست الشيخين في هذا الزمان فليسوا بمتقدمين

94. $\frac{1}{2} \log_2 (1000)$ bits

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ART BY MOOSE

مكتبة

تعمیم یافته: $\frac{1}{n} \sum_{i=1}^n x_i^2 \geq \left(\frac{1}{n} \sum_{i=1}^n x_i \right)^2$ (برای $n \geq 1$)

تتمتع بخدماتنا

پیشانی سازنده و پدیدآورنده: @ART OF BOOK

[illegible]

فأله وعتاقه بها فمدها قلبه زيه لوجهه زيه بالحب والوفاء

- «كما طلبت يا والدي، أتيت إليك به.»

وقف الأمير (محرز) أمام عرش أبيه بينما جثا رجلٌ ما على ركبتيه بجانبه، غطى رأسه كيس قماشي.

أوماً الملك الأحمر برأسه فمد الأمير (محرز) يده ليسحب ذلك الغطاء كاشفاً الستار عن سجينه، وما أن ألقى بنظره على ذلك الرجل حتى تخشب جسده على الفور.

وضحت الحيرة على الملك الأحمر: ألم تخبرني بأنه يطابق الزوهري شكلاً؟ لا يطابق الوصف الذي سمعته عنه.

ارتسمت ابتسامة ضعيفة على وجه الأمير (محرز): بل هو يا أبتاه، وها أنا قد نفذت وعدي لك، فلتفعل به ما شئت.

رد الملك على مضض ولوح بيده: أحسنت، يمكنك الذهاب.

ودع الأمير (محرز) والده وخطا خارجاً من قاعة العرش بعينين تكادان تسقطان من محجريهما من شدة الصدمة التي اعتلته وما أن

خرج من مجلس والده حتى جرى خلال الممرات باتجاه غرفة أخته
(عفراء) ليقتحمها دون أن يطرق على الباب حتى.

عقدت (عفراء) حاجبيها بينما كانت تتصفح كتبها كالعادة: ماذا
أصابك!؟

وقف الأمير (محرز) عند بابها بصدر متهدج يتنفس بصعوبة
عندما نطق: سلمت السجين لأبي.

هزت (عفراء) كتفيها: إذا؟

نطق الأمير (محرز) بصعوبة: ذلك الرجل ليس بـ (غاوي)، بل
أحد السفليين المتشككين!



@ART_OF_BOOK

في أحد المنازل التي وقعت في أحياء المدينة التي علا ضجيجها،
جلست سيدة كثيرة العبوس على أريكتها التي لم تكن تفارقها إلا
نادرًا، ورغم اعتيادها على حالها إلا أن قلة الأصوات الموجودة
بالمنزل كانت تؤثر بها سلبيًا أكثر مما ظنت.

رمت بساقيها من على مقعدها وصعدت السلام لتتجه لغرفة
ابنتها، تمسكت بمقبض الباب وفتحته بهدوء شديد حتى لا توقظ
الفتاة التي سبق وأن كانت غاطة في نوم عميق.

ارتسم على معالم السيدة شبح ابتسامة قبل أن تغلق الباب مرة
أخرى لتتجه لغرفتها هي الأخرى، لتخطو بكسل حتى وقفت أمام
ذلك الباب لتدير مقبضه لتكشف عن غرفة نومها التي لسبب ما
احتوت رجلًا غريبًا يقف في منتصفها.

أجفلت السيدة قبل أن تدرك أنه ذلك المبدل الذي أبغضته، فارقت
شفتيها بعضهما عن بعض وكأنها تستعد لقذف الشتائم المعتادة ولكنها
تفاجأت بذراعيه من حولها ليحتضنها بقوة فتبيست مكانها.

حينها شعرت بتدفق دمه الصاها على كتفها وسمعت كلماته
الضعيفة: أمي، لقد اشتقت لك.
